الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
Faculté des sciences humaines et des sciences islamiques
جامعة وهران 1
Université d'Oran 1
أحمد بن بلة

قسم الحضارة الإسلامية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د في التاريخ والحضارة الإسلامية

موسومة بـ:

التواصل الاجتماعي بين المسلمين والنصارى في الأندلس عهد ملوك الطوائف

إعداد الطالب : **شرف الدين ولد نورين**

إشراف الدكتور: **أحمد بحري**

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.د محمد بوركبة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران 1
د. أحمد بحري	أستاذ محاضر .أ.	مشرفا ومقررا	جامعة وهران 1
د. الهواري ملاح	أستاذ محاضر . أ .	مناقشا	جامعة وهران 1
د. وهراني قدور	أستاذ محاضر .أ .	مناقشا	جامعة تلمسان
د. فرح سعد	أستاذ محاضر . أ .	مناقشا	جامعة وهران 2

السنة الجامعية: **1440-1441**هـ/ **2019- 2020**م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾

سورة الحجرات

إهداء

إهداء

ربي أحمدك حمدا يليق بجلالك وعظيم سلطانك

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أهدي هذا العمل إلى:

شيخي وقرة عيني وسندي العالم والفاضل سيدي **الشيخ عبد المالك بن يوسف** حفظه الله وشفاه وجعل الجنة مثواه

إلى من وضعتني على طريق الحياة وعلمتني العطاء وغمرتني بحنانها " **أمي الحبيبة** " أطال الله في عمرها

إلى صاحب السيرة العطرة والفكر المستنير الذي كان له الفضل الأول في بلوغي التعليم العالي " **والدي الحبيب** " أطال الله في عمره

إلى من فارقتني بجسدها ولكن روحها ما زالت ترفرف في سماء حياتي" **أختي الغالية حفصة** " طيب الله ثراها وجعل الجنة مثواها وبارك في ابنتها **أنفال**

إلى من كانوا السند والعون، إخوتي: " **مولاي إدريس- الغالي – أحمد- بلقاسم الخضير**" فقد دعموني ماديا ومعنويا طيلة مدة دراستي، فبارك الله فيهم.

شرف الدين ولد نورين

شكر وتقدير

شكر وتقدير

نشكر الله تعالى على ما من علينا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، ومنها فضله وتوفيقه لإتمام هذا العمل المتواضع

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف" **أحمد بحري** "الذي لم يبخل علي بالنصح والعون وكان صبورا معي إلى درجة كبيرة فبارك الله فيه وأمد الله في عمره.

كما أتقدم بالشكر الجزيل وجميل الامتنان إلى اللجنة العلمية للمناقشة التي سهرت على تصحيح الرسالة وتقديم النصائح، الأستاذ بوركبة محمد والأستاذ ملاح الهواري والأستاذ فرح سعد والأستاذ وهراني قدور.

ونخص أيضا الشكر إلى الأستاذ الفاضل رئيس مخبر مخطوطات شمال إفريقيا السيد **عبد المجيد بن نعمية** حفظه الله ورعاه وشفاه من كل سقم، فهو الأب الذي فتح لنا قلبه وساعدنا في البحث على مستوى المخبر وقدم لنا الكثير من النصائح الأكاديمية التي تخدم البحث العلمي

وفي هذا لا يسعني إلا أن أشكر جميع الأساتذة الذين درسنا على أيديهم طيلة مسيرة البحث العلمي وعلى رأسهم: الأستاذ محمد لعباسي، الأستاذ محمد بوركبة، الأستاذ أحمد بحري، الأستاذ عبد الغفار بن نعمية، الأستاذ عبد الحميد مقاديم، الأستاذ محمد مولاي، الأستاذ محمد عبد المومن، الأستاذة خديجة موصدق، الأستاذة أمال صغير،...

وفي الأخير لا أنسى رفقاء دربي زملائي الطلبة فلهم الشكر الجزيل والعميم.

مقدمة

يعتبر الحكم الإسلامي للأندلس (92هـ-711م/ 897هـ-1492م) حدثا حضاريا ضم في مجتمع واحد ثلاث طوائف دينية هي المسلمون والنصارى واليهود، واستطاعت هذه الفئات بفعل مبدأ التسامح الديني أن تحتاز مختلف الفروق الإثنية أو الدينية فكونت مجتمعا متسامحا متنوع العناصر ومتعايشا فيما بينه.

تعتبر فترة ملوك الطوائف من الفترات التي كانت مضطربة سياسيا وعسكريا خاصة في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي نظرا للتمزق الحاصل في الأندلس بين ملوكه وكثرة دويلاته، ولكن هذا الصراع على عيوبه لم يمنع من قيام الرقي في الجانب الاجتماعي والتعايش بين فئات المجتمع وتحلي المسلمين والنصارى بمبدأ التسامح الديني.

لقد عامل المسلمون النصارى وفق الشريعة الإسلامية، وطبقا لما يقتضيه الفقه الإسلامي من معاملة أهل الذمة بإعطاء حقوقهم وتبيان واجباتهم تجاه السلطة الإسلامية، واعتبارهم كرعية من رعايا الدولة، فلم يمنع المسلمون النصارى من تأدية طقوسهم و عباداتهم واحتفالاتهم، بل أقروهم عليها وشاركوهم فيها.

إن هذا الاختلاط والتجانس بين المسلمين والنصارى في الأندلس جعلهم يكونوا مجتمعا أندلسيا واحدا يصعب على أي كان التفريق بين مكوناته نظرا لتوافقهم وتشابههم في الملبس والمظهر وتحليهم بحسن الجوار والتعايش مع بعضهم البعض والتعامل في مجالات العمل والتجارة وكذا المصاهرة فيما بينهم والمشاركة في الاحتفالات والأحزان.

يعتبر موضوع دراسة العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والنصارى في الأندلس من أهم الموضوعات في التاريخ الأندلسي خاصة التي تدرس العلاقة بين العنصر المسلم الداخل على العنصر المحلي –الإسباني- من عدّة جوانب أهمها الجانب الاجتماعي، نظرا لما يتناول البحث في هذه المواضيع عن دراسة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات ومختلف معاملاتهم اليومية، والتطرق

لمختلف المظاهر الاجتماعية كالزواج واللباس والطعام والاحتفالات وغيرها من العادات والتقاليد التي تخص المجتمع الأندلسي.

ولدراسة موضوع الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد ملوك الطوائف، وعلاقة المسلمين مع النصارى في مختلف الميادين وكذا مظاهر التأثر ببعضهم البعض، جاءت إشكالية البحث كالتالي: كيف يعتبر التواصل الاجتماعي بين المسلمين والنصارى عاملا في تحقيق الرابطة الاجتماعية الموحدة في الأندلس على عهد ملوك الطوائف في زمن كثرت فيه الصراعات الداخلية والخارجية وبوضع متّسم بالضعف والانهيار المادي والمعنوي؟

وما هي أهمّ المحطات التي يتواصل فيها العنصر المسلم والعنصر النصراني؟ وما هي أبرز مظاهر التأثر بين الطرفين في الحياة الاجتماعية بينهما؟ وفيم تمثل أثر التواصل الاجتماعي بين المسلمين والنصارى على المجتمع الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي؟

وعلى هذا النمط، كان موضوع البحث الموسوم بالتواصل الاجتماعي بين المسلمين والنصارى في الأندلس عهد ملوك الطوائف الذي حاول البحث فيه الإحاطة بجميع جوانبه والتعرض لمختلف مسائله خاصة التي تتعلق بالحياة الاجتماعية بالأندلس ومظاهرها، إلاّ أني في بعض الأمثلة والشواهد التاريخية لم أوفق في الوصول إلى الوثائق التي تثبتها إما لنقص في الكتب التاريخية أو لتعذر الوصول إلى مضانها، فاستعنت بأمثلة تاريخية قبل الفترة المدروسة على أن هذه الأمثلة عبارة عن عادات وتقاليد تخص المجتمع الأندلسي وهي بالطبع عادات مستمرة، كذلك اضطررت إلى استعمال المصطلحات الحاضر التي لم تكن في زمن الفترة المدروسة، خاصة في الميدان السياسي وهذا من أجل الإيضاح والتبيين.

ولقد كان السبب الذي دفعني لكتابة هذا البحث هو زيادة إثراء المكتبة العربية بدراسة تبين ما مدى العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والنصارى في الأندلس، خاصة في عهد ملوك الطوائف

القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، وكذا الرغبة الشخصية في دراسة التاريخ الأندلسي المجيد.

وتتجلى أهمية هذا البحث في ما يلي:

- إبراز أهمية التاريخ الاجتماعي للأندلس في عصر ملوك الطوائف
- تبيان قوة التسامح الديني في وسط المجتمع الأندلسي
- إبراز التعايش الحاصل بين فئات المجتمع الأندلسي خاصة بين المسلمين والنصارى
- التواصل الاجتماعي بين المسلمين والنصارى في عدّة ميادين
- التأثر والتأثير بين المسلمين والنصارى.

وقد اعتمدت في دراستي هذه على المنهج التاريخي الاستنباطي التحليلي فقمت بسرد المادة التاريخية مع تحليلها واستنباط ما يخدم التأريخ للحياة الاجتماعية منها.

ومن الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الحياة الاجتماعية في فترة ملوك الطوائف:

1- **ولد أن محمد الأمين** في أطروحته النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين (422هـ/ 539م- 1030هـ/ 1141م)، حيث قام بدراسة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لأهل الذمة اليهود والنصارى في الأندلس، إلاّ أنها لم تتطرق لأوجه التأثر الحاصل بين المسلمين والنصارى والتواصل بينهما في الأندلس، وهي رسالة دكتوراه بكلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية بجامعة وهران 1 أحمد بن بلة. 2008/2007، (لم يتم طبعها)

2- **محي الدين صفي الدين** في رسالته المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس (138هـ/ 755م- 483هـ/ 1090م)، ولقد تناول فيها الباحث مكونات المجتمع الأندلسي وطبقاته وتطرق لدراسة الحياة الاجتماعية للنصارى المستعربين ومكانتهم ودورهم الإيجابي والسلبي في التاريخ

الأندلسي وعلاقتهم بالمسلمين، إلاّ أن دراسته لم تتناول الفترة المدروسة بشكل ملم بل كانت دراسته بشكل عام ومختصر، وهي رسالة ماجستير بكلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية بجامعة وهران 1 أحمد بن بلة. 2012/ 2013، (لم يتم طبعها)

خميسي بولعراس، في رسالته الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400-479هـ/ 1009- 1086م)، ولقد درس فيها الباحث العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي ومختلف طبقاته وكذا من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية وتطلع لمختلف العلوم والفنون والآداب في المجتمع الأندلسي، ومع هذا لم يتناول طبيعة العلاقات بين المسلمين والنصارى في المجتمع الأندلسي الواحد ولم يتطرق لمختلف التأثيرات الحاصلة بينهما، وهي رسالة ماجستير بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الحاج لخضر باتنة، 2006/ 2007، (لم يتم طبعها)

أما عن الصعوبات والعراقيل التي صادفت البحث في مساره هي نقص المادة العلمية المتعلقة بالجانب الاجتماعي في المصادر التاريخية التي اتسمت بكثرة سرد الأحداث التاريخية السياسية، وكذا تعذر الوصول إلى إسبانيا من أجل الاستزادة من مختلف الدراسات التاريخية الأندلسية.

لا يستطيع الباحث في التاريخ أن يقدم صورة واقعية عن الموضوع الذي يبحث فيه، إلا إذا توفرت له الوثائق التاريخية والمصادر الأولية التي تحتوي على المعلومات والحقائق الكافية عن هذا الموضوع.

أ- المصادر التاريخية:

1- ابن بسام الشنتيري (542هـ/ 1147م) " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " وهو كتاب تضمن للأحداث التاريخية بالأندلس في عصر ملوك الطوائف القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، وهو مقسم على أربعة أقسام في ثماني مجلدات وقام بتحقيقه الدكتور إحسان عباس، وهو يعتمد في مادته على ابن حيان كما يحتوي على تراجم للأعلام الأندلسية ومادته التاريخية بأسلوب أدبي محض.

2- ابن عذاري المراكشي (712هـ/ 1312م) **" البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب "** لقد احتوى كتابه في الجزء الثالث على تاريخ الأندلس في عصر ملوك الطوائف حيث

يسرد لنا ابن عذاري في كتابه عن ما يتعلق بالحياة السياسية والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في عصر ملوك الطوائف، وكذا علاقة ملوك المسلمين بالنصارى.

3- عبد الواحد المراكشي (674هـ/ 1249م) " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " وهو يضم معلومات مهمة عن القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي وعن أحوال الرعية، السياسية والاجتماعية والاقتصادية، من بدء الفتنة البربرية وتعدد ملوك الطوائف وتشتت كلمتهم، وما يميز هذا المصدر هو اختصار أحداثه التاريخية.

4- أبو العباس أحمد المقري (1041هـ/ 1632م) " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب " ، يعتبر كتاب نفح الطيب موسوعة تاريخية وأدبية محضة يحمل كما هائلا من المادة التاريخية والتراجم والشعر والأدب التي تخص الأندلس، حيث يقسم هذا الكتاب إلى ثماني أجزاء، الأجزاء الأربعة الأولى تخص التاريخ الأندلسي والأجزاء الأربعة الثانية تخص بالتعريف بشخصية الوزير لسان الدين ابن الخطيب وقام بتحقيقه الدكتور إحسان عباس، وإن كان المقري بعيدا عن الفترة المدروسة إلا أنه احتوى كتابه على كثير من المعلومات التي تخص الحياة الاجتماعية للأندلس.

5- عبد الرحمن ابن خلدون (808هـ/ 1405م) " العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر" ، تحتوي مقدمته على مجموعات من النظريات وتعريفات للعلوم العقلية والنقلية والفنون، وهي تقعد لعلم الاجتماع أما الأجزاء الأخرى فهي تقع في ثماني مجلدات حيث تضم كما هائلا من المادة التاريخية خاصة تاريخ الأندلس في الفترة القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي.

6- ابن القيم الجوزية (751هـ/ 1350م) "كتاب أحكام أهل الذمة " يعتبر ابن القيم من تلامذة الشيخ ابن تيمية حيت احتوى كتابه على الأحكام التي تترتب على أهل الذمة اليهود والنصارى من واجبات وحقوق ماداموا داخل الخلافة الإسلامية.

ب- كتب الجغرافيا:

1- الحميري محمد بن عبد المنعم (المتوفى في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي) " روض المعطار في خبر الأقطار " وهو عبارة عن معجم للجغرافيا حيث رتبه

مؤلفه على حسب الحروف العربية وأورد فيه المدن والقرى المعاصرة له وكذا الوقائع التاريخية التي لها علاقة بتلك الأماكن المترجم لها.

2- **ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (362هـ/ 990م) " صورة الأرض"** ، فهو يحتوي كتابه على تسميات الأقاليم والمسافات بين المدن والقرى ويعطي معلومات عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس.

3- **الإدريسي، الشريف محمد بن عبد الله، (560هـ/ 1166م) " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "** يحتوي هذا الكتاب على معلومات عدّة في التعريف بالمناطق الجغرافية وكذا الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمدن الأندلسية وأريافها فهو يعطي معلومات غزيرة عن الأندلس.

ج- كتب التراجم:

1- **ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي (456هـ/ 1046م) "كتاب جمهرة أنساب العرب "** هو يعتبر مرجعا للتعريف بالقبائل العربية والبربرية وأماكن استقرارها، فهو يبين أصول الأعلام ويذكر أنسابهم ويعرفهم ويذكر خصالهم وصفاتهم.

2- **الضبي أحمد بن يحيى بن عميرة (599هـ/ 1202م) " بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس"** ، فهو يقارب الفترة المدروسة وهو من المصادر التي يعتمد عليها تاريخ الأندلس حيث يحتوي على معلومات مهمة في التعريف بالأعلام والرجال.

3- **ابن سعيد المغربي (685هـ/ 1286م) " المغرب في حلى المغرب "** يحتوي هذا الكتاب على معلومات تاريخية وجغرافية مهمة وتعريفات للمدن، وهو يضم عدّة تراجم للأعلام البارزة في الأندلس حتى نهاية عصر الموحدين.

د- كتب النوازل:

1- **الطرطوشي أبو بكر(520هـ/ 1126م) " الحوادث والبدع "** وهو كتاب يضم مجموعة من البدع التي اجتاحت المجتمع الأندلسي من تدني الأخلاق وغيرها فهو مصدر مهم يبين جوانب عدة للحياة الاجتماعية بالأندلس خاصة في مخالطة المسلمين بالنصارى وتقليد بعضهم البعض في كثير من الأمور.

2- عيسى بن سهل (**486هـ/ 1093م**)" **الأحكام الكبرى**": يعتبر كتاب الأحكام الكبرى مصدر معاصر لفترة ملوك الطوائف وهو يضم في ثناياه نوازل وأحكام فقهية عدّة حيث عالج فيها العديد من القضايا والمسائل المستجدة في المجتمع الأندلسي.

3- ابن رشد ابن الوليد محمد بن أحمد، (**520هـ/ 1126م**) " **فتاوى ابن رشد**" جمع هذه النوازل تلميذ ابن رشد في كتاب مقسم على ثلاثة أسفار، فهي تعتبر من أهم المصادر التي يعتمد عليها في التأريخ للحياة الاجتماعية بالأندلس فهي تعالج مختلف القضايا التي تمس المجتمع الاجتماعية والاقتصادية في القرن الخامس الهجري والسادس الهجري الحادي عشر ميلادي والثاني عشر ميلادي،

هـ- كتب الحسبة:

1- السقطي، ابن عبد الله محمد المالقي (**القرن السادس هجري**)، "**آداب الحسبة** " قام بتحقيقها ليفي بروفينسال، وهي تضم ثمانية أبواب كلها تتعلق بقواعد البيع والشراء والعرض في الأسواق والمكاييل والأوزان ومختلف أساليب الغش والتدليس والتطفيف في المجتمع الأندلسي خاصة وهي تقارب الفترة المدروسة القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي.

2- ابن عبدون محمد أحمد التجيبي، " **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**" ، **حققها ليفي بروفنسال**، وهي من المصادر المهمة التي تبين طبيعة الحياة الاجتماعية في الأندلس خاصة الأنشطة اليومية والعلاقة بين المسلمين والنصارى والاختلاط بينهما وأساليب الغش في الأسواق.

و- كتب الأدب والأمثال العامية:

1- أبو نصر ابن خاقان (**528هـ/ 1134م**)، "**مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**"يعتبر كتاب مطمح الأنفس من المصادر الأدبية التي قاربت الفترة المدروسة بحيث يقوم ابن خاقان بتعريف عدة أعلام كوزراء وشعراء وأدباء ومن خلال تعريفاته لهاته الشخصيات فهو يحمل في طياته أسلوب الحياة الاجتماعية للأندلس.

2- ابن زيدون " ديوان ابن زيدون" (**463هـ/ 1017م**): وهو من رجال البلاط الذي كان مقربا من ملوك الطوائف، وديوانه يعتبر من لسان الحال لمستوى الاجتماعي والسياسي والثقافي لعصر ملوك الطوائف.

3- الزجالي، أبو يحيى عبيد الله أحمد الزجالي القرطبي، (617هـ/ 694هـ) " أمثال العوام في الأندلس": هو مخطوط أندلسي قام بتحقيقه الدكتور محمد بن شريفة المغربي في قسمين حيث قام في القسم الأول بترجمة المؤلف وذكر أصول وأهمية الأمثال العامية الأندلسية واستخرج ملامح المجتمع الأندلسي من خلال الأمثال وكذا تطرق للجانب اللغوي والأدبي في الأمثال الأندلسية، وفي القسم الثاني تطرق لمختلف الأمثال مرتبة على الحروف الهجائية، فكتاب أمثال العوام هو من أهمّ المصادر الأدبية التي تبين لنا ما مدى مستويات الحياة الاجتماعية بالأندلس فهي تعطي صورة حقيقية عن واقع المجتمع وسيرورته.

ز- **المراجع:**

1- محمد عبد الله عنان " دولة الإسلام في الأندلس" وهو كتب كبير يتألف من أربعة أقسام، حيث خصص مؤلفه جزء خاصا بفترة ملوك الطوائف فسماه بدول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي وهو يتكلم باستفاضة كبيرة ومعلومات جمة حول الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والموقع الجغرافي لكل دول الطوائف.

2- يوسف دويدار " المجتمع الأندلسي في العصر الأموي" يعتبر من أهم المراجع التي تناولت الحياة الاجتماعية للأندلس من خصائص المجتمع وبنيته وعاداته وتقاليده.

3- صلاح الجرار " زمان الوصل " وهو ضمن دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس وهو يضم ثلاثة مباحث تتعلق كلها بالعلاقات بين المسلمين والمسيحيين في المجال الثقافي والاجتماعي وهو يبين أسباب التقليد وأسباب التأثر الحاصل بين المسلمين والمسيحيين بالأندلس.

4- عبادة كحيلة " تاريخ النصارى في الأندلس" يعتبر هذا البحث من أهم البحوث التي أرخت للنصارى بالأندلس فهو يبين مختلف الفئات الاجتماعية بالأندلس سواء المسلمة أم النصرانية كما أنه يبين ما مدى العلاقات والأواصر التي تربط النصارى بالمجتمع الأندلسي ويذكر مختلف تنظيماتهم وطقوسهم وعاداتهم وتقاليدهم وغيرها.

5- وجدان فريق عناد "مكانة الأندلس في التواصل الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية" جاءت هذه الدراسة مبينة لمختلف العلوم والفنون التي نبغ فيها الأندلسيون نتيجة التفاعل الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارات السالفة ومبينة كيفية تأثيرها على الحضارة الغربية وأن الأندلس هي همزة وصل بين الحضارة الإسلامية والغربية.

محمد عباسة " العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر" تعتبر هذه المقالة من الدراسات التي بينت وسائل الربط بين المسلم والنصراني ضمن المجتمع الواحد من روابط المصاهرة وقصور الأمراء وغيرها من التي ربطت بين العنصرين ليكون مجتمعا أندلسيا مختلف الفئات ومتعايشا بين طوائفه.

وحتى تستطيع هذه الدراسة الإجابة عن الإشكالية جاءت خطة البحث في مدخل وأربعة فصول، حيث استهل البحث بمقدمة ومدخل حول الأوضاع العامة لدول ملوك الطوائف (422-478هـ/ 1009-1086م) بالأندلس فتناول لمحة عن الجانب الاقتصادي للخلافة الأموية قبيل عهد ملوك الطوائف، وأهمّ دويلات ملوك الطوائف ومراكزها، وحول علاقتهم بملوك النصارى، أمّا في الفصل الأول فسمّي بمكونات المجتمع الأندلسي وطبقاته حيث قسم إلى مبحثين فالمبحث الأول كان حول مكونات المجتمع الأندلسي من عرب وبربر ومولدين ومستعربين وصقالبة ويهود، أما المبحث الثاني فكان حول طبقات المجتمع الأندلسي والتي ينقسم إلى طبقة عليا ووسطى وسفلى.

وفي الفصل الثاني سمي بالزواج والاحتفالات في المجتمع الأندلسي حيث قسم إلى مبحثين فالمبحث الأول كان حول ظاهرة الزواج، حيث عرج فيه على متطلبات الزواج في المجتمع الأندلسي من اختيار الزوجة والخطبة والصداق وكذا جهاز العروس وحفلة الزواج ووليمة العرس، وكذا ظاهرة الزواج المختلط، ومصادر الزوجات ونماذج حول الزواج المختلط، وأثر الزواج المختلط ونتائجه المترتبة على المجتمع الأندلسي، وفي المبحث الثاني كان مداره حول الاحتفالات والتسلية والترويح في المجتمع الأندلسي حيث بُين فيه الأعياد الإسلامية من عيد الفطر وعيد الأضحى ويوم الجمعة وليلة القدر والمولد النبوي الشريف، والأعياد المسيحية من عيد النيروز وعيد الفصح وعيد البشارة وعيد مولد سيدنا عيسى عليه السلام وعيد العصير وعيد العنصرة، كما بُين فيه أسباب احتفال المسلمين والنصارى بأعياد بعضهم البعض، فكان نتاجه أن الاختلاط والتمازج والتسامح والمجاورة وحب الأندلسيين للهو والترف كان سببا رئيسيا في هذا، وأضيف فيه ما كان حول الترفيه والألعاب من مصارعة الثيران والتسابق وغيرها.

والفصل الثالث كان حول الأطعمة والألبسة في المجتمع الأندلسي وقسّم إلى مبحثين، فالمبحث الثاني كان حول الألبسة ومصادرها من ملابس الرجال وملابس النساء وملابس الأطفال وملابس العسكر وأما المبحث الثاني ما كان عن الأطعمة في المطبخ الأندلسي من أدوات الطبخ وأصناف الأطعمة الأندلسية ومن المشروبات والخضر والفواكه والحلويات ومن هذه بين فيه مظاهر التواصل الاجتماعي من خلال الأطعمة والألبسة.

والفصل الرابع عنون بميادين التواصل بين المسلمين والنصارى في الأندلس وأثره على المجتمع الأندلسي وهو بدوره قسم إلى مبحثين حيث عالج المبحث الأول الميدان الاقتصادي والثقافي وبين فيه أهم النقاط التي تواصل فيها المسلمون مع النصارى على مستوى التجارة والزراعة والصناعة والأعمال الإدارية، وبين فيه مظاهر التواصل من خلال الجانب الاقتصادي ومدى أثره على المجتمع الأندلسي، أما في الجانب الثقافي حيث بين فيه أهم المسائل التي كانت تجمع بين المسلمين والنصارى كمسألة الحوار الديني أو مسألة التنصير وغيرها من العلوم التي كانت أثرا ناتجا عن مدى قوة التسامح الديني بين المسلمين والنصارى وفي الأخير تطرق البحث للجانب السلبي الذي نتج عن هذا الاختلاط، من انحطاط مستوى الأخلاق والارتداد عن الدين الإسلامي وغيرها، أما في المبحث الثاني كان حول الميدان العسكري والسياسي حيث جاء فيه مدى تواصل المسلمين مع النصارى من خلال الجانب العسكري كالأسرى والمرتزقة والاشتباكات العسكرية وجاء فيه أن الجانب العسكري يساهم في درجة كبيرة في التواصل بين المسلم والنصراني، وكذلك في الجانب السياسي حيث ساهمت السفارات بين البلدان الإسلامية والنصرانية وكذا الرسائل السياسية واللجوء السياسي في المقاربة والمساهمة في التواصل بين المسلم والنصراني.

وفي الأخير ختم البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها من البحث.

مدخل: الأوضاع العامة لدول ملوك الطوائف بالأندلس

(422-478هـ/ 1009-1086م)

أ- أوضاع الخلافة الأموية قبيل ظهور ملوك الطوائف:

تعتبر فترة ملوك الطوائف بما تحمله من مدلول ومضمون، خلاصة لمجموعة من الصراعات الداخلية والفتن العرقية التي عصفت بالأندلس الأموية، وكان أول أمرها أن تسلط عليها العامريون،[1] وأمرهم في ذلك إلى الحاجب المنصور بن أبي عامر،[2] الذي استغل صغر سن الخليفة الأموي هشام بن الحكم،[3]فانفرد الحاجب بالأمر والنهي، وتنكر لحاشية الخليفة ورجاله، يقول المقري: "وتمت البيعة لهشام، ثم سما لابن أبي عامر أملٌ في التغلب على هشام لمكانه في السنّ، وثاب له رأي في الاستبداد، فمكر بأهل الدولة، وضرب بين رجالها، وقتل بعضا ببعض..."،[4] على هذا مُحي رسم الأمويين من رموز الخلافة وآلاتها، ولم يبق للخليفة هشام المؤيد إلا الدعوة على المنابر، ثم آل أمر الحجابة إلى عبد الرحمن بعد أن تقلدها شقيقه عبد الملك بن محمد الملقب بالمظفر (ت 399هـ)، وكان من خبر عبد الرحمن المذكور أن تجرأ على إرغام الخليفة إصدار مرسوم يعين بموجبه وليا للعهد، وهو ما كان بالفعل بعد إكراه وإرغام للخليفة.[5]

---

[1]- دولتهم العامرية التي أقامها الحاجب المنصور بن أبي عامر مستغلا صغر سن الخليفة هشام بن الحكم، ثم خلفه ابنه عبد الملك ثم أخاه عبد الرحمن، وقُتل الأخير على يد الأمويين وأنهوا حكم العامريين، ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2013،مج2، ص ص 247- 344.

[2]- هو أبو عامر محمد بن أبي حفص عبد الله محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الداخل إلى الأندلس مع طارق بن زياد، وكان الحاجب المنصور بن أبي عامر من علماء البلد، فطلب الحديث وقرأ الأدب واللغة، ابن عذاري،المصدر نفسه، مج2، ص 247، 248.

[3]- هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر، كُنيته أبو الوليد، ولقبه المؤيد بالله، بويع له سنة 366هـ وهو لا يزال صبيا، وخُلع سنة 399هـ، ابن عذاري، المصدر نفسه، مج2، ص 243.

[4]- المقري أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: حسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، مج1، ص 396.

[5]- المصدر نفسه، مج1، ص 424.

ولم يمض زمن حتى دخل محمد بن هشام بن عبد الجبار[1] الملقب بالمهدي قرطبة عنوة، وأرغم هشام المؤيد بن الحكم على التنازل عن الخلافة،[2] كما جاهر بسوء فعله بالبربر لمظاهرتهم العامريين من قبل، وتعرض لهم العامة بالنهب والسلب والأذى، فما كان لهم إلا إعلان ثورتهم على المهدي، ويُسميها الأندلسيون بالفتنة البربرية، وبايع البربر ابن عمه سليمان ولقبوه بالمستعين بالله،[3] ثم قامت من بعده الدولة الحسنية الحمودية،[4] ووُلي الأمر علي بن حمود الحسني سنة 408هـ،[5] فانتقلت السلطة من الأمويين إلى الحموديين، وفي عهدهم أُلغيت الخلافة الأموية على يد أبي الحزم بن جهور،[6] فسقطت من ذلك الوقت الأندلس في التقسيم العرقي والصراع السياسي بين ممالكها، وكل من جمع حوله طائفة استقل برأيه واستبد بفعله، ظهر فيها ما يُعرف بملوك الطوائف.

---

[1] - هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، كُنيته أبو الوليد، ولقبه المهدي، ولد سنة 366هـ، وُلي مرتين: الأولى حين قام على الخليفة هشام المؤيد بن الحكم وعزله سنة 399هـ، وانخلع لسُليمان بن الحكم سنة 400هـ، ثم وُلي مدة 49 يوما بعد سُليمان، وقُتل في ذي الحجة من سنة 400هـ، ولا عقب له، المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، ص 2006م، ص 39؛ الحُميدي أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي تونس، ط1، 2008م، ص 38؛ ابن عذاري، المصدر السابق، مج2، ص 333.

[2] - ابن عذاري، المصدر السابق، مج2، ص ص 340- 349.

[3] - هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، لُقب بالمستعين بالله، وُلي من سنة 400هـ، وقُتل بعد ثلاثة سنوات وثلاثة أشهر، ابن عذاري، المصدر نفسه، مج2، ص ص 351- 364.

[4] - أسسها علي بن حمود بن ميمون بن حمود، ولُقب بالناصر بالله، وبويع له سنة 407هـ، وقُتل سنة 408هـ، وقاعدتهم شنتمرية، ابن عذاري، المصدر نفسه، ج2، ص 385؛ الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص 347؛ دوزي رينهارت، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، تر: كامل تيجاني، هنداوي، جمهورية مصر، ط1، 2012م، ص 30.

[5] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص 431.

[6] - ابن عذاري، المصدر السابق، مج2، ص 410.

ب- أحوال ملوك الطوائف:

زيادة على الأوضاع السياسية المتدهورة في الجزيرة والصراع على السلطة والنفوذ، فإن الفتنة العرقية لعبت دورا كبيرا في رسم خريطة هذه الممالك الطائفية، ومهدت لسلسلة من الصراعات والفتن والمعارك المتعددة، على هذا ترأس البربر المناطق الجنوبية للوادي الكبير، ومن ممالكهم:

- دولة بني برزال في قرمونة.[1]

- دولة بني يفرن في رندة.[2]

- بنو دمبر بمورور.[3]

- إمارة بني خزرون في أركش.[4]

[1]- بنو برزال رهط من زناتة، كانوا قاطنين بأرض المسيلة والزاب الأسفل من بلاد المغرب الأوسط، فلما وقع من مقتل زناتة على يد زيري الصنهاجي، جازوا إلى الأندلس، وأقاموا جندا تحت إمرة جعفر بن علي الأندلسي الذي وافقه في جوازهم للجزيرة الأندلسية، وما إن قامت الفتنة بها، فقاموا إلى حربهم واستقروا بمدينة قرمونة وأحوازها، ابن عذاري، المصدر السابق، مج2، ص 491.

[2]- بنو يفرن من زناتة المغرب، اجتاز بعضهم إلى الأندلس عند ابن أبي عامر يخدمونه، ثم استقروا برندة من قواعد تاكرنا، وكانوا في تحالف مع ابن عباد، إلى أن غدر بهم الأخير وأهلك أمراءهم، إلا باديس بن حبوس صاحب مالقة، ابن عذاري، المصدر نفسه، مج2، ص 491، 492؛ الحميري، المصدر السابق، ص 269.

[3]- بنو دمبر بطن من بطون زناتة، هم خوارج إباضية، دخل جدهم تازيري الأندلس أيام المنصور، ووزع عليهم المستعين أعمال مورور، والأخيرة متصلة بأحواز قرمونة، وهي في الغرب والجوف من كورة شذونة، وأحوازها، وكانت جباية كور مورور أيام الحكم بن هشام بن عبد الرحمن أحدا وعشرين ألف دينار، بولعراس خميسي، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400- 479هـ/ 100—1086م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2006، 2007م، ص 36؛ الحميري، المصدر السابق، ص 564.

[4]- أركش، حصن بالأندلس على وادي لكه، وهو مدينة أزلية قد خربت مرارا وعمرت، وبها شجر الزيتون، الحميري، المصدر السابق، ص 27.

- مملكة بني زيري الصنهاجيون[1] في غرناطة.

- بنو الأفطس في بطليوس.[2]

- بنو ذي النون في طليطلة.[3]

- بنو رزين في شنتمرية.[4]

أما العرب فتمكنوا من العديد من القواعد الأندلسية الكبيرة، ولهم خمس ممالك هي:

- دولة بني جهور[5] بقرطبة.

---

[1]- قدم حبوس بن ماكسِن إلى غرناطة بعد حروب صنهاجة قبيلته مع زناتة على خلفية الولاء للدولة العبيدية، كما غلب على قبرة ومدينة جيان، ثم خلفه ابنه باديس سنة 428هـ، إلى أن غلب ابن عباد على مالقة، ابن عذاري، المصدر السابق،مج2، ص 486- 490.

[2]- وهم بنو مسلمة، فجدهم الذي ملك بَطَلْيَوس وشنترين والأشبونة من بلاد غرب الأندلس، وآخرهم المتوكل الذي قُتل على يد جيش يوسف بن تاشفين، وبطليوس من إقليم ماردة، بينهما أربعون ميلا، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بإذن الأمير عبد الله له في ذلك، ابن عذاري، المصدر السابق،مج2، ص 467؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص 442؛ الحميري، المصدر السابق، ص 93.

[3]- كانوا في أول أمرهم خداما لدى الدولة العامرية، وكان أهل طليطلة بعثوا إلى ابن ذي النون، فأرسل إليهم ابنه إسماعيل، فاستولى على ملك طليطلة وأحوازها، وساس رعيته بما يرضيهم، فكانوا أعظم ملوك الطوائف، ولهم مواقف مع النصارى، وأخذوا قرطبة من يد ابن عباد المعتمد، وبلنسية من ابن أبي عامر، ثم استفحل أمر النصارى وأخذوا طليطلة منهم سنة 478هـ، وطليطلة هذه كانت دار الملك بالأندلس حينما دخلها طارق، بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمسة وستون ميلا، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومثلها إلى بلنسية وألمرية، ابن عذاري، المصدر السابق،مج2، ص 496، 497؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص 440، 441؛ الحميري، المصدر السابق، ص 393.

[4]- أقامها أبو مروان بن رزين، وجده هُذيل بن رزين المعروف بابن الأصلع، صاحب السهلة موسّطة ما بين الثغر الأقصى والأدنى من قرطبة، ابن عذاري، المصدر السابق،مج2، ص 429.

[5]- قدم أهل قرطبة الوزير أبا الحزم بن جَهْور وبايعوه بعد وفاة أبيه سنة 435هـ، وهذا أول أمر هذه الدولة، حتى سقطت سنة 456هـ حين تغلب ابن عباد على قرطبة، ابن عذاري، المصدر نفسه،مج2، ص ص 431- 484.

- بنو القاسم الفهريون في بونت.[1]

- مملكة بني عباد اللخميين[2] بإشبيلية.

- مملكة بني هود الجذاميين بسرقسطة.[3]

- بنو حمود الحسينيون[4] بقرطبة.

كما انفرد الفتيان العامريون[5] بمعظم المناطق الشرقية، وبناءً على هذا التقسيم، حاصله أن كان العنصر الغالب على قرطبة العرب، وعلى إشبيلية وطليطلة المولدون، وعلى غرناطة وقرمونة البربر.[6]

ولكل مملكة من الممالك المذكورة باختلاف أعراقها أخبارا ومآثر، فمن أخبار مجاهد العامري على سبيل المثال،وهو صاحب دانية والجزائر الشرقية (ميورقة ومنورقة ويابسة)، أنه دافع عنها وحماها

---

[1]- مؤسس الدولة هو عبد الله بن القاسم سنة 400هـ، وقاعدتها البونت، هي قرية من أعمال بلنسية.، بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص 33؛ الحميري، المصدر السابق، ص 115.

[2]- وأصلهم من لخم نسبا، ومن عرب الشام موطنا، وموضعه من حمص هو العريش الذي بين مصر والشام، دخل جدهم عطاف الأندلس عهد بني أمية بالأندلس، وانحازوا إلى إشبيلية وتولوا القضاء بها، إلى أن تغلب عليها القاضي أبو القاسم محمد بن عباد، ابن عذاري، المصدر السابق،مج2، ص 438، 439.

[3]- وأول ملوكها سليمان بن هود الجذامي سنة 431هـ، الذي استولى على لاردة، ثم نزل سرقسطة وسيرها دار ملكه، وكان لبني هود صولات وجولات مع النصارى خصوصا في مدينة بربُشتر، أما قاعدتها سرقسطة، وهي المدينة البيضاء، تقع بشرق الأندلس، وهي قاعدة من قواعد الأندلس، سقطت في يد النصارى سنة 502هـ، ابن عذاري، المصدر نفسه،مج2، ص 456، 459؛ الحميري، المصدر السابق، ص 317.

[4]- قامت سنة 431هـ بعد مبايعة المستنصر بسبتة، ولهم من الأمصار مالقة، ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 453.

[5]- أسّسها مجاهد العامري المنتزي على مدينة دانية والجزائر الشرقية (مايورقة، مانورقة، يابسة)، ثم بلنسية وشاطبة، ابن عذاري، المصدر السابق،مج2، ص 411.

[6]- نفح الطيب، ج1، ص ص 438- 442؛ حصباية محمد، الممالك المسيحية شمال الأندلس وعلاقتها بملوك الطوائف خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، مذكرة ماجستير في تاريخ العصور الوسطى، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009- 2010م، ص 74؛ بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص ص 33- 38.

من النصارى، بل ذكر له عبد الواحد المراكشي غزوه جزيرة سردينية[1]وغلب على كثير منها، إلا أن ابنه من بعده وهو علي بن مجاهد تعرض لمكر أخيه الأصغر حسنا، ومرد ذلك إلى أن أباه مجاهد رشحه للإمارة من بعده أيام كان ابنه الأكبر علي أسيرا لدى النصارى، فلما فداه أبوه قلده الأمر بعده، فأورثهما العداوة بينهما، واستمر علي بن مجاهد في دولته إلى أن أخرجه ابن هود منها.[2]

أما بنو جهور، فكان معقلهم قرطبة، حتى استولى عليها المعتمد بن عباد، وجعل عليها ولده، على هذا يقول المقري: "ثم كان له وعليه حروب وخطوب، وفرق أبناءه على قواعد الملك، وأنزلهم بها، واستفحل أمره بغرب الاندلس، وعلت يده على من كان هنالك من ملوك الطوائف، مثل ابن حبوس بغرناطة، وابن الافطس ببطليوس، وابن صمادح بألمرية[3] وغيرهم، فكانوا يخطبون سلمه، ويغلون في مرضاته، وكلهم يدارون الطاغية ويتقونه بالجزية..."،[4]وكان لبني زيري صراع مع بني عباد، ولبني هود حروبا سجالا مع الممالك الأخرى مثل بني النون، أو وقعة العامريين مع صنهاجة،[5]وعلى الجملة يقول صاحب البيان المغرب: "فمن هذا التاريخ كثرت الفتنة وتمادت، وانتزى كل أحد في موضعه، واستبد رؤساء الأندلس وثوارها بما في أيديهم من البلاد والمعاقل، وبغى بعضهم على بعض".[6]ومن آثار هذا الصراع والاستبداد تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس، فضلا على زيادة أطماع النصارى في التوسع على حساب أرض الإسلام أو المطالبة بالجزية.

[1]- جزيرة على طرف من البحر الشامي، دخلها مجاهد العامري سنة 409هـ، الحميري، المصدر السابق، ص 314.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق،مج2، ص 411، 413.

[3]- ألمرية: مدينة محدثة أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة 344هـ، وكان المسلمون يرابطون بها، الحميري، المصدر السابق، 537.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 439.

[5]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص 420.

[6]- المصدر نفسه، ج2، ص 410.

ج- الأوضاع الاقتصادية في الأندلس عهد ملوك الطوائف:

ج-1: الزراعة:

أرض الأندلس تتميز بخصوبتها التي أهلتها للازدهار في هذا المجال وتنوع الأنشطة الزراعية بها، فقد نقل المقري في النفح: "قال الرازي... طيبة التربة، مخصبة القاعة، منبجسة العيون الثرار، منفجرة بالأنهار الغزار، قليلة الهوام ذوات السموم، معتدلة الهواء أكثر الأزمان... وكذا سائر فصولها في أعم سنيها تأتي على قدر من الاعتدال... وفواكها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعدم... فمادة الخير متصلة كل أوان"،[1] ويذكر الحميري بعض مؤهلات الأندلس التي مكنتها من الازدهار في مجال الزراعة، ومن جملتها مدينة بلنسية، ونص كلامه: "وهي مدينة سهلية، وقاعدة من قواعد الاندلس في مستو من الأرض، عامرة القطر... وهي على نهر جار ينتفع به ويسقي المزارع، وعليه بساتين وجنات...".[2]

زيادة على توفر الإمكانيات الطبيعية، تميز الأندلسيون في هذا الميدان ببراعتهم في استنباط الماء وتزيين البساتين، وبناء الجسور والقناطر، ولهم أنظمة كنظام المدرجات في الجبال والمرتفعات، بل وألفوا فيها التآليف حتى غدت مدرسة قائمة بذاتها.[3]

ج-2: الصناعة:

كانت للصناعة مكانتها في المجتمع الأندلسي، فقد وجد الصناع والحرفيون ما يؤهلهم للإبداع في ميادينهم، من ذلك توفر المواد الأولية المهمة جدا، وهذا ما يؤكده الحميري في الروض المعطار ما

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 140.

[2]- الحميري، المصدر السابق، ص 97.

[3]- نادر فرج زيارة، الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية غزة، 2010م، ص 95، 60.

نصه: "والأندلس بقعة كريمة طيبة التربة كثيرة الفواكه، والخيرات فيها دائمة... وفيها معدن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والزئبق واللازورد والشب والتوتيا والزاج...".[1]

كما كان لكل مدينة من المدن الأندلسية خصوصياتها في نوع الصناعات والسلع التي اشتهرت بها، ففي المنتوجات الغذائية اشتهرت إشبيلية بصناعة زيت الزيتون، ومدينة شريش كانت تُعرف بضخامة أسواقها، وتميزت بصناعة أجود أنواع الجبن، حتى قيل من دخلها ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم، وتميزت مدينة قرطبة بصناعة الجلود، واشتهرت بلنسية بالصناعة النسيجية، وكانت تصدرها لبلدان المغرب الإسلامي، ومثلها مدينة ألمرية التي يقول عنها الحميري: "وبها من الصناعات كل غريبة، وكان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز، وتعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصبهاني والجرجاني والستور المكللة والثياب المعينة والعتابي والمعاجر وصنوف أنواع الحرير.[2]

ج-3: التجارة:

مما ساهم في ازدهار التجارة بالأندلس هو تنظيم الأسواق ومراقبتها، وتعد أسواق قرطبة من أغنى الأسواق، ولا يعرف في الدنيا شيء من توابل أو عطور أو منسوجات أو آلات لهو إلا وجلب إلى سوق قرطبة، فتجارها ليُسر حالهم كان بمقدورهم استيراد السلع المتنوعة من أماكن مختلفة، ويبدو أن الأندلس كانت محطا لزيارة الكثير من الأجانب، مما كان له أثر في انتشار الحوانيت التي تبيع كل ما يحتاجه المسافرون، كما اشتهرت تجارتها الخارجية، مثل تجارة الرقيق مع الإفرنج، وكانت ألمرية مرفأ ومرسى لسفر التجار المحليين والأجانب، فعرفت حركة تجارية كبيرة جدا، قال الحميري: "وكانت ألمرية تقصدها مراكب التجار من الاسكندرية والشام"، وقال في موضع آخر: "عامرة القطر كثيرة التجارات وبها أسواق"، وكان لإشبيلية وشلب علاقات تجارية مع سلا، والتعامل بالمقايضة معروف بينهما،[3]

[1]- الحميري، المصدر السابق، ص 32.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص 221؛ الحميري، المصدر السابق، ص 538؛ نادر فرج زيارة، المرجع السابق، ص 61.

[3]- الحميري، المصدر السابق، ص ص 97- 538؛ نادر فرج زيارة، المرجع السابق، ص 65، 66.

كما اشتهرت الأندلس بتجارة العنبر الموجود بكثرة في سواحلها، ونقل المقري عن المسعودي أنه كان يُجهز إلى مصر وغيرها.[1]

د- مآل الأحوال الاقتصادية عهد ملوك الطوائف:

خلّف هذا الانقسام والصراع والفتن دمارا كبيرا مسّ اقتصاد الأندلس، خصوصا الزراعة، وفشت الفاقة في أوساط المجتمع الأندلسي، وكثر النهب والسلب لدرجة خلو الأرياف والأحواز من ساكنيها، كونهم أكثر ضررا لغياب الحماية، ونزح أهلها للمدن المحصنة المصورة اتقاء القتل والأسر والسبي والاستعباد، ومن هذه الفتن والصراعات ما يعود لأواخر عهد الخلافة الأموية، نذكر ما سبق من فتنة البربر بدولة محمد المهدي بن عبد الجبار، حيث تعرض البربر لنهب ممتلكاتهم ودورهم، فأعلن البربر ثورتهم، وأحرقوا سوق السُّرادق، ودخلوا وادي الحجارة[2] واستباحوه وانتهبوه، وفي أيام فتنة البربر منع العامة عنهم المأكل والمشرب بأمر من محمد المهدي، فأقاموا خمسة عشر يوما يعيشون بحشيش الأرض،[3]وفي حرب بني الأفطس مع بني عباد اللخميين، تكبد فيها بنو الأفطس خسائر في الأرواح لدرجة أن بطليوس بقيت مدة من الزمن أغلب سكانها من الشيوخ والأطفال والنساء.[4]

ومما فاقم أوضاع الاندلس هو انغماس ملوك الطوائف في الترف والمجون، فظهر بينهم تنافس في بناء القصور الفاخرة، وامتلاك الجواري الحسان، مثل دفع هذيل بن رزين صاحب السهلة ثلاثة آلاف دينار في شراء جارية ابن عبد الله المتطبّب، بعد أن أحجمت الملوك عنها لغلاء سومها،[5] أو جباية مبارك ومظفر العامريين التي وصلت في أول ولايتهما إلى مئة وعشرين ألف دينار في الشهر من

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 143.

[2]- وتعرف بمدينة الفرج، وهي بين الجوف والشرق من قرطبة، وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلا، الحميري، المصدر السابق، ص 606.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 359.

[4]- حصباية محمد، المرجع السابق، ص 78.

[5]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 430؛ حصباية محمد، المصدر نفسه، ص 79.

بلنسية وشاطبة، يقول ابن عذارى في هذا الصدد: "وسلك مبارك ومظفر سبيل الملوك الجبارين في إشادة البناء والقصور والتباهي في عليّات الأمور إلى أبعد الغايات، ومنتهى النهايات"،وعن حال الرعية يقول: "يحثان بسوق الرعية المضطهدة بسلطانهما ولا يعبآن بما آذاها من كلفهما... حتى لغدا كثير منهم يلبسون الجلود والحُصُر، ويأكلون البقل والحشيش"، ومما يدل على أكلهما مال الرعية، أن المدينون لمبارك بعد موته انتهبوا قصره، ولم يدم هذا البذخ واليُسر بعد ولاية مبارك المذكور، ففي ولاية عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي عامر على بلنسية، قال ابن عذارى: "واستقرّ أمره على ضعف ركنه لعدم المال وقلة الرجال وفساد أكثر الأعمال"،[1] مما يدل على إسراف سابق أوهن خزانة الدولة ومصادر دخلها على السواء.

وكان للنصارى دور كبير أيضا من تدهور الاقتصاد الأندلسي وبؤس أهلها، ففي استيلاء النصارى على بلنسية ذكر صاحب البيان أحوال أهلها قائلا: "وعمد الطاغية... إلى الجلة من أهل بلنسية، فثقّفهم وأغرمهم حتى استأصل جميع ما عندهم، وجعل الناس في المحنة أسوة... ومما امتُحن به أهل بلنسية في هذه السنة المؤرخة: الغلاء... واستوى في عُدم القوت الفقراء والأغنياء...".[2]

هـ- علاقة ملوك الطوائف بملوك النصارى:

كان لمولك الطوائف أخبارا وأحداثا مع ملوك النصارى في فترات متفاوتة، في بعض الأحيان يقوم على المجاملة والتأييد من كلا الجانبين، وفي بعضها تقع حروب وغارات يبتدئها النصارى على ثغور المسلمين، ومن مظاهر هذه العلاقات المتقلبة، ما وقع بالدولة الهودية القائمة سنة 431هـ، حيث استعطف أحمد بن سليمان بن هود الجذامي صاحب بلاد النصارى المجاورة ليوقع بأخيه يوسف بن سليمان صاحب لاردة،[3]ولم يطل الزمن حتى خرجت إليه طائفة من الروم ونازلوا وشقة،[1] ثم ساروا إلى

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص 415، 419.

[2]- ابن عذارى، المصدر نفسه، مج3، ص 31.

[3]- في ثغر الأندلس الشرقي، الحميري، المصدر السابق، ص 507.

ببُشتر[2] وأخذوها من ابن هود، وعلى هذا يقول ابن عذارى: "ثم إن الروم دمرهم الله استطالت أيديهم في مدة ابن هود على بلاد المسلمين بالثغر الأعلى، فأخذ معهم ابن هود في إعطاء الجزية وصالحهم، فأخذ الطاغية ما الذي رتّبه عليه وقسمه على رعيته وعلى أهل عسكره... ولم يزل المقتدر بالله ابنُ هود يضعف والروم يتقوّون عليه إلى أن رماه الله بعلة في جسده أذهبت حسه وعقله".[3]

كما كان لبعض الملوك منفذا في بلاد عدوه هربا من صراعاتهم الداخلية، ومن ذلك لحاق النصراني ألفونس بابن ذي النون في طليطلة خارجا من أسر أخيه شاشنه، ثم عاد لسمورة[4] من بلاد النصارى، وكان قد عاين أمر طليطلة وطمع فيها،[5]ومثله لبيب الصقلي الذي قدمه أهل بلنسية عليهم بعد موت مبارك، فأحدث فيهم أحداثا مقتوه بها، فلاذ بالطاغية أمير الإفرنج، أما علي بن مجاهد العامري وهو من ملوك الطوائف، فقد كان أسيرا لمدة طويلة لدى النصارى في وقعة سردينية مع أبيه، ثم افتداه الأخير ورشحه لخلافته.[6]

ومن صور الاستمالة وشراء السلم ما تحقق بالمصاهرة، وهذا ما ذهب إليه منذر بن يحي صاحب سرقسطة، حيث استمال ملوك النصارى بمصاهرته لهم، حتى أنكرت عليه الرعية أمره هذا، يقول ابن عذارى: "وكان لأول ولايته قد ساس عظماء الإفرنج فحُفظت أطرافه إلى أن مضى بسبيله والثغر مسدود لا ثغرة فيه، وبلغ من استمالته طوائف النصرانية أن جرى بين يديه وبحضرته عقد مصاهرة بعضهم، فقذفته الألسنة لسعيه في نظم سلك النصارى وقد قيل: إن رأي منذر كان في ذلك أحصف

[1]- مدينة حصينة، تقع شرق سرقسطة، وبينهما مسافة خمسين ميلا، الحميري، المصدر نفسه، ص 612.

[2]- هي مدينة من بلاد بربطانية بالأندلس، غزاها النصارى، ثم أعادها سليمان بن هود صاحب سرقسطة سنة 457هـ، بعد أن ملكها النصارى تسعة أشهر، الحميري، المصدر نفسه، ص 90، 91.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص ص 456- 462.

[4]- هي دار مملكة الجلالقة، غزاها عبد الرحمن بن محمد الخليفة الأموي بالأندلس سنة 327هـ، الحميري، المصدر السابق، ص 324.

[5]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص 464.

[6]- المصدر نفسه، مج2، ص ص 412- 418.

ممن قدح فيه لنظره في صلاح وقته وعلمه بانصداع عصى أهل كلمته، فآثر من الموادعة ما ستر به العورة وسدّها بيسير الكلفة"،[1] أما ابن عمار، والي المعتمد بن عباد على شلب، فذهب إلى استخدام الحيلة والتدبير، وبها استطاع دفع حملة ألفونس السادس ملك قشتالة على إشبيلية وقرطبة، واشتهر أمر ابن عمار ببلاد الأندلس حتى كان ملك قشتالة المذكور إذا ذُكر عنده ابن عمار قال: هو رجل الجزيرة![2]

أما الجزية فقد كانت مفروضة على كثير من ملوك الطوائف، أرغموا على دفعها حفظا لعروشهم ومدنهم، ومن ذلك خروج الطاغية النصراني فرذلند بن شنجه ملك الجلالقة بأرض الأندلس بجيوشه النصرانية، وأرسل سرية إلى مدينة شنترين،[3] فعاجله ابن الأفطس قبل وصوله، واتفقا على أن يدفع ابن الأفطس إتاوة سنوية قدرها خمسة آلاف دينار،إلا أن الجزية لم تدفع كل أذى النصارى ولم تفي بمطلوبهم أو تكبح أطماع ملوكهم، وجماح جيوشهم، فيقول صاحب البيان: "ولم يزل عدو الله فرذلند يقوى والمسلمون يضعفون بغرم الجزية للنصارى إلى أن نزل اللعين على مدينة قامرية[4] سنة 456هـ"،[5]كما سقطت مدينة طليطلة من يد بن ذي النون سنة 478هـ، ودخلها ألفونس السادس السادس ملك قشتالة،[6]وكان للمعتمد بن عباد خطوب عظيمة اضطرته للجواز إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قائد جيوش المرابطين،[7] وخلاصة القول من صاحب البيان ما نصه: "ولم يزل ثغر

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص 426، 427.
[2]- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 91.
[3]- مدينة معدودة في كور باجة، الحميري، المصدر السابق، ص 346.
[4]- قامرية، أو قمرية، وهي من بلاد برتقال. الحميري، المصدر نفسه، ص 471.
[5]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 468، 469.
[6]- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 60.
[7]- دوزي، المرجع السابق، ص ص 266- 269.

الأندلس يضعف والعدو يقوى والفتنة بين أمراء الأندلس قبحهم الله تستعر، إلى أن كلب العدو على جميعهم وملّ من أخذ الجزية ولم يقنع إلا بأخذ البلاد وانتزاعها عن أيدي المسلمين".[1]

و- استيلاء المرابطين على الأندلس وإنهاء عهد ملوك الطوائف:

أجمعت المصادر على أن أول أمر المرابطين بالأندلس وأميرهم يوسف بن تاشفين، يعود إلى المعتمد بن عباد الذي استنجد بيوسف المذكور سنة 479هـ، يقول المقري: "إلى أن ظهر يوسف بن تاشفين، فتعلقت آمال الاندلس بإعانته، وضايقهم الطاغية في طلب الجزية، فقتل المعتمد اليهودي الذي جاء في طلب الجزية للطاغية، بسبب كلمة آسَفَه بها، ثم أجاز البحر صريخا إلى يوسف بن تاشفين..."،[2]ويشير عبد الواحد المراكشي إلى مآل هذا الاستنجاد قائلا: "فرجع المعتمد إلى الاندلس مسرورا بإسعاف أمير المسلمين إياه في طِلْبته، ولم يدر أن تدميره في تدبيره، وسلَّ سيفا يحسبه له، ولم يدر أنه عليه..."،[3]ويقصد بذلك ما يكون بعد هذا الأمر من ضم يوسف بن تاشفين الأندلس إلى دولة المرابطين، واعتقاله للمعتمد.

دخل المرابطون الأندلس وانضم إليهم المعتمد بعساكره، والتقوا مع الطاغية في الزلاقة يوم الجمعة الثالث عشر من رمضان في سنة 480هـ،[4] فكانت الوقعة على النصارى عظيمة، واشتهرت بمعركة الزلاقة التي نصر الله فيها المسلمين، وأبعد عنهم أطماع النصارى وأراح ملوك الأندلس وأمرائها من الجزية الثقيلة التي كانوا يدفعونها لألفونس.

إضافة إلى إشارة صاحب المعجب إلى مآل استنجاد المعتمد بيوسف بن تاشفين، ذكرت بعض المصادر التاريخية مواقف لفتت انتباه أمير المسلمين، ولمحت إليه على ضرورة بسط نفوذه على

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 469، 470.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 439.

[3]- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 98.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 439.

الأندلس، من ذلك ما أشار إليه صاحب المعجب حينما عبر يوسف المذكور الأندلس، ولقيه المعتمد: "وتلقاه المعتمد في وجوه أهل دولته، وأظهر من برّه وإكرامه فوق ما يظنه أمير المسلمين، وقدّم إليه من الهدايا والتحف والذخائر الملوكية ما لم يظنه يوسف عند ملك، فكان هذا أول ما أوقع في نفس يوسف التشوف إلى مملكة جزيرة الاندلس"، ثم يذكر نفس المصدر تحركات أمير المسلمين بعد وقعة الزلاقة، واستكشافه لأرض الأندلس وجغرافيتها، فذكر: "ثم إنه أحب أن يجول في الاندلس على طريق التفرج والتنزه، وهو يُريد غير ذلك، فجال فيها ونال من ذلك ما أحب..."،[1] كما تصرف يوسف بن تاشفين في بعض أمور الأندلس، مثل إصلاحه بين المعتمد على الله وابن رشيق صاحب مرسية،[2] على أن يخرج ابن رشيق هذا عن مدينة مرسية، ويعوضه المعتمد عن ذلك بالمال، ويوليه في ناحية إشبيلية، ومن جملة تصرفاته أيضا أن طلب منه الفقهاء بالأندلس رفع المكوس والظلامات عنهم، فتقدم بذلك إلى ملوك الطوائف، فأجابوه بالامتثال.[3]

عاد يوسف بن تاشفين إلى مراكش، ونفسه تحدثه في أمر الأندلس، زاد من ذلك تأليب المعتصم بن صمادح صاحب ألمرية لأمير المسلمين على المعتمد، بعد أن قربه يوسف واستأثره على المعتمد، فضلا على رجوع ملوك الطوائف إلى سابق عهدهم، يقول المقري في هذا الصدد: "حتى إذا رجع من بلادهم رجعوا إلى حالهم، وهو خلال ذلك يردد عساكره للجهاد، ثم أجاز إليهم وخلع جميعهم، ونازلت عساكره جميع بلادهم، واستولى على قرطبة وإشبيلية وبطليوس وغرناطة وغيرها، وصار المعتمد بن عباد كبير ملوك الأندلس في قبضته أسيرا بعد حروب، ونقله إلى أغمات قرب مراكش سنة 484هـ".[4] فكان هذا آخر ذكر لملوك الطوائف بعد حوالي 62 سنة من التشرذم والصراعات والفتن كادت تذهب بالأندلس مبكرا.

---

[1]- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص ص 99- 101.

[2]- وهي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، الحميري، المصدر السابق، ص 539.

[3]- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 99؛ المقري، المصدر السابق، ج1، 439.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 439؛ المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص ص 101- 105.

الفصل الأول:

تركيبة المجتمع الأندلسي وطبقاته

المبحث الأول: تركيبة المجتمع الأندلسي

المبحث الثاني: طبقات المجتمع الأندلسي

تألّف المجتمع الأندلسي من عناصر بشرية مختلفة ومتنوعة اختلفت أصولها البشرية، ومن هذه العناصر ما هو محلي مثل المسيحيين واليهود وهم أصحاب البلاد، وعناصر أخرى طرأت على المجتمع الأندلسي كالفاتحين العرب والبربر والصقالبة والسودان وعناصر أخرى حديثة الظهور والتي جاءت نتيجة الاختلاط بين النصارى والمسلمين وتمثلت هذه الفئة في فئة المولدين أو المسالمة.

المبحث الأول: تركيبة المجتمع الأندلسي:

أ- العرب:

يعود تواجد العرب في الأندلس إلى عهد موسى بن نصير[1]، لما بعث بطارق بن زياد[2] إلى الأندلس مع جيش معظمه من البربر والموالي، وقلة قليلة من العرب،[3]وكان ذلك سنة 92 للهجرة، فلما تمّ لطارق بن زياد الفتح، أتبعه موسى بن نصير مع كثرة من العرب، فكان أكبر عبور لهم لجزيرة الأندلس، قال المقري: "ونهض -أي موسى بن نصير- من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة في عسكر ضخم من وجوه العرب الموالي وعُرفاء البربر...".[4]

من جملة العرب الداخلين إلى الأندلس بطون اليمنيين والمضريين والقيسيين والفهريين، وبينهم عصبيات وفتن، فقد قال المقري: "والقحطانية هم المعروفون باليمانية، وكثيرا ما يقع بينهم وبين

---

[1]- موسى بن نصير: أمير إفريقية والمغرب، وليها سنة تسع وسبعين، وقد ألف في أخبار فتوح الأندلس، روي أنه مات بمرِّ الظهران، ينظر: عبد الله بن فتوح الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح وتع: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1429هـ/2008م، وجمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص499.

[2]- طارق بن زياد: ويسمى طارق بن عمرو، فاتح الأندلس المشهور، أول من غزا الأندلس سنة اثنتين وتسعين للهجرة. الحميدي، المصدر نفسه، ص356.

[3]- مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989م، ص 17.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 233.

المضرية وسائر العدنانية الحروب بالأندلس"[1]، مست الولاة في عهدهم، مثل ثعلبة بن سلامة الجذامي[2] الذي خرج عن طاعته الفهريون، كما عزلت قيسٌ أبا الخطار[3]، وقد نعته المقري فقال: "وكان أبو الخطار أعرابيا عصبيا، أفرط عند ولايته في التعصب لقومه من اليمانية، وتحامل على المضرية، وأسخط قيسا..."،[4]ولم تنته هذه الفتن إلا في عهد المنصور بن أبي عامر[5] الداهية الذي ملك الأندلس، فشتت جمعهم، وقطع التحامهم وتعصبهم، وقدم القواد على الأجناد، فيكون في جند القائد الواحد فرقٌ من كل قبيلة، وبهذا قطع صولتهم وأنهى صراعاتهم وتنافسهم.[6]

وفي تفصيل بعض من دخل الأندلس من العرب الذين كانوايتميزون بالقبائل والعمائر والبطون والأفخاذ، بنو هاشم، ومنهم الأدارسة، ومن العرب أيضا بنو حمود، ومنهم من اختص باستيطان المدن، فبإشبيلية بنو زُهرة، وبالحصن المدوّر بنو مخزوم، وبطليطلة وأعمالها الكنانيون الذين منهم القاضي أبي الوليد، والوزير أبو جعفر، وبكورة تُدمير بجهة أريولة هُذيل بن مدركة بن إلياس، وبنو

---

[1]- المصدر نفسه، ج1، ص 293.

[2]- ثعلبة بن سلامة الجذاميمن أمراء العساكر التي لقيت خوارج البربر بنواحي طنجة، وانهزم إلى الأندلس مع بلج بن بشر وجماعة من أهل الشام وأثاروا الفتن فيها، ينظر: أحمد بن يحي الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، باب الجيم، ص217.

[3]- قيسٌ أبا الخطار ولي إمرة الأندلس من قبل حنظلة والي إفريقية بأمر من الخليفة هشام، وكان ذلك في شهر رجب، كان من الذين ثاروا على عبد الرحمان بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع. ص321.

[4]- المقري، المصدر نفسه، ج1، ص ص 237- 292.

[5]- المنصور بن أبي عامر: المنصور محمد بن أبي عامر، هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر المعروف بالمنصور، المعافري القحطاني، أصله من الجزيرة الخضراء، تولى زمام الأمور لما مات الحكم المستنصر سنة 366هـ. ينظر بن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: محمد علي شوابكة، دار عمار، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، ص154.

[6]- المقري، المصدرالسابق، ج1، ص 293.

ربيعة بمدينة وادي آش[1]، هذا فيما يخص العدنانية، ولكل من هذه البطون أعلاما وأمراء وقياد وقضاة، فصل صاحب النفح في كثير منهم وفي أنسابهم العربية.[2]

أما من عرب القحطانية، فمنهم بنو القُليعي من أعيان غرناطة، وكثير منهم بقرية على طريق مالقة، ومن الأزد من ينتسب إلى الأنصار على العموم، وهم الجمّ الغفير بالأندلس، وكان جزء منهم بناحية طُليطلة، ومن الخزرج أبو بكر عبادة بن عبد الله، ومن قيس بن عبادة ينتسب بنو الأحمر سلاطين غرناطة، ومنهم الغافقيون[3] بجهات شقورة، وبنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة، وفيها أيضا بنو سِماك القضاة، وبها بنو عبد السلام[4] أعيانها، وبإشبيلية بنو عباد اللخميين، وبنو هود ملوك شرق الأندلس، والأصبحيون من أعيان قرطبة، والهوزنيون من أعيان إشبيلية، وفيها البَلَويون أولاد بلي من ولد قضاعة كذلك، وبنو جُهيم[5] بقرطبة جماعة، أما الحضرميون فمنهم بمُرسية وغرناطة وإشبيلية وبطْليوس وقرطبة، وغيرهم الكثير.[6]

ب- البربر:

وأول أمر البربر بالأندلس كانت يوم دخول طارق بن زياد إليها، وكان معه إثنى عشر ألفا بربريا لفتحها، فكان جل فتوحات الأندلس على يديهم، فاستولوا على كثير من مدنها، خاصة قرطبة

[1]- وادي آش، مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة، من شرقها جبل شلير، كثيرة الخيرات والثمار، بقربها قرية بها عين تجري سبعة أعوام وتغور سبعا، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص604.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص ص 290- 293.

[3]- الغافقيون، يعود نسبهم إلى بنو أسلُم ابن القيانة بن غافق، ومنهم كان أمير الأندلس عبد الرحمان بن عبد الله بن مخش بن زيد بن جبلة بن ظهير بن العائد بن عائذ بن غافق بن الشاهد بن علقمة بن علّ. ينظر: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف للنشر، القاهرة، ط5، د.ت، ص329.

[4] وهو بنو عبد السلام بن سرى بن هاشم بن عبد السلام بن أبي رواحة بن مسلم بن عبد الكريم بن بشير بن النعمان بن بشير. ينظر: ابن الحزم، جمهرة انساب العرب، ص365.

[5]- بنو جهيم: من بني تميم:ينظر، أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي، المغازي، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ص367.

[6]- المقري، المصدر نفسه، ج1، ص ص 293- 298.

قاعدة ملك القوط لذريق،[1]ولم تقتصر هذه الأعداد من البربر ممن شاركوا مع طارق بن زياد، بل إن تيار الهجرة البربرية تواصل بعد ذلك بغية التماس الغنائم أو الاستقرار في المناطق ذات الخيرات، حيث يذكر المقري عن هذا التدفق البربري على الجزيرة الأندلسية بقوله: "وتسامع الناس من أهل برّ العُدوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغانم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر، فلحقوا بطارق"[2] ومن الطبيعي أن يكون البربر أكثر من العرب، لقرب مساكنهم من الأندلس، ولتفوقهم العددي في أول أمرهم مع طارق بن زياد كما تقدم، ثم لشغفهم الكبير بمنازل الأندلس وما تحويه من خيرات، خاصة وأنهم يعتبرون أنفسهم فاتحي الأندلس، ولهم الفضل الأوفر في دخول مدنها وقواعدها.

تعرض التواجد البربري بالأندلس لاضطراب، وهجرة الوافدين منهم إلى الأندلسللتذبذب، ويعود ذلك إلى الثورة التي أعلنوها ضد الحكم الأموي عامة والعرب خاصة، وكان ذلك سنة 123هـ، سببه احتكار العرب للسلطة واستبدادهم بها، فضلا على استئثارهم بخيرات الأندلس على حساب إخوانهم البربر.[3]

استؤنفت هجرة البربر إلى الأندلس بعد هذه الثورة، مستغلين الفتنة الواقعة بين العرب القيسية واليمنية،[4]وبلغت الهجرة أوجها في القرن الرابع الهجري، خاصة في عهد الحكم المستنصر، ومردّ ذلك إلى الصراع الأموي الفاطمي في المغرب، وانقسامهم إلى مؤيد للفاطميين ومؤيد لبني أمية.[5]

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق،مج2، ص 12.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 259.

[3]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الاموية، مؤسسة شباب الجامعة، جمهورية مصر، 1993م، ص ص 4- 8.

[4]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع نفسه، ص 8.

[5]- بولعراس حميسي، المرجع السابق، ص 45.

كما تعرض البربر لاضطهاد آخر سنة 399هـ، كان سببه المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار[1]، القائم على الخليفة الأموي هشام المؤيد، ومرد ذلك إلى مناصرة البربر للعامريين وزراء الأمويين، خاصة لما استتب للعامريين الحكم من وراء الخليفة المذكور، والذي بلغ أوجه عهد الحاجب عبد الرحمن بن أبي عامر[2]،فأعلن البربر ثورتهم على حكم المهدي، وقدموا عليهم هشام بن سليمان، إلا أنه قُتل وتعرض البربر لنكبة يقول فيها صاحب البيان: "فأحال يومئذ المهدي على من كان بقرطبة من البربر عامة قرطبة، فاستحالوا عليهم قتلا وأسرا وغارة حتى استرقوا منهم طائفة، ففر على من قدر الفرار منهم"،[3]ثم بايع البربر سليمان بن حكم بن الناصر لدين الله[4]، واستعان بالنصارى، فكانت الكرّة للبربر على المهدي وأهل قرطبة، وبقي الصراع على حاله إلى أن قُتل محمد المهدي على يد عبيد من قرطبة.[5]

أما عن بيوتات البربر في الأندلس فقد فصل فيهم ابن حزم في الجمهرة، نذكر منهم:

[1]- محمد بن هشام بن عبد الجبار، بن عبد الرحمان الناصر، ولد سنة ست وستين وثلاثمائة، استولى على قرطبة وبعدها بأيام خرج إلى قتال البربر، ولقي الهزيمة، وانصرف إلى قرطبة ليثب عليه العبيد مع واضح الصقلبي وقتلوه بعد ولاية دامت 16 شهرا، ينظر: الضبي، بغية الملتمس، المصدر السابق، ص25.

[2]- عبد الرحمان بن أبي عامر: ويسمى عبد الرحمان شنجول، قام بالأمر بعد أخوه عبد الرحمان وتلقب بالناصر لدين الله وجرى على سنن أبيه وأخيه في الحجر على الخليفة هشام. ثم أحضر الملأ من أرباب الشورى وأهل الحل والعقد لتولية العهد وكان ذلك يوما مشهودا، ينظر: المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، مجلد1، ص424

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق،مج2، ص 333، 334.

[4]- سليمان بن الحكم: في المرة الثانية من الحكم دخل قرطبة يوم الاثنين لثلاث بقين من شوال وأربعمائة، وانتقل إلى سكنى الزهراء ورتب الأمر وكتب بالتمكين إلى الجهات، وأخرج الولاة وقسم بعض كور الأندلس بين رؤساء القبائل البربرية، ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية للنشر والجماعة، بيروت، ج1-2،ص113.

[5]- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 39، 40، والحميدي، المصدر السابق، ص 38.

– شنت برية: وفيها عوسجة، الذي ينسب إليه بلاد عوسجة من أعمال المدينة المذكورة، وهم فرع من ملْزوزة، وفيها الأمراء من بني عزون زناتة، وبنو هذيل، وبنو نُعمان من مديونة[1].[2]

– مُنتانية: كان بها بنو زروال أمراؤها، وهم من مغيلة.[3]

– شنت فيلة: وفيها بنو الليث، وهم من زناتة.

– شذونة: وفيها بنو نبيه وبنو بني الأخطل، وفيها أيضا بنو إلياس من مغيلة.

– ماردة: وبها بنو فرفرِن.

– وادي الحجارة: وفيها بنو الفرج أمراء.

– إلبيرة[4]: وفيها بنو مُهلّب، وهم من كُتامة من زواوة.[5]

إن هذا التوزيع الذي تميزت به هذه البيوتات، واستقرار البربر في مدن معينة توزعت على جنوب الأندلس خصوصا، ساهم بشكل كبير في تشكيل جغرافية ملوك الطوائف، وكان للبربر ممالك خاصة بهم موازية للممالك العربية، ومنها: دولة بني برزال في قرمونة[6]، دولة بني يفرن في رندة،بنو

---

[1]– مديونة: منهم كان ثابت بن عامر المديوني، خال بني ذو النون والأمراء المعروفون ببني هذيل بشنت برية، وبنو النعمان بشنت برية رهط عامر بن فرح بن نعمان. ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص500.

[2]– ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ص ص 463- 465.

[3]– ابن حزم، المصدر نفسه، ص 463.

[4]– ألبيرة: ويقال لها يلبيرة أو لبيرة، كورة كبيرة من كور الأندلس، متصلة بأراضي كورة قبرة بينها وبين قرطبة تسعون ميلا. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص244.

[5]– ابن حزم، المصدر نفسه، ص 466.

[6]– قرمونة: ينسب إليها خطاب بن مسلمة بن محمد بن سعيد أبو المغيرة الإيادي القرموني صاحب قرطبة، وهي كورة بالأندلس، يتصل عملها بأعمال إشبيلية غربي قرطبة وشرقي إشبيلية، إفتتحها عبد الرحمان بن محمد الأموي. ينظر: الحموي، معجم البلدان، دار صادر للنشر، 1397هـ/1993م، ج4، ص330.

دمبربمورور، إمارة بني خزرون في أركش، مملكة بني زيري الصنهاجيون في غرناطة، بنو الأفطس[1] في بطليوس[2]، بنو ذي النون في طليطلة، بنو رزين في شنتمرية[3].[4]

ج- المولدون:

يُعتبر المولدون فئة مميزة ناتجة عن زواج المسلمين بالنصرانيات، أو هم المسلمون الإسبان في الأصل،[5] ويعود تواجدهم بشبه الجزيرة الأندلسية إلى السنوات الأولى من الفتح الإسلامي لها، حيث كانت حروب الفتح تأتي بآلاف من السبايا القوط الإسبان، يبين ذلك ما سيّره موسى إلى الخليفة الوليد من السبايا التي بلغت ثلاثون ألف رأس،[6] وهذا يتناسب طردا مع تواجدهم الكبير بالأندلس، يؤلفون غالبية السكان، وهكذا أصبح المولدون نتاج تزاوج العرب والبربر مع النصرانيات، وكان عبد العزيز بن موسى أول من تزوج بالنصرانيةإيخيلونا أرملة لذريق[7]، وذكرها المؤرخون باسم أم عاصم،

---

[1] - بنو الأفطس: نسبة إلى ابن مسلمة المعروف بابن الأفطس. ينظر: الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج2، ص20.

[2] - بطليوس: مدينة كبيرة بالأندلس، ومن الذين ينسبون إليها أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي(ت521هـ) وأبو الوليد هشام بن يحي بن حجاج البطليوسي (ت385هـ). الحموي، مصدر سابق، ج1، ص447.

[3] - شنتمرية: شنت مرية: ويراد به مريم بلغة الإفرنج، وهو عبارة عن حصن من أعمال شنتبرية، بها كنيسة عظيمة وذكر أن بها سواري فضة ولم ير الراؤون مثلها، ينظر: الحموي، سابق، ج3، ص367.

[4] - ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص ص 429- 497. و: المقري، المصدر السابق، ج1، ص 440، 441. الحميري، المصدر السابق، ص ص 93- 269- 393.

[5] - القادري بوتشيش إبراهيم، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، ص 43.

[6] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص 277.

[7] - لذريق: ملك إسبانيا آخر الملوك القوطيين، وكان الملك الذي وقع عليه خبر اقتحام العرب ساحل الأندلس، حيث نزل بقصر قرطبة المنسوب إليه حاليا "بلاط لذريق".المقري، نفح الطيب، ج1، ص247.

فحذا حذوه كثر من رجال العرب أمثال زياد بن النابغة التميمي[1]، وعيسى بن مزاحم زوج سارة القبطية.[2]

تعود أصول المولدين حسب الباحث إبراهيم القادري بوتشيش إلى الروم والجلالقة[3]والقشتاليين والجلالقة[3]والقشتاليين والأرغوانيين واليهود الذين استقروا في الأندلس قبل فتحها، ومن المولدين من اتخذ لنفسه أسماء عربية، وادعى النسب الشرقي مثل ابن حزم، بينما احتفظت بعض الأسر المولدية بأسمائها الإسبانية مثل بني شبريكو وبني قسي، وبني بشكوال،[4]وبني مرتين، بني غارسيه وبني غوميز، وابن مارتين، وشنجول، وابن شبطون، وابن لب، والأقشتين (أوغسطين)، بنو أنجلين، بنو شبرقة، بنو الجريج (جورج)، وبنو زدلف، ومنهم من نسي أصله.[5]

أما عن بني غوميزGomés فهم من قَسيّ قومس من أيام القوط، فلما افتتح المسلمون الأندلس التحق بالشام، وأسلم على يدي الوليد بن عبد الملك، وله من الأبناء فرتون وأبو ثور وأبو سلامة ويونس ويحي، وكانوا أمراء على تطيلة، كمايظهر أن لذريتهم دور كبير في ثورات الأندلس حسبما يُصرح به ابن حزم في جمهرة الأنساب، فموسى بن موسى بن فرتون عدّه أول الثوار، ولُب الذي ملك الثغر مع أبيه، وكان الكثير منهم مصيره القتل، وما هو إلانتاج اضطرابات وفتن وثورات، منهم مُطرّف المصلوب بقرطبة، وكل إخوته إسماعيل وموسى ومحمد قُتلوا غدرا على يد ابن عمهم لحّا محمد بن لب بن موسى بن موسى، ولعله صراع على السلطة داخل بيت بني غوميز، ومنهم ملك

---

[1]– زياد بن نابغة التميمي: من وجوه الجند الذين دخلوا الأندلس مع موسى بن نصير، وهو الذي تولى قتل عند العزيز بن موسى بن نصير أمير الأندلس بعد أبيه حين ثاروا به. الحميدي، جذوة المقتبس، ص314.

[2]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 30. وانظر: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1997م، ص 128.

[3]– الجلالقة: إحدى فروع الإفرنج مثلهم مثل الصقالبة، يدينون بدين النصرانية، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص50.

[4]– القادري بوتشيش إبراهيم، المرجع السابق، ص 43، 44.

[5]– بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص 52. الجبالي خالد حمد حسن، الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م، ص 103، 104.

طُليطلة محمد بن إسماعيل بن موسى بن موسى الذي قتله أهلها، وكان القتل مصير أبناء مُطرف المصلوب أيضا، وكانوا ثلاثة صُلبوا مع أبيهم المذكور في ساعة واحدة، أما البقية من بني غوميز فمنهم من لحق بالفاطميين بإفريقية كحال لُب بن محمد بن إسماعيل، ومنهم من ارتد للنصرانية كعبد الله وإسماعيل، وغير هذا من الأحداث البارزة كثير فصل فيها ابن حزم.[1]

ومن أمراء بيوت المولدين أيضا بنو عمروس بوشقة، وبنو شبراط، وهم بنو الطويل بوشقة وبربشتر،[2] ولا يدل هذا إلا على المرتبة العالية التي حازها المولدون في الأندلس حتى حكموا المدن وأقاموا الإمارات.

قام المولدون في آخر عهود الأندلس بثورة كبيرة، قادها ابن قسي، وابن مردنيشMartinez التي اعتبرها بعض الباحثين ثورة في إطار الشعوبية، وألبسوها ثوب القومية والعصبية، وهذا ما يُعارضه الباحث إبراهيم القادري بوتشيش الذي يُعبر عن رأيه بنص: "ولا نساير رأي بعض الباحثين الذين دمغوا هذه الثورات بطابع قومي، فتحليل هذه الثورات تعكس تذمرا ناتجا عن الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها الدولة المرابطية في مرحلتها الأخيرة، ولو أنها غلفت بغلاف العصبية المولدية".[3]

د- المستعربون:

كان العرب يُسمونهم بعجم الذمة، وهم النصارى الإسبان الذين عاشروا المسلمين، فتعلموا منهم العربية وتكلموا بها، مع تمسكهم بدين النصرانية، فعُرفوا بالمستعربين،[4] وامتزجوا بالمجتمع الإسلامي العربي لدرجة تقليدهم في الملبس والأسماء،[5] وإن كانوا يؤلفون جمهرة سكان البلاد في السنوات الأولى

[1]- ابن حزم، المصدر السابق، ص 467، 468.
[2]- ابن حزم، المصدر نفسه، ص 464.
[3]- إبراهيم القادري، المرجع السابق، ص 44، 45. وانظر: السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 129، 130.
[4]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ص 130.
[5]- بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص 54.

التي تبعت الفتح الإسلامي، إلا أنهم تراجعوا في العدد بازدياد الداخلين منهم إلى الإسلام، حتى أصبحوا فيما بعد من الأقلية.[1]

كان للمستعربين نظاما اجتماعيا خاصا، حتى كان لهم رئيس بكل مدينة يُسمى القومس، أول من وُلي هذا المنصب نصراني اسمه أرطباش، ويذكر ابن القوطية أن لهذا القومس أخبارا دارت بينه وبين عبد الرحمن بن معاوية[2]، وبين الشاميين الداخلين مع الأمويين والعرب، يبين هذا لاهتمام المسلمين بهذه الفئة والإشراف عليها من خلال رؤسائها، كما ذُكر بعض القمامسة من بعد، منهم أبو سعيد القومس من نسل أرطباش المذكور، وربما يدل على اشتهار هذه العائلة بتقلّد هذا المنصب وربما احتكاره، كما كان لهم قاضي خاص بهم يُسمى قاضي العجم، وأول من تقلد خطته حفص بن البر.[3]

اشتهر بعض المستعربين خاصة كبار هذه الفئة بحيازتهم لأملاك كثيرة، الذي يُعبر عن يُسر الحال ووفرة المال، فقد سكن أرطباش رئيسهم قرطبة وله من الضياع ألف ضيعة بوسط الأندلس، أما حفص بن البر، فهو من نسل رجل منهم يُسمى وقلة، وكانت له ألف ضيعة بشرق الأندلس، فلربما كان لحفص قاضي العجم نصيب منها عن طريق الميراث.[4]

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 130.

[2]- عبد الرحمان الداخل أو عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، اجتمع عليه وعلى ذريته أهل الأندلس رضي بهم دون بني العباس. ينظر: نفح الطيب، ج1، ص282.

[3]- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية ودار الكتاب اللبنانية، ط2، 1989م، مج2، ص 31. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 130، 131. شامخة فاطمة الزهراء وطالبي صابرينة، المولدون وأثرهم الحضاري في الأندلس، مذكرة ماستر في التاريخ السياسي والحضاري للأندلس، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الطاهر مولاي –سعيدة–، 2015- 2016م، ص 14.

[4]- ابن القوطية، المصدر السابق، مج 2، ص 31.

كما نبغ من المستعربين الكثير، ظهر ذلك في ترجمتهم للكتب الإسبانية إلى اللغة العربية والعكس، بفضل إجادتهم للغة العربية واللاتينية، فكانوا يمثلون حلقة الوصل والاتصال بين الحضارة الإسلامية العربية واللاتينية النصرانية.[1]

كذلك قام المستعربون دورا سياسيا هاما بمحالفتهم للمولدين ضد العرب في عصر الأمير عبد الله،[2] كما استغل بعضهم المساواة والتسامح الإسلامي ليطعنوا في الإسلام ويؤذون المسلمين وذلك في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني في قرطبة، وقد تزعم الفتنة والتمرد الديني بعض الغلاة ومنهم (ايلوخيو) و(الفارو) تدعمهم فئات متعصبة في الكنيسة المسيحية.[3]

بقي المستعربون على حالة من الحرية والعدالة الإسلامية والتسامح، إلى غاية قيام دولة المرابطين ودخولهم الأندلس، فتعرضوا لاضطهاد كبير، وربما يعود ذلك إلى تحسس المسلمين منهم في وقت استفحلت قوة النصارى القشتاليين على المسلمين، وكان المستعربون من الفئات الأكثر قابلية للتواصل مع الأعداءيُسيرون جواسيس لصالحهم، لهذا فرّ الكثير منهم إلى الشمال حيث بلاد النصارى.[4]

هـ- الصقالبة:

الصقالبة من ولد مار بن يافث بن نوح على قول المسعودي،[5] ومفرده صقلاب، أرضهم متاخمة لأرض الخزر في أعالي جبال الروم، والظاهر هي أرض الروس لقول صاحب تلفيق الأخبار: "مدينة الصقالبة -بلغار- ضاربة في الشمال شديدة البرد لا يكاد يقلع الثلج عن أرضهم صيفا ولا

---

[1]- شامخة فاطمة الزهراء وطالبي صابرينة، المرجع السابق، ص 14.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 132.

[3]- محمد بشير حسن العامري، تاريخ بلد الاندلس في العصر الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 85.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 132.

[5]- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: مصطفى السيد بن أبي ليلى، المكتبة التوفيقية، مصر، ج2، ص 28.

شتاء"، وهم قوم صُهب الشعور حمر الألوان ذوو صولة شديدة،[1] أما ديانتهم فمنهم على دين النصرانية، "ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد إلى شريعة: وهم جاهلية لا يعرفون شيئا من الشرائع".[2]

أما الأندلسيون حسب الباحث محمد عبد الله عنان، فكانوا يطلقون اسم "الصقالبة" على الأسرى والخصيان من الأجناس الصقلبية (السلافية) الحقيقية، ثم أصبحت تطلق مع مرور الزمن على جميع الأجانب الذين يخدمون في البطانة وفي القصر، ومن أسمائهم في الأندلس أيضا: الفتيان، المجابيب، العلوج، الخرس، والمماليك، وكان أولئك الصقالبة مزيجا من الجليقيين (النصارى الإسبان) والألمان والفرنسيين واللومبارديين والإيطاليين، وكان معظمهم يؤتى بهم أطفالا بواسطة خوارج البحر وتجار الرقيق، وكانوا يختارون من الجنسين، ويربون منذ الحداثة تربية عربية حسنة، ويلقنون مبادئ الإسلام، وقد نبغ بعضهم في النثر والنظم وصنفوا الكتب والقصائد،[3] فصنف أحدهم وهو حبيب الصقلبي كتابا في فضائل الصقالبة بعنوان "الاستظهار والمغالبة في من أنكر فضائل الصقالبة"،[4]

شاعت تجارة الصقالبة في الأندلس لدرجة كبيرة خاصة في عهد الأمويين، حتى أدرجت مسائل تتعلق بهم في كتب الفقه وفصول المعاملات،[5] كما تبوأ الكثير منهم مناصب كبيرة في الجيش وبين رجالات القصر الملكي، وهذا بحكم استغلالهم في شؤون القصور خاصة الخصيان منهم، وبدأ شأن الصقالبة هذا في عهد الناصر، الذي أعلن عن إصلاحات عديدة منها إدخال عنصر الصقالبة في الجيش، لتحسينه والحد من المنازعات بين القبائل العربية والبربرية ومن أجل زيادة أعداد المقاتلين، ويتحمل

---

[1] – الرمزي، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص ص 255-293.

[2] – المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص 28.

[3] – انظر: محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1970، ص 192، 193. وانظر أيضا: الدسوقي نوال، التأثير الإسباني في المجتمع الاندلسي وصورته في الأدب، ماجستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، 1996، ص22.

[4] – العامري محمد بشير حسن راضي، المرجع السابق، ص 114.

[5] – التنوخي سحنون بن صعيد، المدونة الكبرى ويليها مقدمات ابن رشد لبيان ما اقتضته المدونة من الأحكام، تح: زكرياءعميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص 391.

الصقالبة المسؤولية في نكسة الخليفة الناصر في معركة الخندق عام 327هـ/ 939م مع مملكة قشتالة، ويتهم القائد نجدة الصقلبي بالخيانة، حيث أمر الخليفة الناصر[1] بعد خسارته في المعركة بقتل نجدة عقوبة لذنبه.[2] كما سعى الحاجب المنصور العامري إلى تعيين كبار قادة الصقالبة في المغرب للاعتماد عليه كليا في حرب زيري، واستقدم ابن عامر غلامه واضح الصقلبي الكبير من مدينة سالم، وكان أوثق غلمانه عنده، فعقد له على كور المغرب وقلده حرب زيري البربري.[3]

ومن مظاهر الحضور الصقلبي في قصر الخلافة، ما أورده المقري عن مراسيم مبايعة الخليفة الحكم المستنصر[4]، فكان أول ما أخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر، ولهذا اللفظ وزنه ومدلوله في الاصطلاح السياسي وتركيب نظام الخلافة الأموية بالأندلس، ومن هؤلاء الصقالبة صاحب الخيل جعفر، ثم تكفّل هؤلاء بأخذ البيعة على من وراءهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم، ويدل هذا أيضا إلى أن الصقالبة كانوا على مراتب ومناصب تتراوح في مقامها وأهميتها، أعلاها الخلفاء الأكابر، كما وصف المقري مجلس البيعة والصقالبة فقال: "وفي الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابسين البياض، بأيديهم السيوف، يتصل بهم مّن دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة".[5]

---

[1] –الخليفة الناصر: عبد الرحمان الناصر، كانت ولايته من المستطرف لأنه كان في ذلك الوقت شابا، وبالحضرة جماعة أكابر من أعمامه وأعمام أبيه وذوي النسب من أهل بيته فلم يعترض معترض واستمر له الأمر. الحميدي، المقتبس، ص32.

[2] – العامري محمد بشير حسن راضي، المرجع السابق، ص 114.

[3] – العامري، المرجع نفسه، ص 149.

[4] – الحكم المستنصر: يلقب بالمستنصر بالله يكنى أبا العاص، أمه أم ولد تدعى "مرجان"، كان المستنصر محبا للعلم ويهوى جمع الكتب، تولى الخلافة بعد الناصر لدين الله، ولي حجابته جعفر المصحفي، ولأول وفاة الناصر طمع الجلالقة في الثغور، فغزا الحكم الحكم المستنصر بنفسه واقتحم بلد فرذلند بن غندشلب، ومازال المستنصر مواصلا لغزو الروم حتى مات في صفر سنة ست وستين وثلاث مائة.الحميدي، ص35، 36. المقري، نفح الطيب، ص382.

[5] – المقري، المصدر السابق، ج1، ص 387.

هذا فضلا عن استثمار عنصر الصقالبة في المعاملات الدبلوماسية بين الملوك،يقول المقري: "بعث ملكا برشلونة وطركونة[1] وغيرهما يسألان تجديد الصلح وإقرارهما على ما كانا عليه -أي عدوانهما على المسلمين بأحد الثغور- وبعثا بهدية، وهي عشرون صبيا من الخصيان الصقالبة..."، ولعل الملكين النصرانيين تطلعا لأهمية الصقالبة عند الخلفاء.[2]

إن هذا الارتقاء التي وفّره الخلفاء والأمراء بالأندلس كان له أثر بارز في آخر عهد الإسلام بالعدوة الأندلسية، فهددوا استقرار الأمراء وملوك لكثرتهم ولتوليهم المناصب الحساسة، وهذا ما حدث في ولاية هشام[3]، الذي يقول فيها ابن عذارى: "وذلك أنه لما تمكنت الوحشة ما بين جعفر والصقالبة؛ انحرفوا عنه، وكرهوا ولاية هشام، فأخذ جعفر حذره منهم، وأذكى العيون، وبلغه أن جُؤذرا وفائقا يُدبّران على الدولة، ويدسان في ذلك إلى بعض من في قيادتهما من وجوه الغلمان والفحولة...".[4]

كما كون هؤلاء الصقالبة فئة تُعد من الطبقة الأرستقراطية سرعان ما شاركت في تقسيم الإمارات وتوليها والانفراد بالمدن، وهذا ما كشف عنه المستشرق ليفي بروفنسال في قوله: "وسرعان ما نراهم وقد كونوا طبقة حقيقية ذات امتياز، وفيما بعد نجدهم على إثر سقوط الخلافة، يكونون عصبة تناهض في آن واحد الحزب العربي الأندلسي وحزب البربر، بانتظار أن يتمكن أشدهم بأسا

---

[1]- طركونة: تعتبر من أهم مدن كتلونية، ينظر: شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج2، مطبعة الرحمانية، مصر، ط1، 1455هـ/1936م، ص199.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص ص 384- 386، 387.

[3]- هشام المؤيد، يكنى أبا الوليد، أمه تسمى صبح وكان إذ ولي عشر أعوام وأشهر ، وصرف هشام إلى الأمر يوم الأحد السابع من ذي الحجة سنة أربع مئة وجيوش البربر تحاصره مع سليمان ابن الحكم بن سليمان وهناك قتل، الحميدي، المصدر السابق، ص33.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص 254، وعنان محمد عبد الله، المرجع السابق، ص 203، 204.

من تنظيم إمارات صغيرة مستقلة لأنفسهم، في دينيا Dénia [دانية][1] وفي فالانسيا [بلنسية] وفي توروتوزا [طرطوشة][2] على طول الشاطئ الشرقي لشبه الجزيرة".[3]ولنا من لبيب الصقلي[4] خير مثال على توليه بلنسية، واستحداثه أمورا مقته الناس عليها، لدرجة استلطافه للنصارى حتى صار أحد عمالهم،[5]لهذا كان ما وصله هؤلاء إنما فرصة اسُتغلت، وظروف فرضت وأملت هذا المآل، ولم يزدهم ذلك شرفا ولا مقاما، بل لا زالوا في أعين الناس عبيدا خداما، حيث يقول ابن الخطيب: "وصاروا يُعلّلون باستخلاف خصيّ من فتيان آل عامر ملازما للسكر، محبوبا للأنثى والذكر، فيقنعون به إماما، ويجهرون جما في طريقه سلاما، ويقف أعلامهم ببابه خُدّاما...".[6]

و- اليهود:

يعود التواجد اليهودي بشبه الجزيرة الأندلسية إلى ما قبل الفتح الإسلامي،[7]حيث يُحدد مجيئهم مجيئهم مع طلائع الفينيقيين في القرن العاشر قبل الميلاد، وتبعتها مجموعة ثانية إلى الأندلس أيام

---

[1]- دانية: مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا، كانت قاعدة ملك أبي الجيش "مجاهد العامري" وبفضل استجلاب مجاهد القراء وإنفاقه عليهم الأموال فقد كان أهلها أقرأ أهل الأندلس، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص434.

[2] طرطوشة: مدينة بالأندلس شرقي بلنسية وقرطبة قريبة من البحر، استولى عليها الإفرنج سنة 543هـ وعلى جميع حصونها، ينسب إليها أحمد بن سعيد بن ميسرة الغفاري الأندلسي الطرطوشي، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص30.

[3]- ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، تر: ذوقان قرقوط،دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 85، 86.

[4]- لبيب الصقلبي: إتفق أهل بلنسية على تأميره، فأحدث فيهم أحداثا مقتوه بها، فلاذ بالطاغية ريمند أمير الفرنجة ببرشلونة يومئذ، فغاظ المسلمين وعرضهم لملك النصرانية فوثب عليه أهل طرطوشة وقضوا عليه، ينظر: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، القسم الثالث، المجلد الأول، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م، ص20.

[5]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج 2، ص 418.

[6]- ابن الخطيب لسان الدين السلماني، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، دار الكشوف، بيروت، ط2، 1956، ص 47.

[7]- ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 43.

نبوخذ نصر سنة 558 ق.م،[1] دليل ذلك ما ذكره المقري، أن المسلمين لما فتحوا إلبيرة وجدوا بها يهودا، "وكانوا إذا ألفوا اليهود ببلدة ضموهم إلى مدينة البلد"، ومثلها طليطلة التي فتحها موسى بن نصير وضم يهودها إليها،[2] كما تمركز اليهود ببعض المدن حتى عُرفت بهم، منها مدينة غرناطةاليهود التي ذكرها الحميري فقال: "عُرفت بهذا الاسم لأن ساكنيها كانوا يهود، وهي من مدن ألبيرة"،[3] كما تمركزوا ببرشلونة التي قال عنها المستشرق بروفنسال: "واليهود بها يعدلون النصارى كثرة".[4]

تعرض يهود الأندلس قبل فتحها لاضطهاد واسع من طرف النصارى الإسبان، فقد قرر المجمع الطليطلي الثامن ضرورة تعميدهم، وحرموا عليهم إقامة شعائرهم الدينية، ثم أُرغموا على التنصر عهد الملك إرفيج، وفُصل أبناؤهم عنهم لتنصيرهم، واستفحل هذا الاضطهاد حتى سمعوا بفتوحات العرب لأرض إفريقية والمغرب فاتصلوا سرا بيهود المغرب ليتوسطوا لهم عند العرب، ويُغرونهم بفتح الأندلس، فنال اليهود قبول الفاتحين، ودخلوا العدوة الأندلسية، وساعدوهم في فتح بعض المدن كفتح طليطلة خلال القرن الثامن،كماوثق المسلمون بهؤلاء اليهود يعهدون إليهم بحراسة المدن المفتوحة مع العرب.[5]

عُرف اليهود بخصوصياتهم الاجتماعية، وبتجمعهم في أحياء معينة بعيدة عن مركز المدينة ومنعزلة عن المسلمين، فشكلت مراكز منفصلة لها مدخل واحد أو مداخل قليلة، فشوارعها ضيقة

---

[1] – ولد أنّ محمد الامين، النصارى واليهود من سقوط الدولة الاموية حتى نهاية المرابطين، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2012-2013م، ص 16، 17.

[2] – مجهول، أخبار مجموعة، ص ص 22- 25.

[3] – الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988، ص 23.

[4] – ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 42.

[5] – السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 133، أميركو كاسترو، إسبانيا في تاريخها المسيحيون المسلمون اليهود، تر: علي إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، برشلونة، ط1، 2003م، ص 540.

مزودة بمداخل تغلق ليلا، عرفت بباب الدروب، وتميزوا أيضا بمؤسساتهم الإدارية والقضائية التي تختص بحل مشاكلهم الداخلية وأحوالهم الخاصة.[1]

رغم الخصوصية التي تميز بها اليهود خاصة في إطارها الاجتماعي، فإنهم انصهروا حضاريا في بوتقة واحدة مثلت الحضارة الإسلامية بشكل عام، فمن ذلك أن إبداعاتهم ونشاطاتهم وأحوالهم في المجمل لم تخرج من إطار الظاهرة الحضارية للتاريخ الإسلامي، حتى أن حكمهم هو حكم الظروف السائدة في تلك الفترات واضطراباتها، وتتناسب طردا مع ظروف يهود الأندلس، نستخلص ذلك من خلال ما شهدته الأندلس في هذه الفترة من ازدهار في مختلف الميادين خاصة في القرن العاشر، وفي ميدان الثقافة شكلت مساهمة اليهود جزءً هاما لا يتجزأ من مُجمل الثقافة الأندلسية في إطار الحضارة الإسلامية، فيقول أميركو كاسترو ما نصه: "الشعر والفكر والتقنية التي توفر عليها الإسبان العبرانيون هي تعريفات للثقافة العربية"، وفي موضع آخر يقول: "ولنقل أنه لم يكن ممكنا أن نرى هذه الشخصيات الكبيرة بدون الإسلام الإسباني، وعندما اضمحل الحكم الإسلامي بعد القرن الثاني عشر أخذت تضمحل العبقرية الإسبانية العبرية".[2]

شهد يهود الأندلس منذ الفتح الإسلامي نقلة نوعية في جميع المجالات، مستفيدين من التسامح والحرية التي أقرها الإسلام لأهل الذمة، فنشطوا في التجارة، فكان أغلبهم ميسوري الحال،ووصل بعضهم إلى مستوى من الثراء والبذخ والترف، لرواج تجارتهم داخل الأندلس وخارجها، واختصوا بتجارة العبيد، حيث ذكر المستشرق بروفنسال أن اليهود كانوا يجلبون الخصيان الصقالبة، وكان لهؤلاء التجار عملاء وصيادون في جنوب فرنسا وغيرها،[3] وهذا يؤكد على أن تجارتهم هذه كانت منظمة وممنهجة، فضلا عن احتكارهم لتجارة الحرير والتوابل،كماأبدع اليهود في الصناعة، ولعل هذا راجع إلى الخلفية الدينية التي تملي عليهم في توراتهم أن من واجب اليهودي نحو ابنه أن

[1] – خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 58، 59.
[2] – أميركو كاسترو، المرجع السابق، ص 537– 541.
[3] – ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 85.

يعلمه إحدى الحرف اليدوية السهلة،[1] كما أثبت اليهود دورهم في المعاملات المالية، فقد كانوا يتميزون بمهارة كبيرة في استثمار رؤوس الأموال، وما من مسألة تتعلق بالأموال إلا وكانت لهم يد فيها.[2]

في العلوم والفنون لم يكن الوضع أقل شأنا من المجال الاقتصادي، فكانت لهم لمسات خاصة الفلك والطب، منهم الطبيب حاشداي بن شبروط (910، 970هـ)، واشتهر بالترجمة أيضا،[3] وفي الموسيقى القرطبي أبو النصر منصور،[4] وأصبحوا مبدعين في الأدب العربي،وعلى رأس هؤلاء ابن ميمون القرطبي الذي عاش خلال الفترة "1135- 1204م"، واشتهر بأعماله الأدبية والعلمية والفلسفية، ولقيت صداها حتى في أوروبا النصرانية،[5] بناءً على هذا يمكن القول أن الإسبان النصارى لما سيطروا على الأندلس وجدوا رصيدا هائلا في هذه الفئة لاستثمارها في الميادين المختلفة، حيث يقول صاحب إسبانيا في تاريخها: "كما كانوا ناقلين لأنماط الحياة الإسلامية وأنماط حياة المستعربين، كما أن العرب كانوا أساتذة للمسيحيين في فن استخدام اليهود كأطباء وعلماء ومصرفيين وموظفين عموميين ودبلوماسيين وقائمين على أمر أملاك الدولة والنبلاء". فأصبح اليهود بمثابة همزة الوصل بين الإرث الحضاري الإسلامي وبين الاستخلاف الإسباني النصراني، خاصة في ميدان الترجمة ونقل المعارف التي ظهرت فيها أسماء مثل: جيبّن أرَيمون دي أسبا وخوان ديميسينا وخوان دي كريمونا، وغيرها.[6]

بعد أن جمع اليهود بالأندلس بين الكسب المادي الوافر، وبين التفوق العلمي الثقافي، أثبتوا حضورهم في سياسة الولاة والخلفاء الأمويين وبعدهم ملوك الطوائف، فقد تولوا مناصب هامة في

---

[1]- أميركو كاسترو، المرجع السابق، ص 585.

[2]- المرجع نفسه، ص 542.

[3]- المرجع نفسه، ص 540.

[4]- بروفنسال، المرجع السابق، ص 54.

[5]- أميركو كاسترو، المرجع السابق، ص 540.

[6]- المرجع نفسه، ص ص 540- 561.

الدولة، وأضافوا الكثير للسياسة والدبلوماسية وحتى العسكرية، من ذلك تغلغل الطبيب اليهودي أبو يوسف حسدي بن إسحاق بن شبروط في بلاد الخليفة ومزاحمته لرجال الدولة حتى أصبح خليلا للخليفة عبد الرحمن الناصر، فولاه الأخير إدارة مالية، أضاف له فيما بعد خطة الكتابة، وكلفه بمهمة دبلوماسية وعلاجية إلى عرش ليون، ثم مهمة لعقد السلم مع صاحب جليقية[1] رذمير بن أردون[2]، على الشروط التي ارتضاها الناصر لدين الله، وفي مملكة سرقسطة احتل أبو الفضل بن حاشداي مركزا مماثلا في عام 1066م،[3] ولعل أكثر المواضع التي طغى فيها اليهود واستفحل أمرهم في الدولة والمجتمع على السواء، ما وقع بغرناطة من تولية إسماعيل بن تغرالة اليهودي الوزارة والكتابة لدى أميرها باديس بن حبوس، ثم خلفه ابنه يوسف، واتخذا لأنفسهما اليهود عمالا ومتصرفين في الأشغال، فقوت شوكتهم، "واكتسبوا الجاه والمال في أيامه واستطالوا... وصار لليهود صولة على المسلمين في دولته"، ووصل بهم الأمر إلى أن طلب يوسف المذكور بإقامة دولة لليهود.[4]

إلا أن فسحة أيام اليهود في كنف سلطة العرب انتكست بعد ولاية باديس المذكور، فقد قُتل يوسف المذكور سنة 459 هـ، وتبعه مقتلة كبيرة لليهود ونهب دورهم وأموالهم،[5] وبمجرد انتهاء عصر ملوك الطوائف، كانت غزوات المرابطين والموحدين ذات وقع سيء على الإسبان اليهود وعلى المستعربين المسيحيين، ففي عام444هـ/ 1066م وقعت في غرناطة مذبحة قُضي فيها على آلاف

---

[1] – جليقية: بلد الجليقيين، تنتهي أحواز هذا البلد في جوف البحر المحيط، وفي القبة إلى أحواز مدينة طلسونة، وقاعدتها مدينة أقش، وهي مبنية بالصخر المربع الكبير، ينظر: عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتصحيح وتطبيق الحواشي: ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1408هـ/1988م، ص67.

[2] – رذمير: ملك الجلالقة، أعانه أمية أخ أحمد بن إسحاق أحد وزراء عبد الرحمان بن محمد صاحب الأندلس الذي قتله، فأعانه على المسلمين فجمع عبد الرحمان جيشا كبيرا وغزا مدينة سمورة دار مملكة الجلالقة في شوال سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص325.

[3] – مظهر عبد المطلب مصطفى رجب، أهل الذمة في الاندلس خلال الحكم الأموي، ماجستير تخصص تاريخ إسلامي وحضارة إسلامية، جامعة اليرموك، 1999م، ص ص 44- 46، أميركو كاسترو، المرجع السابق، ص 540.

[4] – ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص 488، 489.

[5] – ابن عذارى، المصدر نفسه، مج2، نفس الصفحة.

اليهود، وهرب الكثير منهم للبحث عن ملجأ في القطاع المسيحي، وأعداد منهم هاجرت إلى مدينة قشتالة.[1]

المبحث الثاني: طبقات المجتمع الأندلسي:

خضع المجتمع الأندلسي لتقسيم وتصنيف طبقي أملته بعض المعايير التي حددت مستويات هذا التصنيف، ومن هذه المعايير: حيازة الأراضي أو الإقطاعات والعقارات التي تمثل لملاكها القاعدة الأولى للاحتفاظ والارتقاء في السلّم الاجتماعي، كما يُعد مصدرا أساسيا للربح وجمع المال الذي يُعد بدوره أهم المعايير التي تسمح للاستمرار في الطبقات العليا، ومن المعايير أيضا الوظيفة، ونتكلم عن الوظائف السامية في نظام الخلافة والممالك والدول،[2] كالوزارة والحجابة والكتابة وغيرها.

ويحلل ابن الخطيب طبقات المجتمع التي قسمها إلى أربعة أقسام فقال: "فصنف همه الدنيا التي ينالها بسبب الولد... وهم صنائع الحكم وخُدّامه وعماله وفتيانه ورجاله... وصنف مرتق من الديوان، مشهور العناية والمكان، أو مجهول الشأن راض بحظه من الزمان، لا يتشوف إلى المزيد ولا يحذر من النقصان، وقد تساوت في الدول أحواله وسكنت إلى الرزق والمفروض آماله... وصنف يُؤمّل أمرا، ويشب إن قدر جمرا، ويرجوا من القرابة الراجحة زيدا وعمرا، ومُستحِق يأسف لما خرج من يده... وهذا الصنف المنازع المنافس بين أن يصمت فيموت بدائه، أو يجهر بالمنازعة فينتهي إلى قدر الله وقضائه، وكان في ذلك الوقت أضعف الأصناف، لاستحكام الصبغة الحكمية التي لا تبالي بمن تقادم، ولا تظن غير الحكم أو الناصر كان آدم، فلم تسعهم يومئذ إلا المجاملة، وجرت على الرضى المعاملة... وصنف من أهل الدنيا والآخرة قلّدوا أهل الحل والعقد، والقبول والرد اجتهادهم، وسألوا الله توفيقهم وسدادهم، واستكفوه الشرور التي تنال النفوس والأقوات، وتسيء المحيا والممات... وهم جمهور الناس من الفقهاء والعلماء، والخاصة والدهماء... وصنف غارم، لا همّ لهم إلا في من يُخفف

---

[1] – أميركو كاسترو، المرجع السابق، ص ص 541- 562.

[2] – بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص 60.

أصره، أو يديل باليُسر عسره، وأما هؤلاء، فأوباش أسواق، وحمقى ما لهم من أخلاق... وصنف همه الآخرة، بعيد عن تعريج على شيء من الدنيا...".[1]

1- الطبقة العليا:

وهي طبقة الأعيان والكبراء التي تُصنف في قمة الهرم الاجتماعي الأندلسي، بشرائحها البيروقراطية والعسكرية والدينية، مثّلها قادة العسكر ورجال الدولة من حجاب ووزراء وكتاب وولاة وفقهاء، حازوا على الإقطاعات، وأصبحوا بفضلها من أغنى الفئات الاجتماعية على الإطلاق، جعلتهم يؤثرون بشكل كبير في المجال السياسي، رغم أنهم أقلية بالنسبة للمجتمع الأندلسي عامة،[2] وتنقسم هذه الطبقة إلى فئات هي:

أ-الأمراء:

تعتبر الأندلس في عصورها الذهبية المثال الأعلى لمقام الملك وأحواله في فترات قوتها، فقد خصص ابن خلدون فصولا تفصيلية حول أحوال الملك وغايته، من ذلك تفصيله في أن طبيعة الملك الترف، وأردفه فصلا في أن من طبيعة الملك الدعة والسكون،[3] ويُمثل الأمراء أهم مظهر من مظاهر فئات هذه الطبقة السامية، بحيث يمثلون السلطة الأعلى في البلاد، فكسبوا من مقامهم هذا جاها وثروة كبيرة، وملكوا العقارات والأراضي والضياع، وبنو القصور الباهرة، فضلا عن الخدم والجواري، نذكر منهم بنو عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي[4] (عامل الأندلس)، "وكان لهم عدد وثروة بمُرسانة

---

[1]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص ص 44- 48.

[2]- نجاة هاشمي، عادات وتقاليد المجتمع الأندلسي خلال عهد الدولة الأموية، ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2015- 2016م، ص 21.

[3]- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2012م، ص 168.

[4]- عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي: وهو العكي، أمير الأندلس، وليها في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمان القيسي صاحب إفريقية، ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص395.

الغافقيين، من شرف إشبيلية"،[1] وتوارثت هذه العائلة الثروة والجاه،وكان من كثرة الأراضي الأميرية وشساعتها ما تطلب لإدارتها استحداث وظيفة "صاحب الضياع"، منها ما استُأجر للمزارعين مقابل نصيب من المحصول، ومنها ما أقطع للمخلصين للعرش الأموي والأقرباء الوافدين من الشرق،[2] فكان ابن حجاج المستقل بإمارة إشبيلية يتشبه بإقطاعيي أوروبا، فاتخذ لنفسه جملة من الأتباع وأحاط نفسه بالفرسان، ووصل لدرجة من البذخ والترف إلى درجة أنه سمع يوما بجارية بغدادية اسمها قمر، فوجّه بأموال عظيمة إلى المشرق في ابتياعها،[3] وفي غرناطة كانت أسرة بني زيري في قمة الهرم من حيث الثراء والأملاك العقارية والإقطاعية.[4]

ومن ذلك أيضا أن عبد الرحمن بن معاوية أمر بقبض ضياع النصراني أرطباش، حتى أصابت الأخير الفاقة، فوقف أمام عبد الرحمن يستلطفه، حتى أعاد له الأخير عشرين ضيعة من ضياعه، وولاه القماسة،[5]ومن الأمراء المستقلين بالثغور والمدن بعد زوال حكم بني أمية، صاحب ألمرية المعتصم بن صمادح، وكان رحب الفناء، جزيل العطاء، ومن مظاهر ترفه وامتلاكه للعقار العظيم والأرباض الواسعة، وبناؤه لقصور قريبة من ألمرية، سماها الصمادحية، أُعجب بها أعيان المدينة فضلا عن عامتها[6]، وعن تركة عبر الرحمن الناصر، ينقل ابن خلدون عن الثِقات من المؤرخين أنه خلّف من بيوت أمواله خمسة آلاف ألف دينار مكرّرة ثلاث مرات، يكون جملتها بالقناطير خمسمائة ألف قنطار.[7]

[1]- ابن القوطية، المصدر السابق، ص 90.
[2]- نجاة هاشمي، المرجع السابق، ص 22.
[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 145- 147.
[4]- بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص 61.
[5]- ابن القوطية، المصدر السابق، ص 57، 58.
[6]- الصعيدي عبد المتعال، القضايا الكبرى في الإسلام، دار شريفة، الجزائر، ص 357، 358.
[7]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 180.

ومن مظاهر أرستقراطية الأمراء وثرائهم الفاحش، كثرة عطاياهم وجوائزهم للحواشي والوافدين إلى القصر من موالي وشعراء وولاة وقضاة وغيرهم، ووصلت هذه العطايا حد الإسراف والتكثر، فأبو المخشي[1] شاعر الأندلس على سبيل المثال مدح سليمان بن عبد الرحمن في أحد أشعاره، فأمر له الأخير ألفي دينار ذهبا، ومثله عبد الرحمن بن الحكم الذي اتصف بالعطاء، "والتزم إكرام أهل العلم وأهل الأدب والشعر في دولته، وإسعافهم في مطالبهم كلها"،[2] أما المنصور فقد أجزل العطا الجزيل على عساكره في إحدى غزواته بجزائر من البحر المحيط، "وكان مبلغ ما كساه في غَزَاته هذه لملوك الروم ولمن حسُن غَنَاؤه من المسلمين ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شُقّة من صنوف الخز الطّرازي، وأحدا وعشرين كساء من صوف البحر، وكساءين عنبريين، وأحد عشر سقلاطونا[3]، وخمس عشرة مريشا، وسبعة أنماط ديباج، وثوبي ديباج رومي، وفرْوَيْ فنك، ووافى جميع العسكر قرطبة غانما، وعظمت النعمة والمنة على المسلمين".[4]

ب- الوزراء والكتاب وغيرهم من رجال الدولة:

وهي الفئة الثانية بعد الأمراء في الجاه والمال والترف، ومثلها أصحاب الخطط الرسمية الأقرب إلى بلاط الملوك والأمراء، فجمعوا الأموال الجزيلة، واستثمروها في التجارة والصناعة لاستمرار وزيادة ثروتهم، وربما استغلوا مناصبهم للاستيلاء على أملاك الغير غصبا، وفي أحسن الأحوال يُجبروهم على

---

[1]- أبو المخشي، عاصم بن زيد بن يحي بن حنظلة بن علقمة بن عبدي بن زيد بن عدي العبادي، أبو المخشي، شاعر الأندلس في زمانه، خبيث اللسان، وهو الذي قطع هشام بن عبد الرحمان الداخل لسانه لأنه عرض به في قصيدة. الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/ 2000م ج5، ص323.

[2]- ابن القوطية، المصدر السابق، ص 56، 57.

[3]- السقلاطون: كلمة يونانية معربة، وأصلها siglaton وقيل siklat نسبة إلى بلد من بلاد الروم، وهو نوع من الملابس الحريرية الفاخرة الملونة بالألوان القرمزية وغيرها المنسوجة بخيوط الذهب، كانت مراكز صناعته بغداد وتبريز. رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، تح: محمود فهمي حجازي، مراجعة: عبد الهادي التازي، كلية الآداب، جامعة حلوان، ط1، 1422هـ/2002م، ص237.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 416.

بيعها لهم، فيُخبر النباهي أبو الحسن المالقي، عن العباس بن عبد الملك المرواني من أقارب الملوك الأمويين بالأندلس، أنه اغتصب ضيعة أحد الرعية، حتى استفحل الأمر عداوة بينه وبين القاضي مصعب بن عمران،[1] هذا فضلا عن الهبات والإقطاعات التي أقطعها إياهم الأمراء.

كما اشتهرت عائلات بأكملها في خدمة البلاط، وتولي المناصب الوزارية وغيرها، مثل عائلة بنو القبطورنة، ومنهم الوزير أبو بكر بن القَبْطُرنة، يقول المقري عنهم: ""وكان بنو القبطُرنة بالأندلس أشهر من نار على علم، وقد تصرفوا في البراعة والقلم، ولهم الوزارة المذكورة، والفضائل المشكورة"، وكان لهم روض يُسمى البديع، "كان المتوكل يَكْلف بموافاته، ويبتهج بحسن صفاته، ويقطف رياحينه وزهره، ويوقف عليه إغفاءه وسَهَره"،[2]وكذلك بيت محمد بن أحمد بن منخل الغافقي، الذي تولى الوزارة، وقبله تولى أجداده مناصب في الدولة، ووصفهم ابن الخطيب قائلا: "أصل هذا البيت من إشبيلية... وذكره الرازي في الاستيعاب، فقال: وبإشبيلية بيت زيد الغافقي، وهم هناك جماعة كبيرة، فرسان ولهم شرف قديم، وقد تصرفوا في الخدمة... وعمّن جُمع له بين الدين والفضل والمالية"،[3]ومن هذه البيوت بيت بني شهيد التي تصرف أفرادها في الخطط السنية من إمارة وحجابة وكتابة إلى انقراض الدولة الأموية، وبيت بني حدير،وبيت بني غانم الذين تحصلوا على منزلة اجتماعية سامية بفضل اشتغالهم في مناصب الدولة، مثل الوليد بن غانم، ومحمد بن عبد الحميد بن غانم،[4] ومثلهم التُجيبيين بقُرطبة.[5]

---

[1]- النباهي أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا)،دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1983م، ص 45، 46.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 634- 636.

[3]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 133.

[4]- بوتشيش إبراهيم القادري، أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250هـ- 316هـ)، منشورات عكاظ، الرباط، ص 139.

[5]- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973م، مج2، ص 259، 260.

أما من أسماء الأعيان، وممن تولى الحجابة، واستفحل بها حتى تغلب على سلطان الملك، المنصور بن أبي عامر، إلا اللقب لم يُشاركه الخليفة، ومن أملاكه المنية الكائنة بمدينة بلنسية، التي وصفها المقري في النفح قائلا: ""وهي منتهى الجمال، ومزهى الصبا والشمال، على وهي بنائها، وسكنى الحوادث برهة بفنائها... وبوسطها مجلس قد تفتّحت للروض أبوابه، وتوشحت بالأُزر الذهبية أثوابه، يخترقه جدول كالحسام المسلول..."،[1] ومن الوزراء أيضا أحمد بن عباس بن أبي زكرياء، أنصاري النسب، كان كاتبا، ووزيرا لدى زهير العامري وارثا إياها من أبيه، وكان جامعا للدواوين العلمية، حتى لقد أثرى كثير من الوراقين والتجار معه فيها، وجمع منها ما لم يكن عند ملك، ويُقال أنه لم يجتمع عند أحد من نظرائه ما اجتمع عنده من عين وورق ودفاتر وخِرق وآنية ومتاع وأثاث وكُراع، وكان في نعيم كثير،[2]ومثله الوزير ابن حيدر الذي لا شك أنه كان غنيا جدا، لدرجة أن ابن أبي عامر استغاثه في سد عجز الخزينة التي طلب الحكم كشف حسابها.[3]

ولعل أبرز هذه الشخصيات وأكثرها طُغيانا اليهودي إسماعيل بن نغرالة اليهودي، ولاه باديس بن حبوس الوزارة والكتابة، ووصف ابن عذارى حاله بما نصه: "ورفعه فوق كل منزلة، فاتخذ هذا اليهودي عُمالا ومتصرفين في الأشغال، واكتسبوا الجاه والمال في أيامه واستطالوا على المسلمين"، وخلفه ابنه يوسف الذي فاق أباه في التجبر والتسلط، وعُرف بين أوساط المجتمع بحاله حتى قال صحاب الإحاطة: "ومكانه من الترفه والترف والظرف والأدب معروف"، وأخبر ابن عذارى عن مآله فقال: "فأخذ نفسه في الاجتهاد في الأحوال واستخراج الأموال، واستعمل اليهود إخوانه على الأعمال، فزادت منزلته عند أميره باديس"، بل ووصل به الأمر إلى طلب إقامة دولة لليهود، وتخابر

[1] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص 657، 658.

[2] - ابن الخطيب، المصدر السابق، مج2، ص 259، 260.

[3] - عنان محمد عبد الله، المرجع السابق، ص 203.

مع ابن صمادح صاحب ألمرية على صنهاجة وأميرهم باديس، فانكشف أمره وُقتل مع جماعة كبيرة من اليهود، وكان ذلك سنة 459هـ/ 1081م.[1]

ج- قادة العسكر:

يُنوّه ابن خلدون في مقدمته على أهمية الجند في نظام الملك فيقول: "وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك، بل هي ثالثة أركانه، لأن الملك لا بُد له من الجُند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه، فاحتاج صاحب الملك إلى الأعوان في أمر السيف وأمر القلم وأمر المال، فينفرد صاحبها لذلك بجزءٍ من رئاسة الملك، وكذلك كان الأمر في دولة بني أمية بالأندلس والطوائف بعدهم"،[2] لهذا احتل قادة العسكر مكانة رفيعة في أوساط المجتمع الأندلسي فضلا في بلاط الملك، وكسبوا أموالا وعقارات وأراضي كثيرة، وهذا لعدة اعتبارات، منها أن لقادة الجند هؤلاء الحظ الأوفر من غنائم الحروب، خاصة ضد العدو الصليبي، فمن ذلك على سبيل المثال ما عدّه المقري من غنائم عساكر المنصور في غزواتها لجزائر البحر المحيط، "وكان مبلغ ما كساه في غَزَاته هذه لملوك الروم ولمن حسُن غَناؤه من المسلمين ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شُقّة من صنوف الخز الطّرازي، وأحدا وعشرين كساء من صوف البحر، وكساءين عنبريين، وأحد عشر سقلاطونا، وخمس عشرة مريشا، وسبعة أنماط ديباج، وثوبي ديباج رومي، وفرْوَيْ فنك، ووافى جميع العسكر قرطبة غانما، وعظمت النعمة والمنة على المسلمين"،[3]مع العلم أن هذه الغنائم زائدة على الرواتب الثابتة التي يتقاضاها قادة الجند بمختلف مراتبهم.

من أعيان قياد العساكر المشهورين،بَكرون بن أبي بكر بن الأشقر الحضرمي، الذي يقول عنه ابن عذارى في البيان: "كان من ذوي الأصالة ومشايخ الجند... مسموع القول... قائدا عند الجند

---

[1]- ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 488، 489. ينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 440.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 236.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 416.

الأندلسي، في أيام السلطان ثاني ملوك بني نصر... يجر وراءه دنيا عريضة، وجبى الجيش على عهده مغانم كثيرة"،[1] وكذا قائد الصوائف هاشم بن عبد العزيز الذي يقول عنه ابن حيان بأنه "أرفع هذه الطبقة كلها قدرا"، وقد جمع بين وظيفة القيادة والوزارة، ومن مظاهر ترفه أن خصص لأبنائه مؤدبين، ومن القياد أيضا مضي بن تيملت، "كان عارفا بأمور الحرب وله تقم عند السلطان"، والوزير محمد الغافقي الذي ذكره ابن الخطيب في الإحاطة قائلا: "ثُمّ قُدم على من به من الفرسان، فأوردهم الموارد الصفية بإقدامه، واستباح من العدو الفرصة، وأكسبهم الذكر والشهرة، وأنفق في سبيل الله..."،[2] وبرزت عائلات إقطاعية اشتغل أفرادها في قيادة الجيوش السلطانية، مثل أسرة ابن أبي عبدة، وبيت بني أضحى، وغيرهم.[3]

أما قادة العسكر الذين انفصلوا عن قرطبة وأسسوا إمارات مستقلة، فقد احتلوا مركزا اجتماعيا هاما نتيجة حيازة الأرض بحد السيف، فصاحب أشكونية أصبح له ترتيب وأبهة ورجال شجعان وعدة موفورة، وبنو قسي قادة العسكر المستقلين في الثغور تكاثرت عليهم الخيرات وبنو القصور، إذ أن إقطاعاتهم اتسعت حتى تداخلت مع أراضي أمراء الإقطاعيين، ومن الأمراء المستقلين بالثغور والمدن بعد زوال حكم بني أمية، صاحب ألمرية المعتصم بن صمادح، وكان رحب الفناء، جزيل العطاء، ومن مظاهر ترفه وامتلاكه للعقار العظيم والأرباض الواسعة، وبناؤه لقصور قريبة من ألمرية، سماها الصمادحية، أُعجب بها أعيان المدينة فضلا عن عامتها، ومما يدل على أثر الإقطاع في الوضعية الاجتماعية أن بيت بني ذي النون البربري لم يكن له قبل الحقبة الإقطاعية قيمة اجتماعية.[4]

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص 443.

[2]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 134.

[3]- ينظر: ابن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص 152. وينظر: بوتشيش إبراهيم القادري، المرجع السابق، ص ص 135-137. وانظر أيضا: ابن القوطية، المصدر السابق، ص 102.

[4]- ينظر: الصعيدي، المرجع السابق، ص 357، 358. وينظر أيضا: بوتشيش إبراهيم القادري، المرجع السابق، ص 137، 138.

د- القضاة والمفتين:

عرف القضاة والمفتون أوضاعا جيدة في الأندلس، وكانوا في بعض الأحيان لا يقلون مقاما عن الوزراء وقادة الجند، بل كان لهم في مواضع مواقف جليلة خضع لها الملوك والأمراء، هذا فضلا عما حصّلوه من أموال وأملاك وإقطاعات وأرباض وعقارات وغيرها،فكانت هذه الفئة خارجة على ما نصه ابن خلدون في مقدمته عن أحوالهم، ومعدودة على النادر من الأمور، إذ الغالب حسب ما نصه في كتابه المذكور، أن القائمين بأمور الدين من القضاة والفتيا والتدريس والإمامة لا تعظم ثروتهم في الغالب.[1]

من مظاهر رفعة شأن القضاة والمفتين، واستطالة مقامهم بين رجال الدولة، ما أخبر عنه النباهي أبو الحسن المالقي عن القاضي مصعب بن عمران، الذي وقع له خصام مع العباس بن عبد الملك المرواني، وكان الأخير مقربا لدى الخليفة هشام بن عبد الملك، وسببه ضيعة اغتصبها العباس المذكور من أحد الرعية، وقف فيها القاضي موقفا حازما رغم توسط المغتصب لدى الخليفة، ومثله القاضي أبو العباس أحمد بن ذكوان[2]، الذي ذُكر في نفس التأليف السابق الذكر بما نصه: "إلى أن فسد ما بين القاضي وبين وزير الدولة عيسى بن سعيد، بسبب فسخ شراء ضيعة اشتراها عيسى من ولد ابن السليم السفيه، فقضى ابن ذكوان بردها إلى السفينة، وفسخ بيعه، فالتحمت بينهما العداوة، وعمل عيسى في طلب ابن ذكوان وجوه الحيلة..."، إلا أن القاضي ارتقى في المقام، وزاد جاهه ودوره في الملك، "فلم يكن يجري شيء من أمور المملكة إلا عن مشورة ابن ذكوان، إلى أن هلك عبد الملك المظفر، وولى أخوه عبد الرحمن، فرفع منزلته، وولاه الوزارة مجموعة إلى قضاء القضاة"،[3] وكذلك الفقيه بقيّ بن مخلد، دخل قرطبة، وقرّبه الأمير محمد بعد أن ظهر على فقهاء قرطبة، "وأمر بإيصاله إليه في

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 374.

[2]- أحمد بن ذكوان، ابن ذكوان هو أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله الاموي، قاضي الجماعة بقرطبة، أبو العباس، ولد سنة 342هـ، وتوفي سنة 413هـ. ابن خاقان، مطمع الأنفس، ص196.

[3]- النباهي أبو الحسن علي الجذامي المالقي، المصدر السابق، ص ص 84- 87.

زمرة من الفقهاء، والرفع من منزلته، فاعتلى ذروة العلم، ولم يزل عظيم القدر عند الناس وعند الأمير محمد إلى أن مات، رحمه الله".[1]

أما عن الثروة التي يكتسبها القضاة، والامتيازات التي يحظون بها، فضلا عن هدايا الأمراء، فليست أقل شأنا من مقامهم وجاههم في سياسة الملك، فقد عُرفت أحوال القضاة من يُسر في المعاش، وكسب للأموال، ووفرة في الأملاك، يعضده ما ذكره الباحث الصعيدي، حين قام الحكم بأمر الأندلس سنة 358هـ/ 980م، بعث إلى الشيخ محمد بن سعيد المعروف بابن بشير ليوليه قضاء الجماعة، فجاء الأخير من باجة ونزل على صديق له من العباد، فكان مما حدثه الصديق أن اختبره في أمور دنياه، وسأله عن أشياء ثلاثة على أن يصدقه فيها، وهي عن حاله في حب الأكل الطيب واللباس اللين وركوب الفاره، وعن حبه للتمتع بالوجوه الحسان، والتبطُّن للكواعب الغيد، وما شاكل ذلك من الشهوات، وعن حبه لمدح وثناء الناس له، وكان جواب ابن البشير بالترفع عنها وزهده في الدنيا كلها وعدم مبالاته بما سُئل عنه،[2] وهذا الحوار إنما يدل على ما اشتهر بالأندلس مما يصاحب خطة القضاء من حياة الرغد والبذخ في العيش والتمتع بالملذات والشهوات وغيرها، فإذا ما تقلد أحد خطة قضاء الجماعة بقرطبة، أُلزم بالإقامة في ضياع واسعة، ويتخذ له وكيلا لينوب عنه في مهمة الإشراف على ضيعته.[3]

اشتهر الكثير من هؤلاء القضاة والمفتين ممن حاز الجاه والمال والعقار، منهم من جمع بين القضاء والفتيا والوزارة، مثل القاضي أبي المطرف بن فطيس، الذي تقلد خطة المظالم بعهد المنصور محمد بن أبي عامر، "وشارك الوزراء في الرأي، إلى أن ارتقى إلى ولاية القضاء بقرطبة، مجمعا إلى خطة الوزارة والصلاة، وقل ما اجتمع ذلك لقاضي قبله بالأندلس... وكان له بداره مجلس عجيب الصنعة،

---

[1] – ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص 127.

[2] – الصعيدي عبد المتعال، المرجع السابق، ص 353.

[3] – المزايدة عمر زعل محمد، الحياة الاقتصادية في الأندلس في عهد الخليفة الناصر، دكتوراه في التاريخ، جامعة مؤتة، 2009م، ص 209.

حسن الآلة، ملبس كله بالخضرة..."،[1] وحوشب بن سلمة قاضي طليطلة، كان ذا قدر عظيم ومال عريض وجاه جليل،[2] واشتهر القاضي أبي الوليد سليمان الباجي، "وكان يصحب الرؤساء، ويقبل جوائزهم".[3]

هـ- الشعراء

يقول الباحث دغلي محمد سعيد أن الشاعر "بشعره ونثره أعلى من التمسح الطبقي بهذه الفئة أو تلك، فللأدب شموله، وأرستقراطيته الجارفة"،[4] طبقة الشعراء كسبت مالا كثيرا، حيث استعملتها الزعامات الإقطاعية كأداة للدفاع عن مصالحهم، واستغلوهم ضد منافسيهم، كما اعتبر الشعر وسيلة دعائية ممتازة لطلب الشهرة والعظمة،[5] وهذا يدل على أن ما وصله الشعر بأصحابه قام مقام الوزراء وقياد العساكر، فالأديب **أبو عبد الله محمد بن الحداد**، أقام في بلاط الأمراء، وقال عنه الإشبيلي **أبو نصر بن عبد الله القيسي** صاحب مطمح الأنفس، ما نصه: "شاعر مادح، وعلى أيك الندى صادح، لم يُنطقه إلا معن أو صُمادح، فلم يرم مثواهما، ولم ينتجع سواهما، واقتصر على ألمرية... فعكف فيها ينثر درره في ذلك المنتدى، ويرتشف أبدا ثغور ذلك الندى..."،[6] ومثله الأديب أبو عامر بن عقال، تعلق ببني القاسم أصحاب مدينة البُنت، "كان له ببني قاسم تعلق، وفي سماء دولتهم تألق، فلما خوت نجومهم، وعفت رسومهم، انحط عن ذلك الخصوص...".[7]

---

[1]- النباهي أبو الحسن علي الجذامي المالقي، المصدر السابق، ص 87، 88.

[2]- بوتشيش إبراهيم القادري، المرجع السابق، ص 140.

[3]- النباهي أبو الحسن علي الجذامي المالقي، المصدر السابق، ص 95.

[4]- الدغلي محمد سعيد، الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، دار أسامة، ط1، 1984م، ص 20.

[5]- بوتشيش إبراهيم القادري، المرجع السابق، ص 145.

[6]- الإشبيلي أبو نصر الفتح بن خاقان بن عبد الله القيسي، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: محمد علي شوابكة، دار عمار (مؤسسة الرسالة)، ط1، 1983م، ص 336، 337.

[7]- الإشبيلي أبو نصر الفتح بن خاقان بن عبد الله القيسي، المصدر نفسه، ص 350.

ومنهم من اختص بأمور سلطانية وإن كانت أقل رسمية، إلا أنها تخوله لملازمة الأمراء والملوك، فإبراهيم بن محمد بن مُفرّج بن همُشك، المتغلب على مدينة شقورة[1] بعد أن خالط وصاهر الأمراء، أصبح يصحب معه مغنيا يُلقي عليه الشعر في الحروب، يوقظ به همته،[2] وابن أبي علي القالي العراقي الأصل، الأندلسي الإقامة، أصبح مربيا للحكم الثاني، الخليفة المقبل، وهي صفة ذات اعتبار عظيم أيضا،[3]ومنهم البليغ الأديب الشاعر أحمد بن محمد بن أضحى بن غريب الهمذاني الإلبيري، "قدم على الخليفة أبي مطرف عبد الرحمن... فعلا شرفه بهذه الخصال، فسُجل له على أرحية، وحصن نبيل ببني هود وغير ذلك، فانقلب مرْعيّ الوسائل، ومقْضي الرسائل".[4]

أما غير هؤلاء من الشعراء وإن كانوا يلزمون الملوك، إلا أنهم اقتصروا على المدح والإطراء والتفاخر بهم، ويكتفون بأعطيات الأمراء نظير أشعارهم، مثل سعيد بن عثمان بن مروان القرشي، المعروف بالبلّينة، ويُقال لهم ابن عمرون، وهو شاعر من شعراء العامرية، مدح المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر يوما، فأمر له بثلاث مائة دينار،[5] وقال الشاعر عبد الله بن الشِّمر أبياتا عند الأمير عبد عبد الرحمن، فأمر له بخمس مائة دينار،[6] وأبو المخشي شاعر الأندلس مدح سليمان بن عبد الرحمن[7] الرحمن[7] بشعر،

---

[1]- شقورة: مدينة بالأندلس شمالي مرسية، بها كانت دارة إمارة همشك أحد ملوك تلك النواحي، ينسب إليها عبد العزيز بن علي بن موسى بن عيسى الغافقي الشقوري. معجم البلدان، ج3، ص355.

[2]- ابن الخطيب، المصدر السابق، مج1، ص 296- 300.

[3]- ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 63.

[4]- ابن الخطيب، المصدر السابق، مج1، ص 150- 153.

[5]- الحميدي، المصدر السابق، ص 333.

[6]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص 107.

[7]- سليمان ابن عبد الرحمان، بن عبد الحميد بن عيسى بن يحي ابن يزيد، مولى معاوية بن أبي سفيان، محدث أندلسي، روى عن محمد ابن وضّاح، ومحمد بن عبد السلام الخشني، مات بالأندلس سنة خمس وعشرين وثلاث مئة. الحميدي، جذوة المقتبس، ص323.

فأعطاه الأخير ألفي دينار،[1] ومثلهم الشاعر محمد بن حُسين الذي مدح المنصور محمد بن أبي عامر وغيره.[2]

ومن الشعراء من استثمر ما اكتسبه من أموال شعره ومديحه في التجارة لتثمين ثروته والمحافظة على مستواه المعيشي، مثل الشاعر عيسى بن مجمل، كان أديبا تاجرا شاعرا، من أهل قرطبة مشهور، وله دكّان لتجارته،[3] والشاعر أبو عامر بن مسلمة صاحب الثروة الكبيرة التي حفته بمظاهر البذخ والترف، لدرجة أنه استغنى عن المعتضد بن عباد، ومن أسماء الشعراء المدرجون ضمن هذه الطبقة أبو جعفر بن الأبار[4] وأبو بكر بن القوطية، وأبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري وأبو بكر بن نصر، وأبو الإصبغ بن عبد العزيز، وأبو الوليد بن العثماني، وأبو الحسن بن علي وغيرهم،[5] هذه الأسماء تُبين بشكل واضح المكانة التي تبوأها الأدباء والشعراء عند الملوك والأمراء، وما كسبوه من مكانة وكذا أموال استثمرها بعضهم في شراء الأملاك والأرباض وغيرها، وبعضهم اختص بمهام سلطانية غير رسمية مكنته من ملازمة السلاطين والأمراء والعيش تحت ظلهم وعطائهم كما تقدم.

2- الطبقة الوسطى (البرجوازية):

وهذه الطبقة تتضمن فئة كبار التجار وأرباب الصناعات والفلاحين الكبار، وبعض أعوان الدولة وأصحاب المهن الحرة كالأطباء، الذين استقروا في وضع وسط وأحوال ميسورة كفتهم شرّ الحاجة والسؤال، فمن التجار من كانت تجارته في الجواهر والأحجار الكريمة، وهي تجارة رأس مالها

---

[1] – ابن القوطية، المصدر السابق، ص 56.

[2] – ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص 247.

[3] – الحميدي، المصدر السابق، ص 435.

[4] – أبو جعفر ابن الآبار: أحمد بن محمد الخولاني، المعروف بابن الآبار أبو جعفر، شاعر من شعراء إشبيلية، من شعره ما انشد به أبو محمد علي بن أحمد من قصيدة في أبي الوليد إسماعيل بن حبيب، يعزيه عن جارية ماتت عنده، ويهنئه بمولود ولد له، كان حيا في حدود الثلاثين وأربع مئة. الحميدي، جذوة المقتبس، ص168.

[5] – عبد الحليم عويس، التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1994م، ص 20.

كبير، وربحها وفير،[1] وشهدوا في عهد الناصر نماء في الثروة وزيادة في الأموال، فيقول الباحث عنان محمد عبد الله: "وكان عهد الناصر... عهد رخاء ويُسر، توطدت فيه مالية الدولة وامتلأت خزائنها بالأموال الوفيرة، وزاد الخراج زيادة عظيمة باستتباب السكينة والأمن، وازدهار الزراعة والتجارة والصناعة، وكثرت الأخماس والغنائم... وقد انتهت إلينا في ذلك أرقام مدهشة منها أن جباية الأندلس بلغت في عهد الناصر من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وثمانين ألف دينار، ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار...".[2]

تمكن بعض هذه الطبقة من خلال المال والجاه مخالطة أهل السياسة لتبادل المصالح، فقد ذكر المقري أن أبا الحسن ابن أضحى[3]كان يصاحب الوزير أبو محمد ابن مالك، وجماعة من أعيان تلك الممالك، إلى أحد ضياعه، التي "لم ينحت المحل أثلها، ولم ترمق العيون مثلها"،[4] خاصة ونحن نعرف أن استمرار تجارة وصناعة هذه الفئة مرهون بمستوى الأمن والاستقرار الذي يسود بلادهم، فمتى وفر الملوك والأمراء هذه الشروط، كانت هذه الفئة مساندة لهم في أمور كثيرة، خاصة في تمويلهم بالمال في حالة الحرب والفتن أو نقص في موارد الخزينة، أما إذا فشل الحكام في توفير الأمن، يدفع ممثلوا هذه الفئة إلى تمويل الثورات وإذكاء الفتن مع التجافي عن لملوك وقادة العساكر، فتكون علاقة هذه الطبقة بأهل السياسة علاقة مصالح متبادلة.

ففئات هذه الطبقة عرفوا في بعض الفترات عدم استقرار أثر في مستواهم المادي، وهذا على خلفية الظروف التي مرت بها الأندلس من حروب وفتن وازدياد للخطر الصليبي، فعانى التجار من

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 412.

[2]- عنان محمد عبد الله، المرجع السابق، ص 191.

[3]- أبا الحسن ابن أضحى: هو الوزير علي بن عمر بن أضحى، من بيت عظيم بغرناطة، دعا لنفسه بعد مقتل تاشفين بن يوسف بن تاشفين المرابطي سنة 539هـ، توفي سنة 540هـ. ابن الخطيب، الإحاطة، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص355.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 675، 676.

انعدام الأمن وتدهورت الطرق التجارية الداخلية والخارجية وتفشي اللصوص، فضلا عن الضرائب التي أثقلت كاهل التجار وكبار الصناع، فسُرح العُمال، وأُغلقت المصانع، وكسدت الأسواق وغلت الأسعار وارتفعت.[1]

إن هذه الفئات من الطبقة البرجوازية، وإن كانت لم تصل إلى درجة من البذخ والترف الأرستقراطي، فإنها ترفعت وتجاوزت صعوبات الحياة التي تقاسيها طبقة العوام، وربما سلمت من المجاعات وآثار القحط والفتن التي كثيرا ما عصفت بالأندلس.

3-طبقة العوام:

وهي أدنى درجات الهرم الاجتماعي، وشكلت السواد الأعظم للمجتمع الأندلسي، شملت الصناع والعاطلين والفلاحين الأحرار، وبعض العبيد والأقنان الهاربين من ضياع أسيادهم إلى المدن، وهذه الطبقة الشعبية لم يكن لها اعتبار كونها تمثل الرعاع والسفلة، عاشت هذه الطبقة الفقر والحرمان، فيقول ابن خلدون عن فئة الفلاحين مثلا: "في أن الفلاحة من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو"،[2] وكانوا أكثر المتضررين في أوقات الحروب والأزمات والفتن والمجاعات، فجُندوا قسرا فهلك منهم الكثير، وفرضت عليهم الضرائب فزادت في بؤسهم، فضلا عن ارتفاع الأسرار في هذه الأوقات بالضبط.

من جملة الظروف العسيرة التي مر بها وتأثر العامة، ما أرخ له ابن عذارى سنة 207هـ، بحيث "كان بالأندلس جوع شديد، مات به كثير من الخلق"،[3] والفلاحون كانوا أكبر ضحايا سنوات الجفاف مثل القحط الذي عم البلاد سنة 260هـ، حتى أنهم لم يجدوا ما يدفعون به ضريبة العشور، وتعرضوا لمضايقات عديدة خاصة من طرف المحتسب تحت ذريعة محاربة الغش والمحافظة على الآداب العامة،

---

[1]- بوتشيش إبراهيم القادري، المرجع السابق، ص 143، 144.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 375.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص 95.

ولذلك فإن هباتهم ومشاركاتهم في الانتفاضات عمت الأندلس، وخاصة الكور المجندة التي اندلعت فيها أهم ثورة فلاحية بقيادة عمر بن حفصون[1] في الجنوب، قاعدة الأرستقراطية العسكرية، كما أتلفت الحروب والفتن محاصيلهم، خاصة تهديدات النصارى.[2]

رغم ذلك فإن في فترات الاستقرار عرف عامة الحواضر الأندلسية التي توفرت على إمكانيات ومكتسبات وظروف أثرت في مستوى هذه الطبقة، فقد أكد ابن عذارى في ذكره لثورة أهل ربض قرطبة على استكانة العامة في اليُسر واستقرارهم المعيشي، فقال: "ولا شيء يكون سببا لخروجهم على السلطان، بل كان ذلك أشرا وبطرا، وملالا للعافية"،[3] ووصف أحوالهم ابن الخطيب في عهد عبد الملك فقال: "وسكن الناس منه إلى عفاف، ونزاهة... فباحوا بالنعم، واستثاروا الكنوز، وتناهوا في الأحوال، وتناغوا في المكاسب، وتحاسدوا في اقتناء الأصول وابتناء القصور، وغالوا في الفرش والأمتعة، واستفرهوا المراكب والغلمان، وغالوا في الجواري والقيان، فسمت أثمان ذلك في تلك المدة، وبلغت الأندلس فيها الحد الذي فاق الكمال...".[4]

ومن جملة العوام، تأتي فئة العبيد والخدم، وارتبط تواجدهم ببذخ الطبقة الأرستقراطية الإقطاعية وترف حياتها اليومية، وسعة إقطاعاتها التي كانت بحاجة ماسة لأيدي عاملة رخيصة، فاستخدموا في الزراعة والصناعة، وخدمة القصور والمنازل، ومن العوامل التي ساعدت في تكاثرهم، القرصنة البحرية، والحروب التي يُسترق فيها الأسرى، فتعرض بعضهم لاضطهاد وقسوة واستغلال كبير من طرف أسيادهم ومالكيهم، سواء عبيد الإقطاعية أو القصور، والبعض كان له حظ مع مالكه خاصة خدام القصور، فيصيبهم شيء من ترف ملاكهم، خاصة إذا تعلق الأمر بالجواري الحسان

[1]- عمر بن حفص المعروف بابن حفصون، كان من الخوارج القائمين بالأندلس بأعمال رية قبل سنة خمس وسبعين ومائتين، طال أمره وهو يتحصن بقلعة بَبُشتَر الموصوفة بالامتناع. ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص437

[2]- بوتشيش إبراهيم القادري، المرجع السابق، ص ص 148- 150.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، مج2، ص 89.

[4]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 84، 85.

ذوات الثقافة الواسعة اللائي يستأثرهم الملوك لأنفسهن، ولنا من اعتماد جارية المعتمد بن عباد[1] خير مثال على ما حظيت به من مقام وحظوة لدى المعتمد.[2]

شكلت هذه العناصر البشرية باختلاف طبقاتها وثقافتها النواة التي أعطت للأندلس طابعها الفريد والمتميز في سلوكاته الاجتماعية، فبالرغم من اختلاف الحاصل بين هاته الطبقات إلاّ أنها استطاعت أن تتجاوز ذلك من خلال التفاعل والانصهار فيما بينها والذي بدوره تجلى في عدّة مظاهر اجتماعية جسّدتها الحياة اليومية كالزواج والاحتفالات والأعياد وغيرها من العادات والتقاليد.

[1]- المعتمد: أو المعتد، وهو هشام بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمان الناصر، أبو بكر المعتد بالله، آخر خلفاء بني أمية بالأندلس، بويع بعد وفاة المستكفي سنة 418هـ، واستمرت خلافته إلى سنة 420هـ، وبسبب الفتن قامت عليه فرقة من الجند وخلع سنة 422هـ، ولد هشام سنة 364هـ وتوفي سنة 428هـ. بن خاقان، المصدر السابق، ص182. الحميدي، المصدر السابق، ص 28.

[2]- بوتشيش إبراهيم القادري، المرجع السابق، ص 152. ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 159. عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ص 286.

الفصل الثاني: الزواج والاحتفالات في المجتمع الأندلسي

المبحث الأول: الزواج في المجتمع الأندلسي

المبحث الثاني: الاحتفالات في المجتمع الأندلسي

يقول الله عز وجل: " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " فالأسرة هي ثمرة الزواج في ظل الاحترام المتبادل والمحافظة على حقوق العائلة بمختلف صورها.[1]

ويمتد تاريخ الزواج بين البشر إلى عهد آدم وحواء حيث مثلا أول لبنة زواج شرعي في تاريخ البشرية،[2] ثم بعد ذلك تطور مفهومه من حيث الطقوس والوسائل والأهداف عبر تاريخ المجتمعات الإنسانية التي كانت عبارة عن تجمعات أو قبائل تعيش حالات صراع دائم فيما بينها من جهة، و مع الطبيعة من جهة أخرى، مما فرض شكل الزواج ضمن الجماعة أو القبيلة الواحدة. وإذ كان هناك زواج خارج القبيلة، فإنه كان امتدادا لحملات الغزو والنهب التي كانت سمة لتلك المجتمعات[3].

ويعد الزواج من الظواهر الاجتماعية المهمة في المجتمع الأندلسي بما يحمل من مراسيم الزواج وما يصاحبه من زينة وبهاء، ومع وجود فئة النصارى فقد شهد المجتمع الأندلسي في فترة ملوك الطوائف الزواج المختلط بين المسلمين والنصارى.

المبحث الأول: الزواج في المجتمع الأندلسي:

كانت مسؤولية الزواج لصيقة بفكر الآباء وأبنائهم وبناتهم فلطالما كان الآباء يحمّلون قضية الزواج ومسؤوليته على البنات منذ صغرهنّ، كما يتجلى هذا في المثل العامي الأندلسي: "**إذا قالت**

[1]- لاتي محمد المنازعات المالية بين الزوجين في الشريعة الإسلامية وقانون الأسرة الجزائري، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2002/2001، ص5.

[2]- رشا علي الدين، القانون الواجب التطبيق على عقد الزواج، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2010، ص09.

[3]- شبورو نورية، الزواج المختلط وتأثيره على حالة الزوجين، دراسة مقارنة، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون الخاص، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2017/2016، ص9.

البنت ددَّ فكر لها في مخدَّ وإن رفعت القدح لفمها تحتاج ما تحتاج أمها "[1] فهنا يقوم الأب بتجهيز ابنته وجمع الشورة لها منذ صغرها.[2]

ولقد كان تزويج البنات شيء صعب بالنسبة لأمر الشورة خاصة إذا بلغت سن الزواج وبدأ تخويف الخاطبين يلوح على الأبواب، هذا التخويف راجع للعرف السائد الذي تكلفه أهل الأندلس لبناتهم من المغالاة في المهور والتكلف في التجهيز لبناتهم، وفي هذا يقول المثل العامي: **"من كثر بنات كانوا الكلاب اختان"**[3]وقولهم : **"وَيْ على مَنْ مات وخلَّى سَبْعَ بنات"**[4]

كما كان الحال من الرجال العزاب فقد كان بعضهم ينظر إلى الزواج على أنه عذاب ومدعاة إلى الحاجة بسبب الفقر وغلاء المهور، وفي ذلك يقول المثل: **"زَوْجُوه حَوجُوه"** أو في المثل الثاني: **"زَوْجُوه وتَرْكُوه في عْذَابَهْ"**.[5]كما لم يكن الفقر حاجزا أمام بعضهم بل تعدّاه وأقبلوا على الزواج مصداقا لقوله تعالى: **"وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم"**[6]

كما كان الأندلسيون يعبرون عن هذا بقولهم: **"أَزَوَّجْ يفتَحْ الله عْلِيكْ"**.[7]

---

[1]– الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، د ب ط ، د ط ، د س ط، القسم الثاني، ص9، رقم 27.

[2]– محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في الأندلس عهد الدولة الأموية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2016/2015، ص 87.

[3]– الزجالي، المصدر نفسه، القسم الثاني، ص334، رقم 1446 .

[4]– المصدر نفسه، القسم الثاني، ص162، رقم753.

[5]–الزجالي، المصدر نفسه، القسم الثاني، ص 235، رقم 1035؛ محي الدين صفي الدين، المرجع نفسه،الحياة الاجتماعية في الأندلس عهد الأموي، المرجع نفسه، ص 88.

[6]– سورة النور، الآية 32.

[7]– الزجالي، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 24، رقم 82؛ محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في الأندلس عهد الأموي، المرجع نفسه، ص 88.

أما النساء العازبات فنظرن إلى الزواج على أنه مخلصهم من ظاهرة العنوسة، وبالزواج يقدرن على تكوين أسرة وإنجاب أطفال كما يقول المثل العامي: **"زوج سو خير فقد"**.[1]

ولقد كان الأندلسيون في غنى عن التحرج من تزويج بناتهم وأبنائهم في مستهل عمرهم وبداية شبابهم فبمجرد تجاوز الشاب حدّ الصبا أي بعد بلوغه السنّ الرابعة عشر أو الخامسة عشر وهذا مايورده ابن حزم القرطبي في حديثه عن أخيه المسمّى أبا بكر الذي تزوج وعاش مع زوجته ثمانية أعوام وتوفي وعمره اثنان وعشرون سنة أي أن عمره لم يتجاوز الرابعة عشر عند زواجه، فإذا كان الرجل في عمره أربعة عشر سنة فكيف بعمر البنت؟ فالراجح أنها كانت تصغره مما يدلّ على زواج البنات في سن جدّ مبكرة.[2] وعلى هذا، كيف يكون معيار اختيار الزوجة المناسبة للزواج؟

1- مراسيم الزواج الأندلسي:

أ-اختيار الزوجة:

إن أولى خطوات الزواج هي البحث عن الزوجة التي تناسب الفتى والتي تحمل مواصفات سواء أكانت خِلْقِيَةً أم خُلُقِيَة وفي هذا الصدد يقول المثل العامي الأندلسي **"أَيْ هُوَ النَّمْش ثم افتّش"** كما كان معروفا عند الأندلسيين أنهم كانوا يحبون الشقراوات كابن حزم وأبيه وغيرهم.[3]

ولقد كان الأندلسيون يفضلون الزوجات الجميلات خاصة في رشاقة جسمهن دون نحافة مفرطة كما قيل في المثل الأندلسي: **"الشحم زين ومن فقدت حزين"**، حتى ولو كانت غير مسلمة تدين بدين آخر كالنصرانيات وما أكثرهن في بلاد الأندلس، وما أكثر هذا الزواج المختلط بين المسلمين

---

[1]- الزجالي، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 229، رقم 1007؛ محي الدين صفي الدين،الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية، المرجع السابق، ص88.

[2]- ابن حزم الأندلسي، الرسائل، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص 259، 260؛ محي الدين صفي الدين، المرجع نفسه، ص 89.

[3]- ابن حزم، الرسائل، ج1، ص 130، 131؛ الزجالي، المصدر السابق، القسم الثاني، ص107، رقم 476؛ محي الدين صفي صفي الدين، الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية، المرجع السابق، ص89.

والنصرانيات، وحتى الفتيات فكنّ يحبذن الشاب الوسيم لا الشيخ الهرم خاصة إذا علمنا أن بعضهنّ زوجن كرها للشيوخ مما جعلهنّ يعشن معهم في كدر وحزن، وفي هذا يقول الشاعر:

إِنِّي لَأَرْجُو لِلْفَتَاةِ الَّتِي............تَكُونُ عِنْدَ الشَّيْخِ أَنْ تُؤْجَرَا

حَقٌ لَهَا لَوْ خَنَقَتْ نَفْسَهَا.........عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَنْ تُعْذَرَا .[1]

وبعد بوح الشاب في نيته عن الزواج فيتم إرشاده من طرف صديق أو أحد أفراد عائلته إلى الأسر التي تضمّ بنات في سنّ الزواج وقد كان بعضهم يرى الفتيات في سوق العطّارين بقرطبة[2] الذي كان ملتقى النساء أو في سوق من الأسواق أو في زيارتهنَّ لمقبرة من المقابر أو عن طريق العجائز الكبار التي يسعين في تزويج النساء الفقيرات واليتيمات من الأسر الأندلسية.[3]

ب-الخطبة:

تتكفل أسرة الشاب الذي أراد الزواج بالخطوبة وتكون أولا بالاتصال بأسرة الفتاة لطلبها لابنها ومعرفة الردّ وبخاصة رأي الفتاة في ذلك أما إذا كان الشاب من الفقراء واليتامى تتكفّل هنا النساء المتطوعات لهذه الخدمة فهن سخرن أنفسهن للسعي في تزويج الشباب والبنات اليتامى والفقراء.[4]

[1]- الزجالي، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 346، رقم 121؛ محي الدين صفي الدين،الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية، المرجع نفسه، ص89، 90.

[2]- ابن حزم، المصدر نفسه، ج1، ص121؛ محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية، المرجع السابق، ص91.

[3]- ابن حزم، المصدر نفسه، ج1، ص165؛ محي الدين صفي الدين،الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية المرجع السابق، ص91.

[4]- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، ج1، ص242؛ ابن حزم، الرسائل، المصدر السابق، ج1، ص165.

وبعد موافقة البنت وأهلها على الزواج يصبح بإمكان الشاب الرؤية قبل البناء بها، إما أن يلتقي بها في بيت أبيها مع حضور أحد محارمها أو يتحيّل لرؤيتها في مكان ما.[1]

ج-الصداق:

الصداق أو المهر شرط من شروط الزواج لقوله تعالى:" **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة"**[2]، ومن شرط صحته أن لا يتم إلا بتوفر أركان العقد من المحل والولي والصيغة وكذا الشهود والصداق.[3]، وإن الصداق من الأمور المهمة التي يناقشها أهل الزوجين من حيث قيمته ووقت دفعه لأهل الزوجة ومن عادات أهل الأندلس أنه لا يتم هذا إلا بحضور الموثق الذي يقوم بتدوين مقدار الصداق في عقد الزواج، ويتولى الزوج القيام بدفع مهر زوجته قبل البناء بها وربما يبقى نصيب يدفع مؤجلا بعد الزواج.[4]

أما تحديد قيمة الصداق فهي تختلف باختلاف الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الزوج فتعددت أشكاله، فعند مذهب الإمام مالك أقله ربع دينار أو ثلاثة دراهم كيلا، أو قيمتهما مما يجوز بيعه،[5] بينما أهل الأندلس قد تغالوا في تحديد مهور بناتهم بل تفاخروا بها، فمنها من ساق لزوجته المال الكثير"كمال ودار أو دارا يقيمها في قريته، أو عدد من المواشي حيث جاء في هذا الأخير عقد خاص في كتب الوثائق عند ذكر دفع المهر ونوعه قليله وكثيره، وقد أشرك الزوج بالسياقة زوجته في ماله، حيث ساق لها جزءا من أملاكه بل نصفها".[6]

---

[1] – محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية، المرجع السابق، ص92.

[2] – سورة النساء، الآية 04.

[3] – محي الدين صفي الدين،الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية المرجع السابق، ص 91.

[4] – حسن الجبالي، المرجع السابق، ص36.

[5] – الرجراجي، مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحلّ مشكلاتها، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار ابن حزم، ط1، 2007، ج3، ص 452.

[6] – مريامة لعناني، الأسرة الأندلسية في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ص 28، 29.

كما اعتاد الأزواج أن يرسلوا الهدايا إلى زوجاتهم التي تمثلت في ألبسة يحتجنها في كل فصل من فصول السنة، حتى أصبح هذا العرف بمثابة واجب،[1] ونظرا للمشاكل التي قد تنشب بين الأزواج فكانوا يدونون كل الشروط في عقد النكاح فتسجل تفاصيل عدّة وشروط للزوجة أو الزوج ومنها:

- اسم الزوج واسم الزوجة والصداق الذي اتفقت عليه الأسرتان.

- حالة الزوجة بكرا كانت أم ثيبا وسلامتها من الأمراض والعيوب.

- حالة الزوج من حيث الكفائة والسلامة من الأمراض العقلية والجسدية.

- شروط الزوجة على الزوج مثل: عدم الزواج من النساء أو التسري بهن مادامت في عنقه وأن لا يحرمها من زيارة أقاربها.[2]

وفي هذا يتبن لنا ما مدى حرية المرأة الأندلسية والتي كانت تشترط شروطا على الزوج ليخول نصيبا من الحرية المطلقة ومدى حب النساء الأندلسيات لأزواجهن وغيرتهن عليهم، وذلك جلي حينما وصلت المرأة إلى حد تفرض فيه على الزوج بعدم الزواج عليها أو التسري بسرائر رغم جواز وإباحة الشرع فيها.

د- جهاز العروس:

لقد كان الجهاز من الأمور المهمة التي تكون في الزواج وغالبا ما تكون مستلزمات الجهاز مجلبة للتفاخر بين أفراد العائلة والأقارب الجيران، كما كان والد العروسة ينفق أموالا كبيرة في تجهيز ابنته حتى وصل ببعضهم للاستدانة من عند الناس أو من بيع بعض حاجاته الثمينة لمواصلة تجهيز العروس والقيام بمستلزمات العرس، وذلك ليظهر أمام الملإ والناس خاصة أصهاره الذين ناسبهم على

[1] – عيسى بن سهل، ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تح: يحيي مراد، دار الحديث، القاهرة ، مصر، 2007، ص 195.

[2] – محي الدين صفيّ الدين، الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية، ص92، 93.

أنه جهز ابنته بجهاز كامل يليق بها ويليق بطبقته الاجتماعية الميسورة والتي هي في الحقيقة أعلى عن وضعه الحقيقي.[1]

وكان من عادات الأندلس أنه يسمّون جهاز العروس بالشورة وكان معظمه يصنع ويباع في قرطبة وأسواقها مشهورة به، كما كانت مدينة مرسية أيضا مشهورة بها حتى قيل فيها إنها المدينة التي تجهز منها العروس والتي تنتخب شورتها لا تفتقر في شيء من ذلك إلى سواها.[2]

كما قد يشمل جهاز العروس فضلا على متاع البيت والثياب والحلي تجهيزها حتى بالدار كما كانت العادة، المتبعة عند أهل الأندلس القيام بصندوق كبير الحجم يصنع من عود العرعار الصلب تجكع فيه شورة العروس المكونة من الغفارة والمحشو والقميص، بالإضافة إلى كنبوش[3]حرير وثوب زردخان [4]وملحفة[5] قطن.[6]

[1]- حسن الجبالي، المرجع السابق، ص 37 و38.

[2]- المرجع نفسه، ص 39.

[3]- كنبوش: صنف من الخمار تلبسه النساء في الأندلس والمغرب، والكلمة مأخوذة من cambux وهي كلمة إسبانية بمعنى القناع أو خمار أو نقاب، وهناك من قال أن أصلها فارسي معربة من: كُن بوش، كن يمعنى دُبُر، وبوش: غطاء، أي غطاء الدبر، ينظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، تق: محمود فهمي حجازي، مراجعة: عبد الهادي التازي، كلية الآداب، جامعة حلوان، ط1، 1422هـ/2002م،ص440.

[4]-ثوب زردخان: والزردخاني في العربية تعني الحرير الرقيق، يقول الدوزي: زردخاي تعني نوع من الحرير الفاخر من صناعة المغاربة، يقال: تلبس تحت القلنسوة البيضاء قلنسوة من الحرير الزردخان، ينظر:رجب عبد الجواد إبراهيم، المرجع نفسه، ص207.

[5]-ملحفة: يقول أهل الأندلس لبعض أردية الحرير ملاءة، والملاءة هي الملحفة، قال ابن قتيبة: إذا كانت الملاءة واحدة فهي ريطة، وإن كانت نصفا في شقة، والعامة تستعمل الشقة مكان الملحفة، ينظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، المرجع نفسه، ص477.

[6]-الحسن الجبالي، المرجع السابق، ص 40.

هـ–حفلة الزواج:

يبدأ الحفل في بيت العروس أسبوعا قبل يوم الزفاف، في هذا الأسبوع تستضيف العروسة المهنئات من أقاربها وجاراتها وصديقاتها حاملين معهن الهدايا مسرورات بهذه المناسبة العظيمة،[1] كما أنهن يقمن باستغلال هذه المناسبة فيجتمعن عند العروس لعدة أيام في بيتها يغنين ويرقصن ويتمتعن، وقبل زفها إلى زوجها بيوم أو يومين تذهب العروس إلى الحمام مع مجموعة من النساء ويكون ذلك مناسبة لمزيد من ابتهاجهن.[2]

وفي يوم الزفاف تحضر العروس وتتولى مزينتها أو المقينة أو الماشطة فتقوم بتزيينها وتجميلها بمساحيق التجميل وبألبستها الجميلة المعدة لزفافها، كما تحلى أيضا بالحلي والقلائد والخلاخل، أما بالنسبة للتي لا تملك حلي فتقوم باستئجاره أو استعارته من نساء أخريات، ثم تجلس على كرسي ويطلى وجهها وجسدها بمساحيق ومراهم التجميل تزيد جسمها رشاقة ونعومة وجمالا.[3]

ولقد بلغت الماشطات في تزيين العروس بتفنن بوضع الحناء في الكفين والكحل في العيون وغير ذلك مما جرت عليه عادة الأندلسيات في مناسبة زفافهن، كما تتميز العروس عن غيرها بوضع تاج على رأسها.[4]

وفي ظل هذه الأجواء المفرحة والسعادة التي غمرت وجوه الحاضرين والحاضرات يأتي أهل العريس لنقلها إلى البيت الزوجية، فتخرج إليهن وسط مجموعة من الخدم والأقارب يرافقها أحد محارمها، مرتدية لباس طويل الذيل لتودع بيتها التي ولدت ونشأت فيه إلى بيت لم تعرفه من قبل.[5]

---

[1]– Rachel Arié « Apercus sur la femme dans l'Espagne musulmane » dans Aspects de l'Espagne musulman. Histoire et culture ed. De brocard. Paris. 1997. P 26.

[2]–محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية، المرجع السابق، ص94.

[3]– المرجع نفسه، ص95.

[4]–مريامة لعنابي، الأسرة الأندلسية في عصر المرابطين والموحدين، المرجع السابق، ص38.

[5]–محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية، المرجع السابق، ص95.

ثم بعد ذلك تخرج شورة العروس وجهازها معبأة في مجموعة صناديق خشبية فتحمل على البغال ويتقدمهم مجموعة من العازفين على الآلات الموسيقية،[1] ويمشون متجهين إلى بيت الزوج والعريس راكب على حصان، أما العروسة فمستورة داخل الهودج.[2]

و–وليمة العرس:

تقام وليمة العرس في بيت العريس يحضره كل من أهل الزوج والزوجة المدعوين والأقارب والأصحاب والأصدقاء، وبرغم من تعدد نفقات العرس وثقلها حتى قيل:" **ما أطيب العرس لولا النفاقة.**"،[3] كما كانت تطهى في مثل هذا اليوم عدة أطعمة جيدة خصصت ليوم العرس كطيب المخلّل وهو لون من سبعة ألوان كانت تقدم في الولائم في الأندلس في قرطبة وإشبيلية،[4] حيث يقوم طباخون مأجورون بطهي أطعمة العرس ويقدم للحاضرين من أهل الزوج والزوجة والمدعوين والمدعوات، كما يقام في حفل الزفاف جوق موسيقي يعزفون على الآلات الموسيقية وربما زيد عليهم راقصات حاسرات الرأس كاشفات عن شعورهن، ولقد قيلت فيه بعض الأمثال :"دلَّت زامر في مكبة عروس"[5] و"من يعير بوق في يوم عرس"[7.6].

وبعد حفل الزفاف يخلوا العريس بعروسه في إحدى غرف بيت أهله وبعد ذلك يبقى مع زوجته لأسبوع لا يراه الناس فيه، كما يسميه الأندلسيون بسابع العروس وهنا ينشد ابن زيدون مهنئا المعتضد بالله بمناسبة زواجه:

---

[1] - المرجع نفسه، ص95.

[2] –مريامة لعناني، الأسرة الأندلسية في عصر المرابطين والموحدين، المرجع السابق، ص39.

[3] - الزجالي، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 242.

[4] - مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس عصر الموحدين، نشر: أمبروزي وأويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، إسبانيا، 1961، 1962، ص 12؛ مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 39.

[5] –الزجالي، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 212.

[6] - المصدر نفسه، ص 296.

[7] –مريامة لعناني، المرجع السابق، ص39.

أُسْبُوعُ أُنْس مُحْدِثٌ لِي وَحْشَةً عِلْماً بِأنّي فيهِ لَسْتُ أَرَاكَا

فأنا المعذّب غير أنّي مشعر ثقة بأنّك نــــاعم فهناك [1]

ح- مظاهر التزيين:

كان الأندلسيون في غاية الاهتمام بهيئتهم وزينتهم فبدوا في أزهى صورة وحلة، وهذا ما وصف به لسان الدين ابن الخطيب أهل غرناطة فقال: "صورهم حسنة، وأنوفهم معتدلة غير حادة، وشعورهم مرسلة، وقدودهم متوسطة معتدلة إلى القصر، وألوانهم زهر مشربة بحمرة، وألسنتهم فصيحة يتخللها إعراب كثير وتغلب عليهم الإمالة، ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشي بينهم الملف المصبوغ شتاء، فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة..."[2]، وكانت نظافة البدن من أولويات النظافة، فبنوا الحمامات بمرافقها واستعملوا مواد لتنظيف الأبدان كماء السلق ووردي الشراب والصابون[3].

لقد كانت طريقة تصفيف الشعر من مظاهر التزيين، فطريقة تصفيف الشعر اختلفت قبل وبعد الوجود الإسلامي في الأندلس، يشير اسطابون أن الرجال كانوا ذوي شعور طويلة، وأثناء الحرب كانوا يضعون عصابات على أجبانهم، أما النساء، فالعذاري منهن كن تقصن شعورهن، أما المتزوجات، فكن يضعن نوعا من الإكليل فوق رؤوسهن ملفوفا بواسطة حجاب،[4] أما بعد دخول الإسلام أصبح جميع من في الأندلس رجالا ونساء يرسلون الجمة مفروقة من وسط الجبين فينسدل شعرهم عاما على الصدغين والحاجبين، ومع رؤية زرياب وأولاده ونساءه مقصرين شعورهم دون

---

[1]- محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية، المرجع السابق، ص 96، 97.

[2]-لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص36.

[3]- السقطي أبو عبد الله محمد المالقي، (ت631هـ/1234م)، آداب الحسبة، نشر ليفي بروفنسال و ج. كولان، باريس، د.ط، د.ط، 1931،ص52.مريامة لعناني، المرجع السابق، ص109.

[4]-خديجة قروعي، ظواهر اجتماعية مسيحية وإسلامية في الأندلس، المرجع السابق، ص334.

جباههم، وقد سووها مع حواجبهم وأداروها وراء آذانهم، وأسدلوها على أصداغهم، استحسنوا ذلك وقلدوه[1].

كان المحتسب يعاقب كل من أطال شعره ويطبق عليه أحكام التأديب من قص وحلق، لأنهم يروا في الشعر الطويل شرا وذعرا[2].

استعمل الأندلسيون خاصة النساء مواد لتطييب رائحة أجسادهم، يذكر المقري أصولها وهي خمسة أصناف، العنبر والكافور والمسك والعود والزعفران[3]، كما استعمل النبات الطيب مثل الخزاما والريحان والمردقوش[4] والرازيانج في الأندلس في غاية الطيب[5].

كما استعمل الصندل والورد ومرتك المربى بماء الورد، والباخورات، وللثياب الذرور المطيبة،حتى الفم والأنف نال حصته من الطيب، فاستعملوا لذلك وصفة العود الرطب والكزبرة والفول وقشر الأترج، أما عن الأنف فبسعوط من دهن الموز والبنفسج والنيلوفز والياسمين[6].

ح-1: الكحل:

تميزت الأندلس بوفرة مناجم معدن الكحل، حيث كانت عدة مدن تختص باستغلاله، كمدينة واد آش، مدينة طرطوشة والتي كان يحمل منها إلى جميع البلاد، ويعود هذا الاستغلال

---

[1]-حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/755-1030م)، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ط1، 1414هـ/1994م، ص300.

[2]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص59.

[3]- المقري،المصدر السابق، ج1، ص199، مريامة العنابي، المرجع السابق، ص109.

[4]-المردقوش: بقل عشبي عطري زراعي طبي من الفصيلة الشفوية. المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ/2004م، 862.

[5]- مؤرخ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح وتر: لويس مورين، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميقيل أسين، مدريد، 1983، ج1، ص14.

[6]- السقطي، المصدر السابق، ص52.

الشديد إلى الطلب الكبير على الأكحال، وإلى الربح الوفير التي تعود به هذه التجارة، خاصة وأن إستعماله كان متشاركا بين المسيحيين والمسلمين، وسمي بائع الكحل اسم "الكحال"[1].

ح-2: الخضاب:

يقصد به التلوين، وقد عرف العرب عادة التخضيب منذ الجاهلية، فيقول امرئ القيس واصفا فرسه:

كأن دماء العاديات بنحره   عصارة حناء بشيب مرجل[2].

كان الإسبان يجهلون هذه العادة فقد انتقلت إليهم، وهذا ما جاء عن ذكر صاحب أخبار مجموعة أن سكان ماردة أرادوا مصالحة موسى بن نصير، فخرجوا إليه فألفوه أبيض اللحية، فراضوه على شيء لم يوافقه ثم رجعوا، فلما أقبل العيد خرجوا إليه ليراضوه، فإذا هو قد شبب لحيته بالحناء، فألفوه أحمر اللحية، فعجبوا وقال قائلهم: أظنه يأكل ولد آدم، أو ما هذا الذي رأيناه بالأمس، ثم خرجوا إليه يوم الفطر، فإذا اللحية سوداء، فرجعوا إلى أهل مدينتهم فقالوا: يا حمقاء، إنما تقاتلون أنبياء يتخلقون كيف ما شاءوا يتشببون قد صار ملكهم حدثا بعد أن كان شيخا[3].

كما خضبت النساء الأندلسيات أناملهن حتى يتخذوا اللون الأسود، لذلك شبه الأندلسيون العنب الأسود البلوط بأطراف العذاري وأصابع العذاري، وتعددت مواد التخضيب، فبالإضافة إلى الحناء استعمل بعضهم قشور الرمان، فأورد المقري أن محمد بن عبد الجبار الطرطوشي كان يخضب شعره بأقبح سواد تخضيب وهو سواد الرمان[4].

---

[1]- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979، ق3، م2، ص550، خديجة قروعي، المرجع السابق، ص325.

[2]- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د س ط، ج1، ص 465.

[3]- مجهول، أخبار مجموعة من فتح الأندلس، المصدر السابق، ص26.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج2، ص90، خديجة قروعي، المرجع السابق، ص329.

ح-3: الحلي والجواهر:

وكانت المرأة أكثر اهتماما بالزينة، خاصة ما عرفت به من شغفها بأنواع الحلي، التي تشير إليها المصادر المختلفة، دالة في ذلك على أنه من زينة المرأة، كالخلخال والقرط والقلادة والسوار[1]، ولم تتوقف زينتها عند الحلي، وإنما صنعت وصفات خاصة بالجمال، كوصفة تحمير الخدود، التي أطلقت عليها الغاسول، المتمثل في: دقيق الباقلا والكرسنة خمسة أجزاء ومن عروق الزعفران وبورق وحناء من كلواحد ربع جزء، ويغمر بذلك الوجه، ووصفة تغيير لون العينين من أسود إلى أخضر، بوضع لبن الأتان في عينيها[2].

كما ساهمت وفرة الأحجار الكريمة والجواهر في تنوع مجال صناعة الحلي بالأندلس و ذلك ما جاء في كتاب ذكر بلاد الأندلس: "ويوجد اللازورد الطيب بالأندلس بناحية لورقة من كورة تدمير، ويوجد أيضا بألمرية وببسطة وبغرناطة. ويوجد أيضا بالجبل الذي حولالأشبونة[3] يتلألأ فيه ليلا كالسراج المضيئة، والياقوت الأحمر يوجد بالأندلس في ناحية حصن منتميور من كورة مالقة إلا أنه صغير الجرم وحجر يشبه الياقوت الأحمر يوجد في ناحية مرية بجانة في خندق بغربي قرية ناشر، والمرقشيتا الذهبية التي لا مثال لها توجد بجبل أبدة، والجوهر يوجد بسواحل برشلونة والذهب يوجد بوادي غرناطة[4].

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، المكتبة الثقافية الدينية للنشر، ط1، 1997، ص، 447، ينظر: وابن دحية الكلبي، تح: إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد، أحمد بدوي، مراجعة: طه حسين، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1374 هـ - 1955م،ص207 ، ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف للنشر، القاهرة، ط3، 1955، ج1،ص397.

[2]- السقطي، المصدر السابق، ص50.

[3]-أشبونة: إحدى مدن الأندلس، متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط، من الذين ينسبون إليها أبو إسحاق بن هارون بن خلف بن عبد الكريم بن سعيد المصمودي من البربر المعروف بالزاهد الأشبوني، الحموي، معجم البلدان، ج1، ص195.

[4]- مجهول، ذكر بلاد الأندلس، المصدر السابق، ج1، ص14.

2- الزواج المختلط بين المسلمين والنصارى وأثره على المجتمع الأندلسي:

أ- ظاهرة الزواج المختلط بين المسلمين والنصارى في الأندلس:

إن ظاهرة المصاهرة والزواج المختلط بين المسلمين والنصارى في الأندلس هي من أهمّ المظاهر الاجتماعية التي ميّزت العلاقة بين الطرفين،[1] خاصة إذا علمنا أن بلاد الأندلس كانت محطّة للتواصل بين العنصرين – العنصر المسلم والعنصر النصراني- وكما لا يخفى علينا أن للأندلس خصوصية فريدة تمثلت في التسامح الديني بين المسلمين والنصارى.

ولما كان الشرع الإسلامي يخول الإباحة في الزواج من الكتابيات فكان الإقبال على هذا النوع من الزواج أمر مقبول ومعقول، وفي ذلك يقول ابن القيم الجوزية: "ويجوز نكاح الكتابية بنص القرآن الكريم، قال الله تعالى:" والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم[2]" [3]

إن مبدأ التسامح الديني تجلّى في أواسط المجتمع الأندلسي الفسيفسائي المتكون من عدّة عناصر بشرية ولا يهمّنا الفئات الأخرى بقدر ما تهمّنا الفئة المسلمة والفئة النصرانية بحيث قد ساهم الخطاب الديني في الإباحة وعدم التحرج من التزوج المسلمين بالمسيحيات على أساس أنهم منتمون لدين سماوي كما سماهم بأهل الكتاب، حيث استمرت العديد من النساء النصرانيات التي تزوجن بالمسلمين بممارسة شعائرهن الدينية دون منع أو تضييق من طرف أزواجهن المسلمين وتحدث أيضا في تخيير الأبناء بين اعتناق الإسلام أو النصرانية وإن نسبوا لأبيهم المسلم.[4]

[1]- عبد المطلب مصطفى رجب ظهر ،أهل الذمة في الأندلس خلال الحكم الأموي وعصري الخلافة (138-421هـ/ 756-1030م)، رسالة ماجستير، 1999، جامعة اليرموك، ص63.

[2]- الآية6، سورة المائدة

[3]- ابن القيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، تح: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1994، ق2، ص419.

[4]- عبد المطلب مصطفى رجب ظهر، أهل الذمة في الأندلس خلال الحكم الأموي وعصري الخلافة، المرجع نفسه، ص 63.

فقد تزوج عبد العزيز موسى بن نصير إيخيلونا النصرانية والتي جاء ذكرها في المصادر الإسلامية بأم عاصم ولقد سكن معها في كنيسة ربينةSanta rufina بمدينة إشبيلية،[1] ويوجد كثير من القادة تزوجوا بنصرانيات كعبد الجبار بن نذير[2] الذي تزوج بابنة تدمير صاحب أوريولة وعيسى بن مزاحم[3] الذي تزوج بسارة القوطية [4]بنت ألمند بن غيطشة وأنجب معها عدّة أولاد.[5]

كما يؤكد ذلك بيير كيشار بأن الزواج المختلط بين النصارى والمسلمين فرضه الواقع الاجتماعي، إلاّ أنه يؤكد أن عصبية الوافدين لم تؤثر عليها هذه الزيجات خاصة إذا علمنا أن أكثرهن من نساء السبي الناتج عن الحملات الإسلامية في الأندلس.[6]

ولقد كانت المصاهرات كثيرة بين أمراء البلدان الواقعة في الثغور الإسلامية كبني قسي وبني الطويل المولدين وحكام سرقسطة وأيضا بين ملوك إسبانيا النصرانية في مملكتي نبرة وقشتالة كما أن بعض ملوك نبرة كانوا إخوة من جهة الأمهات لبعض أمراء بني قسي المولدين.[7]

[1]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 281. محمد الأمين ولد أنّ، اليهود والنصارى من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين (422-539هـ/ 1030-1141م)، رسالة دكتوراه، إشراف عبد القادر بوباية، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2012/2013، ص97.

[2]-عبد الجبار بن نذير: هو عبد الجبار بن مروان بن نذير مولى مروان بن الحكم، يقال أنه إليه ينسب باب المدينة الشرقي المعروف بباب عبد الجبار الذي بقرطبة، ابن الآبار القضائي، التكملة لكتاب الصلة، تح: جلال الأسيوطي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص72.

[3]- عيسى بن مزاحم: من موالي عمر ابن عبد العزيز الأموي رضي الله عنه، ينظر:ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: يوسف علي طويل، مريم قاسم طويل، ج4، دار الكتب العلمية، 2012م، ص173.

[4]- سارة القوطية: هي سارة بنت المند بن غيطشة، لما توفي والدها غصبها عمها أرطباش "أرطبان" وهو أردبست بن غيطشة ضياعها وضياع أخويها هما طباش ووقلة، ولما شكت للخليفة هشام ذلك ردت لها ضياعها ومستلباتها، وزوجها من جد إبن القوطية عيسى حافظ أجداد ابن القوطية وعاشوا في إشبيلية، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص370. جاسم ياسين الدرويش، أعلام نساء الأندلس، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، 2017م، ص161.

[5]- محمد الأمين ولد أنّ، المرجع السابق، ص 97.

[6]- المرجع نفسه، ص 98.

[7]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 420.

تعتبر المصاهرات عامل من العوامل الأساسية التي تؤدي إلى وصل ونقل عناصر الحضارة ومختلف التأثيرات والعادات والتقاليد الاجتماعية ومختلف الأفكار والثقافات، وحتما سيكون الزواج المختلط من بين الدواعي الحدود المشتركة والتعايش بين الأجناس فالعلاقات والروابط التي كانت قائمة بين المسلمين والنصارى في الأندلس لا شك أنها ساهمت إلى حدّ كبير في عملية انصهار الأجناس والتقارب الثقافي وحوار الحضارات.[1]

وكان بعض ملوك النصارى عندما يأتون إلى المدن الأندلسية لزيارة بناتهم أو أقاربهم فكانوا يأتون في موكب كبير من رجال الدولة وأفراد العائلة الملكية مصطحبين في ذلك أهل العلم والأدب ومن الواضح أن هؤلاء المجموعات النصرانية عند امتزاجهم ومخالطتهم للمسلمين بالقصور وغيرها فحتما يقع التبادل الثقافي والعلمي بين العنصرين،[2]ولقد كانت زوجة المجاهد العامري صاحب دانيا والجزائر الشرقية هي الأميرة جود النصرانية كما كان لها خمس بنات زوّجن لملوك الطوائف.[3]

وإذا تصفحنا في صفحات تاريخ الأندلس السابقة لفترة ملوك الطوائف فإنا نجد أنه يوجد ثلة كبيرة لا يستهان بها من المولدين التي أصول أمهاتهم نصرانيات، ويظهر هذا في الملامح الجسمية كالعين الزرقاء والشعر الأحمر والبشرة البيضاء في بعض الخلفاء كعبد الرحمن الناصر وهذا راجع لعدّة عوامل أهمها الفتيات النصرانيات التي كانت تأتي إلى قصور المسلمين ضمن الجزية التي فرضتها السلطة الأموية على الدول النصرانية بحيث كان في قصر إشبيلية رواق يدعى برواق الصبايا حيث كان يستقبل فيه الفتيات اللاتي كان على النصارى الشمال أن يقدموا مائة منهن كل عام لملوك العرب.[4]

---

[1]- محمد عباسة، العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر، مجلة حوليات التراث، كلية الآداب، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، عدد: 03، 2005، ص08.

[2]- المرجع نفسه، ص 08.

[3]-رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص420.

[4]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع نفسه، ص420.

وكما يقال الناس على دين ملوكهم فكما تزوج الملوك المسلمين بالنصارى في الأندلس فقد تبعهم العامة في ذلك خاصة الموسرين لأن هؤلاء جميعا وفدوا إلى الأندلس دون مصاحبة لنسائهم وأهليهم فقد ولجوا إليها جيوشا منظمة تحت لواء الجهاد فأصبح الزواج المختلط أمر محتّم لا مفر ونتج عنه الجيل الثاني من مسلمي الأندلس كان هجينا إذ كانت بيوت الملوك بيوت مولّدة وإنما كانوا عربا بالإحساس والاتجاه واللغة.[1]

كان الفاتحون ممن دخلوا الأندلس رجالا بلا نساء، وأن الحاجة اضطرتهم إلى أن يتخذوا من نساء وبنات أهل البلاد المفتوحة زوجات وأمهات لأولادهم، فما أن كانت الحرب تضع أوزارها حتى يأخذ القواد والجنود بالأسرى من بنات المدن الإسبانية المفتوحة، ولم يقتصر الزواج على هذا المصدر فقط، بل وكانت مصادر أخرى ومتعددة.[2]

ب- مصادر الزوجات:

ب-1: سبايا الحروب:

إن سبايا الحروب هي مصدر مهم في الحصول على النساء من السبي لجعلهن زوجات أو أمهات لأولاد إن لم نقل جواري بأصنافهنّ، وإذا أمعنا النظر في السبي من النساء فالظاهر أنهنّ كان يرتفع وينقص بحسب قوة الحاكم القائم على البلاد فإذا كان قويّا فالكفة تكون بجانبه أي يستطيع أن يحارب ويسبي النساء النصرانيات كما كان حال عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/ 912-961م) أنه دوخ ملوك الفرنجة وأفزع قلوبهم وسبى نسائهم بخلاف ما وقع في مأساة بربشتر فإنه هذا ناتج عن ضعف الحاكم المسلم.[3]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 421.

[2]- خالد حسن حمد الجبالي، المرجع السابق ص48، 49.

[3]- خالد حسن حمد الجبالي، المرجع السابق، ص 49.

ب-2: الجواري:

هذا المصدر من النساء يعتبر المصدر الأهم إذ أن الجواري عن بيعهنّ في الأسواق التي جاءت عن طريق الحرب والغزو وما كان يتم شراؤه من النصارى في بلدانهم فهو قليل بالنسبة للأول ولقد كانت عادة شراء وبيع الجواري سائدة في بلاد الأندلس بحيث كانت قصور الأمراء والملوك تعجّ وتمتلئ بالإماء الإسبانيات فما بالك بالعوام.[1]

وهذا لا يعني أن شراء الجارية وبيعها في السوق من الأمور المستسهل فيها بل هو في جدّة الحزم فقد كان يشترط لشرائها كتابة كما كان أيضا من الواجب أن يصرح البائع بما في الجارية من محاسن كعلم أو أدب أو حرفة وغيرها ومن نقص كمرض أو عاهة أو غير ذلك،[2]وكتب النوازل وجدت إشارة إلى أن جارية بيعت لمسلم حيث اشترط عليها أن تكون نصرانية فوجدها مسلمة.[3]

في حين لا ننسى أن الجواري كانت أثمانهم تعلو وتنزل بحسب قيمتهم العلمية أو الحرفية ولم يكن يخلو المجتمع الأندلسي من هذا،[4]فهاهو الفقيه ابن حزم يقول: " وهنّ علمنني القرآن وروّينني كثيرا من الأشعار ودرّبنني في الخطّ "[5] .

---

[1]- المرجع السابق، ص51.

[2]- المرجع السابق، ص52.

[3]- هناء سوقة، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس من خلال كتاب الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي (413هـ-483هـ)، رسالة ماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المملكة المغربية، ص80.

[4]- خالد حسن حمد الجبالي، المرجع السابق، ص 52.

[5]- ابن حزم الأندلسي ، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح:إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط1، 1980، ج1، ص 166.

ج – نماذج من الزواج المختلط بين المسلمين والنصارى في الأندلس:

لقد أصبح الزواج من النصرانيات عادة منتشرة بين مسلمي الأندلس، وقد استمر ذلك ولكن بصورة أقل في عصر ملوك الطوائف، إذ تقلص عدد مثل هذه الزيجات بفضل انتشار الإسلام وتضاعف عدد المسلمين مقارنة بالنصارى، ومع ذلك بقيت المصادر تورد بعض الأمثلة عن المصاهرة بين المسلمين والنصارى، فكانت أم علي بن مجاهد العامري صاحب دانية نصرانية.[1]

كذلك الحال بالنسبة للمرأة المسلمة التي كانت تقع أسيرة في أيدي الإسبان وراء حدود الأندلس، ذلك أن هزيمة المسلمين النكراء في معركة بربشتر[2] الشهيرة قد أدى إلى وقوع عدد كبير من النساء والبنات والأطفال في السبي المسيحي المهين، وقدره المؤرخون بحوالي مائة ألف أسير أغلبهم من الطبقة العالية والوسطى. ورغم هذا المؤشر الضخم إلاّ أنه يشير إلى حجم التأثير الحضاري الذي سيتلقاه المجتمع المسيحي في الشمال.[3]

ولقد تزوج أشهر ملوك قشتالة وليون في القرن الخامس الحادي عشر ميلادي وهو ألفونسو السادس[4] من زوجة المأمون ابن المعتمد بن عباد المسماة بزايدة (سيدة) بعد أن قتل المرابطون زوجها وأسروا أباه المعتمد بن عباد حيث تنصرت وأنجبت معه ابنه الوحيد شانجة.[5]

---

[1]– محي الدين صفي الدين، المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر 2008/2007، ص69.

[2]–معركة بربشتر الشهيرة: يقول عنها الحميري بربشتر من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع، غزاها على غرة وقلة عدة أهلها، قاد الجيش رئيس يسمى ألبيطُش في عسكر من أربعين ألف فارس، حاصرها أربعين يوما حتى افتتحها، فقتل عامة رجالها وسبو الذراري والنساء. ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص40.

[3]– ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، ج1، بيروت، 1990، ص371.

[4]– ألفونسو السادس: ويسمى "الأذفونش"(1065 – 1109م)، ملك الفرنج ، وارث ملك لذريق، وكان ممن قوي طمعه في بلاد مصر والشام في آخر أيام الفاطميين، وكان صاحب السطوة،وكان كرسيه بطليطلة من بلاد الأندلس، ينظر: ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979م، ج5، 220، وأحمد علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: يوسف علي طويل، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ص167.

[5]–رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص422، 423.

د- أثر الزواج المختلط بين المسلمين والنصارى في الأندلس:

لقد كان الزواج المختلط أثرا على الحياة الاجتماعية فقد كان له أيضا أثرا بارزا على الحياة السياسية في الأندلس فقد كانت نساء الملوك ينقلن أخبار أزواجهن لآبائهن إما عن قصد أو غير قصد كما كانت تنقل أفكار النصارى إلى المسلمين والعكس أيضا، ولتعلمهن اللغة العربية فقد كان ينقلن الأفكار والأقاصيص الإسبانية والأوروبية إلى اللغة العربية فانقسمت البيوت إلى قسمين القسم الأول هو من أولاد السراري والقسم الثاني هم من أولاد الحرائر على أن الأولاد كانوا تبعا لأمهاتهم، وكثيرا ما دبرت المؤامرات والدسائس بسبب عدم نسيانهن لنصرانيتهن.[1]

إن فئة الأطفال المولّدة كانت تنتشر عندهم لغة أمهاتهم بجانب اللغة العربية وكذا انتشار لغة شعبية التي سميت باللغة اللطينية والتي مزيج من اللغة اللاتينية واللغة العربية واللغة البربرية يتكلمها الناس في حياتهم اليومية وفي هذا الصدد يتعجب الفقيه ابن حزم من أهل دار (بلى) بشمال قرطبة أهاليهم يتكلمون باللغة العربية فقط ولا يحسنون الكلام باللاطينية بل كانت توجد لغة غاليسيا (جيليقية) في القصور الإسلامية بدل العربية واللاطينية.[2]

ولقد انتقل التأثير الإسلامي في نظام الزواج إلى بلاط ملوك النصارى في زمن ملوك الطوائف حيث كان ثلاثة أنواع من الزواج في الشمال الإسباني فالأول هو الزواج الرسمي الذي تعترف به الكنيسة ويسمى بـ bendicion وهو زواج مبارك تعقبه حفلة دينية أما الزواج الثاني يسمى بـ syuras وهو زواج يتم باتفاق بسيط بين الطرفين وهو زواج لا تمنعه الكنيسة أما الزواج الأخير فهو

---

[1]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 421، 422.

[2]- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ/1983م، ص 443؛ رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 421.

مشابه للثاني ولكنه غير معترف به في الكنيسة ويرفضه رجال الدين ويعتبر زواج غير قانوني أو شرعي وهذا النوعان من الزواج يمكن أن نعتبرهما تقليدا مسيحيا للمسلمين وهو التسرّي بالسرائر والحظايا.[1]

ولو نظرنا إلى تقاليد المسلمين وأسلوب حياتهم ومعيشتهم وإن تبرأ منها النصارى إلاّ أنها أثرت تأثيرا مباشرا في حياة النصارى وتبنوها وأكّدوا على ممارستها فقد كان عدد من ملوك النصارى في ليون وقشتالة فضلا على اكتسابهم زوجتهم الشرعية إلاّ أنّهم يمتلكون جواري.[2]

كما أنّ التأثير الإسلامي قد طغى حول عادات المسيحيين في إقامة زفافهم فهذه العروس الإسبانية زُفَّت إلى عريس مسلم وقد اكتحلت عيناها بكحل إثمد عربي وصبغت أناملها بالحناء وتطيبت بالعود والغالية وخضعت لكل مراسيم وعادات الزفاف الإسلامي.[3]

ولقد دخل هذا التأثير أيضا في مجال الغناء والموسيقى فقد ذكر عباس الجراري نقلا عن أحمد التيفاشي ت651هـ في كتابه فصل الخطاب في مدارك الخمس لأولي الألباب : " أن أهل الأندلس في القديم كان غناؤهم إمّا بطريقة النصارى وإما بطريقة حداة العرب ولم يكن عندهم قانون يعتمدون عليه إلى أن تأثّلت الدولة الأموية وكانت مدّة الحكم الربضي فوفد عليه من المشرق ومن إفريقية من يحسن غناء التّلاحين المدينة فأخذ الناس عنهم إلى أن وفد الإمام المقدّم في هذا الشأن علي بن نافع الملقب بزرياب".[4]

وإن المرأة تكون أسيرة في البدء ثم زوجة أو وصيفة أو جارية أو عشيقة وفي النهاية يبرز دورها القوي في التأثير على الرجل المسيحي الذي آل اليه أمرها فهي تطبعه حتما بطبعها يحب ما تحب

[1]- رجب محمد عبد الحليم، ، المرجع السابق، ص422.

[2]- المرجع نفسه، ص422.

[3]- خديجة قروعي، المرجع السابق، ص 269.

[4]- عباس الجراري، أهمية الموسيقى في حضارة الأندلس، التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، مطبوعات المملكة المغربية، سلسلة الدورات، 17-19 شوال 1412هـ/ 21-23 أفريل 1992م، ص 142.

ويكره ما تكره، وأخيرا يتعلم منها لغتها العربية الفصيحة أو عامية وتأخذه بتقاليد مجتمعها وبيئتها، وفي ذلك يشير ليفي بروفينسال أن هناك سيدة مسلمة دخلت البلاط القشتالي كزوجة لألفونسو وهي إحدى زوجات أبناء المعتمد ابن عباد والتي تعرفها الرواية القشتالية "زايدة" وكان زواجها منه على سبيل الانتقام من المرابطين حيث أصبحت ضمن حظايا ألفونسو السادس وأنجب منها ابنه الوحيد شانجة الذي قتل في معركة إقليش عام 50هـ/1107م.[1]

كان للمرأة المسلمة عامة والأسيرة خاصة، أهمية واضحة في نشر العادات الاجتماعية والثقافية الإسلامية إذ كان للمرأة الأندلسية ثقافة عالية ومعرفة واسعة بالفن والأدب والتاريخ ولم يكن مجرد مصادفة بحتة أن المرأة البروفنسية كانت أول امرأة أوربية اشتغلت بالأدب، فقد كانت مقاطعة بروفانس تضم ابتداء من القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي أفواجا من هؤلاء الأندلسيات والمقدر عددهم بالآلاف اللاتي نقلن من مدينة بربشتر، وفي الجانب المسيحي كانت المرأة العربية في قصور الملوك الإسبان، ففي مدينة برغش[2] أقيم في قصر شانجة غرسية حفل تميز بعدد من المغنيات والراقصات أهداهن إليه الخليفة في قرطبة فأمرت زوجة شانجة واحدة منهن بالغناء فغنت بالعربية.[3]

---

[1]- الطاهر أحمد مكي، دراسات عن ابن حزم، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1993، ص43.

[2]-برغش: قرية قرب طليطلة، سكنها صادق بن خلف بن صادق بن كتيل الأنصاري الطليطلي (ت 470).ينظر:الحموي، المصدر السابق، ج1، ص485.

[3]-أحمد مكي، المرجع السابق، ص40.

هـ- النتائج المترتبة عن الزواج المختلط بين المسلمين والنصارى في الأندلس:

لقد أدّى الزواج المختلط في الأندلس إلى تجاوز الفوارق الإثنودينية في الأندلس وإلى ظهور إلى نوع من التقارب بين العائلات النصرانية والعائلات المسلمة.[1]

إن من النتائج المحصّلة عليها من خلال الزواج المختلط في الأندلس هو تشكل مجتمع فريد من نوعه اختلطت فيه وامتزجت فيه الخصائص المشرقية والمغربية بالخصائص الإسبانية، [2] والملاحظ من خلال هذا النقص لظاهرة الزواج المختلط في الأندلس أنه لم ينقطع بل استمرت طوال فترة الحكم الإسلامي بالأندلس، وكانت نسبتها تزداد كلما ازدادت حروب المسلمين للمناطق النصرانية المجاورة لذلك تعتبر فترة ما بعد سقوط الدولة الأموية فترة بلغت فيها ظاهرة الزواج المختلط أوجّها وأغلبهنّ من سبايا البشكنس والجلالقة ونتيجة لهذا الوضع رغب الشباب الأندلسي عن الزواج بالأندلسيات فأصبح يعاني من أزمة ارتفاع نسبة النساء العوانس، وهذا ما دفع بالآباء والأولياء إلى التغالي فيما يجهزونهنّ به بناتهم من الحلي والثياب والدور لكي يرغبون فيهنّ بما يجهزونهنّ به.[3]

ونتيجة وفرة وكثرة الجواري الإسبانيات فأدّى هذا إلى انخفاض أثمانهن حتى أنه نودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة وكانت رائعة الجمال فلم تساو أكثر من عشرين دينارا، إن هذه الأزمة الاجتماعية التي أصبح في المجتمع الأندلسي كثرة النساء العوانس فيه تواصل عهد المرابطين نتيجة لكثرة الحروب والغزوات في هذه الفترة وهو ما سيحدث فيما بعد عن كثرة الأرامل التي سيوظفن في قائمة العوانس،[4] وفي هذا يقول الشاعر:

والربض لا شيوخ ولا حجاج ....وأرامل ملاح بلا زواج

---

[1]- خديجة قروعي المرجع السابق، ص 265.

[2]- خديجة قروعي، المرجع السابق، ص 250.

[3]- المرجع نفسه، ص 254.

[4]- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1955، ج1، 173؛ خديجة قروعي، المرجع السابق، ص 254، 255.

إن حفل الزفاف هو المناسبة الأساسية التي يلتقي فيها عناصر العائلات المسلمة والنصرانية، بل يجب علينا أن نمحص النظر في الاحتفال للزفاف على أنه أدّى إلى مشاركة الفريقان في الحفل من خلال تنوع الألبسة والأطعمة التي تؤكل في حفل الزفاف أو الأغاني ومظاهر الرقص والفرح خلال مدّة الزفاف، وإن عادة لبس العروس لباسا طويلا يتسربل وراءها ربما هو من عادات النصارى لأن الأوروبيات عرفن في العصور الوسطى بارتداء هذا الزيّ من اللباس الطويل، كما أن عادة حمل العروس في موكب في نزهة بحرية ربما كانت أيضا من المؤثرات المسيحية في طقوس وعادات حفل الزفاف الإسلامي.[1]

وبالتالي كان العرس في إطار الزواج المختلط فضاء للتواصل بين المسلمين والنصرانيين ومجالا للتأثير والتأثر في عدّة ميادين.

إن هذا التصاهر والأزواج مابين المسلمين والنصارى أدّى إلى التلاحم والتماسك فيما بينهم على مستوى الحياة السياسية فقد كانوا يقاربون أعدائهم سواء أكانوا من النصارى أم من المسلمين.[2]

ولا شك أن المدن المستردّة إبان الحرب الاسترداد قد تنصّر بعض سكّانها ولابدّ أن تكون المصاهرات قد عقدت بين هؤلاء النصارى القدامى والنصارى الجدد،[3] فحتما يوجد تأثير وتأثر مابين الطرفين المسلمين والنصارى من حيث الثقافة الإسلامية والعادات والتقاليد التي اكتسبوها في السابق.

وعلى العموم لم تقدم لنا المصادر التاريخية ما يكفي لنا من معلومات حول هذه الظاهرة الاجتماعية على الرغم من انتشارها خاصة في عصر ملوك الطوائف العصر الذي يعتبر المرحلة

---

[1]– خديجة قروعي، المرجع السابق، ص 265، 269.

[2]– رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص420.

[3]–المرجع نفسه، ص 423.

التاريخية التي انصهر فيها المجتمع الأندلسي واندماج عناصره الإثنية ، ومع هذا يزداد دور الفقهاء في فرض الزواج المختلط على المسيحيين عند اغتصاب المسلمات.[1]

المبحث الثاني: الاحتفالات في المجتمع الأندلسي عهد ملوك الطوائف:

انتقلت الحضارة الإسلامية خارج إيبيريا إلى غالة المجاورة حين كان رهبان كلوني لا تتوقف رحلاتهم بين مقرهم في غالة وأديرتهم في طليطلة، إضافة لما نقله الحجاج من المقر المقدس بشنتي اقب في الشمال[2].

ولقد كان تأثير المسلمين الخلقي على الأندلس وعلى رجال الممالك المسيحية كبيرا جدا، فقد أشار لوبون ما ذكره سبوباونلي في كتابه عن القرآن بقوله (أسفرت تجارب العرب وتقاليدهم عن تهذيب طبائعنا الغليظة في القرون الوسطى وتعلم فرساننا أسمى العواطف وأنبلها من غير أن يفقدوا شيئا من شجاعتهم).[3]

إنّ الحرية التي تمتّع بها نصارى الأندلس والتسامح الذي ساد أركان البلاد في شتى المجالات، جعل من أهالي البلاد الأصليين يمارسون نشاطاتهم بكل حرية، "فلم تتدخل السلطة الإسلامية في شيء من أمورهم الخصوصية"[4]، بل سمحت لهم بممارسة طقوسهم الدينية في مناسباتهم وأعيادهم، الأمر الذي جعل المسلمين يحتكون بهم ويشاركوهم في أعيادهم النصرانية، بل قلّدوهم في عاداتهم وتقاليدهم، "ووصل الحدّ بهم أنهم كانوا يرتقبون مجيئها ويحرصون على مشاركة النصارى فيها"[5]

[1]- خديجة قروعي، المرجع السابق، ص 256، 257.

[2]- شاخت وبوزورث، تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهوري، تحقيق شاكر مصطفي، الكويت1978، ص572. 573.

[3]- لوبون غوستاف، حضارة العرب، تعريب محمد عادل زعتر، القاهرة، 1945، ص576.

[4]- محمد الأمين ولد أنّ، اليهود والنصارى من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين (422هـ-539م/1030-1141م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2012- 2013م، ص 101.

[5]- المرجع نفسه، ص 101.

وفي هذا يعترف دوفروك ببهجة الاحتفالات لدى النصارى، وذلك بتزيين الجدران والتفرج عليها، حيث يتلقون الهدايا من النصارى في مثل هذه الأيام، وهم يلبون دعوات النصارى للتناول معهم[1]

1- الأعياد الإسلامية:

ظهرت أول مظاهر الاندماج والتعايش في الاحتفالات والأعياد، حيث كانت الأعياد في الأندلس كثيرة، وعلى رأسها أهم عيدين للمسلمين وهم عيد الفطر وعيد الأضحى، هذا علاوة على الأعياد التي استحدثت من كلا الطرفين، وكان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من أهم الأعياد الدينية التي تلقى اهتماما واسعا في الأندلس يحضرها الرجال والنساء والأطفال، هذا عن الأعياد الدينية، أما ما يمكن أن نطلق عليه الأعياد الوطنية، والتي كان يشارك فيها كل أهل الأندلس مجتمعين من رجال ونساء، مسلمين ونصارى، مثالا لذلك عيد العصير، وهو موسم جني محصول العنب الذي يتم في جو من الغناء والمرح والرقص، وكانوا يرتدون في هذا اليوم أجمل وأبهى ثيابهم.[2]

1-أ: يوم الجمعة:

جرت العادة أن يقوم الباعة المسلمين يوم الجمعة بكنس رحاب الجامع صبيحة يوم الجمعة +ولا يشغلوا رحابه بالسلع وذلك لإتاحة الفرصة لعدد كبير من المسلمين لحضور خطبة الجمعة والصلاة.[3]

1-ب: شهر رمضان:

ومن المناسبات الدينية التي احتفل بها مسلمو الأندلس حلول شهر رمضان المعظم، حي كانوا يحتفلون بحلوله بأن يخرج القضاة والفقهاء وأئمة المساجد لاستطلاع هلال رمضان، كما يزخر هذا

---

[1]- المرجع نفسه، ص 101.

[2]- كمال أبو مصطفى، مالقة الإسلامية في عهد دويلات الطوائف" القرن الخامس هجري. الحادي عشر ميلادي"، الأسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1993، ص104.103.

[3]- ابن عبدون محمد أحمد التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح:: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص23.

الشهر بمجالس الذكر والعلم، والإكثار من قراءة القرآن في المساجد، ولعل الشيء الملفت للنظر هو العناية بتنظيف المساجد وإنارتها بالقناديل والثريات وإحراق كميات كبيرة من البخور.

1-ج: ليلة القدر:

كما اعتبر السابع والعشرون من رمضان ليلة معظمة لدى الأندلسيين، ففيها يختم القرآن الكريم وتسمى عندهم الختمة،[1] فقد حرصوا عليها لما فيها من أجر عظيم.[2]

1-د: عيد الفطر:

ثم تأتي بعد ذلك فرحة الناس برؤية هلال شوال، ويتولى القضاة ورجال الدين تحديد يوم عيد الفطر بعد التأكد من رؤية الهلال، ومن ثمة يعلن عن ذلك في كل كور الأندلس، فيلبس الناس الملابس الجديدة،[3] وبعد الانتهاء من الصلاة يخرج الناس إلى الشوارع والميادين والمتنزهات والأماكن العامة، كما تقوم الأمهات بتحضير موائد تضم أصنافا متعددة من الأطباق.[4]

1-هـ: عيد الأضحى:

وبعد عيد الفطر يأتي عيد الأضحى، فهو أعظم عيد بعد عيد الفطر لدى المسلمين كافة، في مشارق الأرض ومغاربها، وكان يحتفل به في العاشر من ذي الحجة، حيث يتم التحضير له مسبقا

---

[1] - السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضر الخلافة الإسلامية في الأندلس، دراسة تاريخية عمرانية أثرية، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، ج2، ص117.

[2] - حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت، المكتبة الثقافية المصرية، القاهرة 1991، ط13، 603/4.

[3] - محمد أحمد أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص249248.

[4] - Levis Provencal, histoire de l'Espagne musulmane, tom3, paris, 1953, P23.

بيوم أو يومين، فيذهب الناس الميسورين لشراء الأضاحي للأسر الفقيرة،[1] وجرت السنة أن يتم ذبح الناس لأضاحيهم بعد ذبح أضحية إمام المسجد، فقد أشارت فتاوى ابن رشد إلى وجوب إخراج أضحيته إلى المصلى حتى يشاهدها الناس، ولا يذبحون قبل انصرافه إلى منزله.[2]

1-و: حفل الإعذار:

كما كان شائعا في الأندلس حفل إعذار الأطفال، وهي امتداد لما شاع في القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي، في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر، حيث ختن أولاده وختن معهم من أولاد أهل دولته خمسمائة صبي، ومن الضعفاء والفقراء عدد لا يحصى، وكان يتولى هذه العملية الحجام.[3] وأمّا أعظم الحفلات التي أقيمت في عصر ملوك الطوائف، فهي الوليمة التي أقامها المأمون بن ذي النون بقصره في طليطلة سنة 455هـ إحتفالا بختان حفيده يحي، فقد كان أكثر بذخا وجلالا وتبذيرا.[4]

2- الأعياد النصرانية:

2-أ: عيد النيروز: هو من الأعياد الكبرى في الأندلس وقد اقترن به الاحتفال بالطبيعة ولقي اهتماما كبيرا من الأندلسيين بحيث يكون زمنه في مستهل شهر يناير من كل سنة ويعتبر عيد النيروز من الأعياد التي احتلت مكانة رفيعة في نفوس الأندلسيين بحيث كانوا يرتقبون الليلة السالفة لهذا العيد لجعلها موعدا مناسبا لعقد القران، ومن العادات والتقاليد في مثل هذا اليوم هو صنع الحلويات المختلفة ذات الأشكال الجميلة كصور المدائن وغيرها وتقدّم هذه الحلوى للضيوف.[5]

---

[1] - عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1976، ص226.

[2] - ابن رشد، فتاوى ابن رشد، تح: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1987، السفر الثاني، ص1120.

[3] - المقري،المصدر السابق، ج2، ص128.

[4] حسن أحمد النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الأندلس، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص162.

[5] - خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص87.

2–ب: عيد الفصح: وهو من الأعياد النصرانية التي يسمونها بعيد خميس أبريل أو خميس العهد وفيه يقوم النصارى باشتراء المجبنات والإسفنج.[1]

2–ج: عيد العنصرة: وهو من الأعياد النصرانية التي تقام بالأندلس ويحتفل به على أنه شكر لله على نهاية موسم الحصاد وقد سمي في الكتاب المقدّس بعيد الحصاد وعيد الأسابيع ويوم البواكير، وربما سمي بعيد المهرجان،[2] ويعتبر أيضا كذكرى لنزول الشريعة الموسوية إذ يحتفل به المسيحيون يوم الأحد السابع بعد عيد الفصح وقد جرت عادة الأندلسيين الاحتفال بهذا العيد في يوم الرابع والعشرين من شهر يونيو المصادف لعيد ميلاد سيدنا يحيى بن زكرياء عليه السلام.[3]

ومن مظاهر به أنهم كانوا يجرون الخيل والمباراة ويشعلون شعلة من نار فيقفزون فوقها إذ يقول المثل العامي في الأندلس: "الكبش المصوّف مايقفز العنصرة"، كما كانت تقوم النساء برش بيوتهنّ واضعات لثيابهنّ عرضة للندى والهواء بالليل وفي الصباح يغتسلن ويتنظفن[4]

كما أنّ من مظاهر الاحتفال به أنهم كانوا يتهادون فيه ويتبادلون الهدايا، وقد قال أحد الشعراء:

أُحِبُّ المهرجانَ لأنَّ فيه ... سُروراً للملوكِ ذَوِي النِّساءِ

وباباً للمصـيرِ إلى أوانِ ... تفتحُ فيه أبوابَ السَّمـــاءِ[5]

وزاد وقعه عند الأندلسيين فقال فيه حسان بن مالك بن أبي عبيدة (ت 416هـ/1025م):

أرى المهرجان قد استبشرا ... غداة بكى المزن واستعبرا

---

[1]– ولد أنّ محمد الأمين، المرجع السابق، ص 103.

[2]–عبادة كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة مصر،ط1، 1414هـ/ 1993م، ص 110.

[3]– خديجة قروعي، المرجع السابق، ص 402-403.

[4]– المرجع نفسه، ص 403.

[5]– المرجع نفسه، ص: 401-402.

وسربلت الأرض أمواها   وجللت السندس الأخضرا

كما أورد الشاعر ابن اللبانة شعرا حول عيد المهرجان فقال:

بشرى بيوم المهرجان فإنه   يوم عليه من احتفائك رونق

طارت بنات الماء فيها وريشها   ريش الغراب وغير ذلك شوذق

وعلى الخليج كتيبة جرارة   مثل الخليج كلاهما يتدفق

وبنو الحروب على الجواري   التي تجري كما تجري الجياد السبق

ملأ الكماة ظهورها وبطونها   فأتت كما تأتي السحاب المغدق

خاضت غدير الماء سابحة به   فكأنّما هي في سراب أينق

عجبا لها ماخلت قبل عيانها   أن يحمل الأسد الضواري زورق

هزت مجاديفا إليك كأنها   أهداب عين للرقيب تحدق

وكأنها أقلام كاتب دولة   في عرض قرطاس تخطّ وتمشق[1]

2-د: عيد البشارة: وهو من الأعياد الدينية عند النصارى إذ يعتبرون أنّ الخامس والعشرين من شهر مارس وهو اليوم الذي يشر فيه سيدنا جبريل عليه السلام السيدة مريم البتول بميلاد سيدنا عيسى عليه السلام ومن مظاهر الاحتفال به هو القيام بعادات وتقاليد كالامتناع عن التصاهر والتزاوج.[2]

[1]-ولد أنّ محمد الأمين، المرجع السابق، ص104.

[2]- المرجع نفسه، ص 105.

2–هـ: عيد ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام: يحتفل النصارى بعيد ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام في السنة في ليلة الخامس والعشرين من شهر ديسمبر وهو من المناسبات التي تظهر الفرحة والبسمة على وجوههم إذ يتبادلون فيه الهدايا والمأكولات والحلويات.[1]

2–و: عيد العصير: يحتفل النصارى بعيد العصير في موسم الخريف بعد جني العنب فيخرجون للحقول والبساتين مرتدين الألبسة الحسنة ومصطحبين لمأكولات شتى.[2]

ويوجد عدّة أعياد احتفل بها المسيحيون متبركين بالقديسين المسيحيين وهي:

عيد القدّيس سبريانو san cipriano في الرابع والعشرين من شهر سبتمبر.

عيد القديسة كريستينا santa cristina في السادس والعشرين من شهر يوليو.

عيد القديسة سيسليا santa cicilia في الثاني والعشرين من شهر نوفمبر.

عيد القديسة ليوكاديا santa leocadia في الثاني عشر عشر من شهر سبتمبر.

عيد القديس كريستوبال san cristobal في العاشر من شهر يوليو.[3]

عيد القديسين سرفاند وجرمان san servando y san german في الثالث والعشرين من شهر أكتوبر.

عيد القديس ساتورينو san saturinot التاسع والعشرين من شهر نوفمبر.

عيد القديسة أولالية santa eulalia في العاشر من شهر ديسمبر.

---

[1]– ولد أنّ محمد الأمين المرجع السابق، ص 105.

[2]– المرجع نفسه، ص 105.

[3]– المرجع نفسه، ص 105.

عيد القديسة كولومبا santa culumba في الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر.

عيد إيداع الصليب المقدس ivenciendo la santa crus في الثالث من شهر ماي.

عيد القديس خوليان وأصدقائه san julian y comaneros في السابع من شهر يناير.

عيد القدّيس سرياكو والقدّيسة باولا san ciriaco y santa paula في الثامن عشر من شهر يونيو.

عيد القدّيسين خوستو وباستور sant justo y pastor في السادس من شهر أوت.

عيد القدّيس أجلج san asiclo في الثامن من شهر نوفمبر.

عيد انتظار القدّيسة مريم expectacion de maria santicima

عيد القديس بطرس san pedro في التاسع من شهر يونيو.[1]

3- أسباب احتفال المسلمين بأعياد النصارى:

وقد كان المسلمون والنصارى يتشاركون في الاحتفال بالأعياد، وهذا ما أشار إليه الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي في بحثه القيم الإسلام في أرض الأندلس[2]، خاصة المسيحية لأن أعياد النصارى معروف وقتها مسبقا، فهي منظمة طبقا للتقويم الميلادي، تأتي دائما في نفس الوقت من العام، لها ميعاد ثابت، عكس الأعياد الإسلامية التي ترتبط بتوقيت معين من السنة، ومن أهم هذه

[1]- ولد أنّ محمد الأمين، المرجع السابق، ص 106.

[2]- أحمد مختار العبادى، **الإسلام في أرض الأندلس أثر البيئة الأوربية**، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثاني، الكويت،1984، 391.

الأعياد المسيحية التي تشارك فيها الشعب الأندلسي، عيد الميلاد، أي ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام، وخميس ابريل أو خميس العهد.[1]

وقد بدأ التعايش السلمي بين الطرفين منذ عصر الإمارة وتجلى ذلك بصورة واضحة في اتخاذ المسلمين يوم الأحد يوم عطلة رسمية مشاركين بذلك النصارى والمعاهدين والمستعربين وغيرهم، وظل ذلك معمولا به خلال عصر الطوائف ولم يتم إلغاؤه إلا مع دخول المرابطين إلى الأندلس[2].

وضح العزفي في كتابه الدر المنتظم أن أبرز مظاهر التعايش بين الطرفين كانت ظاهرة في الاحتفال بالمناسبات الخاصة بكل فريق، فقد كان مسلمي الأندلس يحرصون على شراء الفاكهة وأنواع معينة من الحلوى والأطعمة، بل ويتبادلون الهدايا، وذلك في مناسبة الاحتفال بعيد ميلاد المسيح عليه السلام، ويضيف بأن انتشار هذه العادة بسبب ما اعتقده أهل الأندلس وخاصة المسلمين، حيث من يحتفل بهذا اليوم يكون عامه الجديد مليء برغد العيش وسعة الرزق وبلوغ الأمل[3].

ويعلل العزفي كلامه بمشاركة المسلمين أعياد النصارى بسبب حسن الجوار، ومخالطتهم لهم في التجارة، وعلاقات المودة والتسامح التي سادت بين الطرفين[4]، ويضيف سببا آخر أكثر طرافة هو ضغط نساء الأندلس المسلمات على أزواجهن في التفخيم والاستعداد للاحتفال بتلك المناسبات،

---

[1]- خميس أبريل أو خميس العهد: كا من أهم أعياد النصارى في الأندلس، ومن أهم طقوسه القيام بملء إناء من الماء وقراءة تراتيل معينة عليه من العهد الجديد، ثم يقوم البطريرك المختص بغسل أرجل بعض الناس بهذا الماء، وذلك محاكاة لما فعله السيد المسيح عليه السلام مع تلاميذه كي يعلمهم التواضع ، وعدم التفريق بين النصارى على مذهب معين يسمونه خميس العدس، حيث يطبخون فيه طعام العدس بعد أشكال ويطلق عليه في الأندلس خميس إبريل، ينظر: سعيد سيد أحمد أبو زيد، الحياة الاجتماعية في الأندلس في عصر دولتي المرابطين والموحدين، 484 . 620هـ/1091 . 1223م، كلية الآداب، جامعة المنوفية، ط1، 1996، ص185.

[2]- ابن حيان، المقتبس في أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، بيروت، 1973، ص138.

[3]-العزفي، **الدر المنظم في مولد النبي المعظم**، تح: "فرناندو دي لانجرانخا"، مجلة الأندلس، 1969. ص21.

[4]-المصدر نفسه، ص21.

وتقديم الاستعدادات الخاصة بها، وفي النهاية رضوخ الرجال لمطالب النساء، حتى أصبحت هذه العادة العادات راسخة ومتجذرة في المجتمع الأندلسي لدى بعض المسلمين[1].

ولم يكن هذا السلام الاجتماعي والعيش المشترك يمر دائما بسلام ورضا من بعض فئات المجتمع، وبخاصة من بعض المؤرخين الذين أنكروا على المسلمين تلك السماحة في مشاركة النصارى مناسباتهم وأعيادهم، بل واعتبروها من البدع، وعلى رأس هؤلاء الرافضين المؤرخ والفقيه الأندلسي "أبو بكر الطرطوشي" في كتابه الحوادث والبدع حيث يقول: " ومن البدع اجتماع النساء بأرض الأندلس على ابتياع الحلوى ليلة سبع وعشرين من رمضان أي ليلة القدر، وكذلك على إقامة يناير رأس السنة الميلادية بابتياع الفواكه كالعجم، وإقامة العنصرة وخميس إبريل، بشراء المجبنات، والإسفنج وهي من الأطعمة المبتدعة، وخروج الرجال جميعا وأشتاتا مع النساء مختلطين للتفرج، وكذلك يفعلون في ايام العيد ويخرجون للمصلى، ويقيمون في الخيم للتفرج، لا للصلاة، ودخول الحمام للنساء مع الكتابيات أي أهل الكتاب من اليهود والنصارى، بغير مئزر، والمسلمين مع الكفار في الحمام[2].

ولم يقتصر هذا التعايش السلمي على عصر بعينه من عصور الأندلس، بل ظل الى آخر حكم المسلمين في الأندلس، حيث لم تتغير سياسة التسامح والعيش في سلام، من جانب المسلمين سواء في ذروة قوتهم فيعصر الإمارة والخلافة، أو في عصور الضعف اللاحقة والتي إنتهت بآخر عصر أندلسي وهو عصر مملكة غرناطة.

ونذلل على ذلك بهذا النص للمستشرقة الفرنسية المؤرخة راشيل آريية RACHIL ARIE، عن الاحتفالات الغرناطية لشعب غرناطة زمن المسلمين، فتقول: "إن الاحتفالات الغرناطية كانت زمن المسلمين تستغرق وقتا طويلا من الليل، فالساهرون في شوارع غرناطة كانوا

---

[1]- العزفي، المصدر السابق، ص28.

[2]- الطرطوشي، الحوادث والبدع، تح: محمد الطالبي، تونس،1959، ص141.140.

يتجمعون متجمهرين يتجولون في طرقاتها، يتراشون بالماء المعطر، ويتقاذفون بثمار البرتقال والليمون وباقات الأزهار، وكان غنائهم وضجيجهم يزعج النساك في مضاجعهم، ممن يسهر للخلوة والتعبد[1].

من خلال الآثار التاريخية يلاحظ أن احتفال المسلمين بأعياد المسيحيين بالأندلس ظهر منذ أيام أمراء بني أمية في منتصف القرن الثاني الهجري وأنه سابق لعصر ملوك الطوائف القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي بكثير ولعلّ من أسباب احتفال المسلمين بالنصارى ما يلي:

3-أ: الاختلاط والتمازج: لقد اختلط المسلمون بالنصارى في الأندلس وتعايشوا معهم في مجتمع واحد دون أي مانع يمنعهم "كما كان التمازج يحدث من خلال الحروب وماينتج عنها من سبي متبادل واختلاط مباشر ومن خلال التزاوج قد أسهم ذلك كله في انتشار هذه الظاهرة" [2]

3-ب: حب الأندلسيين للترف واللهو: لقد ساهم ميول المسلمين للترف واللهو وحب الاستمتاع بالحياة إلى إقبالهم على الاحتفال بأعياد النصارى،[3] وقد أدّى إلى الوصول لهذا الحدّ عدّة عوامل أهمها:

- جمال الطبيعة وخصوبتها.
- ازدهار الأنشطة الاقتصادية.
- الغنى وسعة الملك.

3-ج: المجاورة: أيضا التجاور يعتبر عاملا من العوامل التي أدت إلى تقليد المسلمين للنصارى في احتفالاتهم و أعيادهم كما ساعد أيضا على تقليد النصارى للمسلمين في أعيادهم ومنه قول الفقيه

1- Rachil Arie : L'Espagne Musulmane au Temps de Nasrides,(1232 - 1492), Paris,1973, vol 1, P401 .

2- صلاح الجرار، زمان الوصل، دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004، ص 115.

3- المرجع نفسه، ص 115.

العزفي: " و أرى أن ما جرى على أهل الأندلس هذا إلا جوار النصارى، ومخالطتهم لتجارهم ومكاشفتهم عند الكينونة إسارهم"[1].

3-د: التسامح: لقد عامل المسلمون النصارى بمعاملة حسنة ولم يعملوا على حرمان هؤلاء السكان من ممارسة عبادتهم وطقوسهم وطقوسهم وثقافتهم، بل إن طبيعة المسامحة لأهل الأندلس هي التي سمحت بتفشي ظاهرة التقليد في مشاركة الأعياد.[2]

4- الألعاب والفكاهة في المجتمع الأندلسي:

لعب الترف الحاصل في الأندلس خاصة الطبقات العليا دورا كبيرا في إحداث فراغ كبير كان لابد من شغله، فكانت ضروب اللهو والألعاب والفكاهة إحدى وسائل ملأ هذا الفراغ.

4-أ: الألعاب:

أ-1: الشطرنج: كلمة فارسية، أصلها "شش ربك" والتي تعني الألوان الست، وهي قطع الملك، الملكة، الفيل، الفرس، الرح والبيدق[3]، نقلت هذه اللعبة إلى الأندلس في القرن الثالث هجري التاسع ميلادي، بفضل زرياب وبعض الذين نزحوا من العراق إلى الأندلس،[4]وقد كانت هذه اللعبة مفضلة عند عامة الأندلسيين وأقبل عليها الصغير والكبير، وربما يكون ذلك إلى أنها لعبة تقوي الفكر وتجبر الخاطر وتعلم فنون القتال والكر و الفر فهي بذلك لعبة تقوي الرأي والعقل[5].

---

[1]- صلاح الجرار، المرجع السابق، ص 115.

[2]- المرجع نفسه، ص 115-116.

[3]-أحمد القلقشندي (المتوفى: 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص158، محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص154.

[4]- الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص22، بولعراس خميسي، المرجع السابق، 104.

[5]- القرافي، الذخيرة، تح: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994، ج13، ص214.

يذكر ابن بسام أن لعبتي الشطرنج والنرد انتشرت كثيرا في وسط الأندلسيين، فالوزير الكاتب عبد الله بن عبد البر كاتب بني عباد أهدى إليه شطرنج من أحد أصدقائه فمدح سحرها إعجابا بها.[1]

أدى الشغف الكبير بهذه اللعبة إلى الإدمان عليها، فأصبح الناس ستغرقون نهارهم كله وجزء من الليل أمامها، غير مبالين لا بطعام ولا بالتزاماتهم الدينية، فأصبحت شؤما عليهم، فجاء في المغنى الأندلسي " أقل للنحس أي تمشي؟ قال: لشطرنجي ان مورك"[2].

ومن الألعاب الأخرى، نجد لعبة القلياني، المتضمنة لعملية الرقص،[3] ولعبة الركل، يقولون: "الحبلى ما تلعب الركل"، ولعبة الغبار، التي كان تعتمد على النظر طويلا، فكانت اللعبة حكرا على الأعمى أو الأعمى، فجاء في المثل: " صاحب فرد عين ما يلعب غبار" ولعبة عجايبي، التي كانت عبارةلعبة متضمنة لفراغات كثيرة، يقول المثل: "حكاك عجايبي، فارغ في فارغ".[4]

أ-2: لعبة سباق الحمام: انتشرت كثيرا وخاصة الوسط الأرستقراطي، يسمونه فن المطرات، حيث كان لتلك الطيور رموزا متعارف عليها، ولعل مساجلات ابن زيدون مع المعتمد بن عباد من بين النصوص والنماذج الأدبية التي تبرز الطيور وأصنافها[5].

أ-3: لعبة الصولجان والكرة: التي يشترك فيها مجموعة من الفرسان، يمسك كل واحد منهم بعصا من فوق ظهور الجياد، ويضرب بالطرف المعقوف منها الكرة[6]، نلتمس الفكرة من الشاعر عبد الوهاب بن احمد بن عبد الرحمان بن سعيد بن حزم (ت420هـ)، من خلال وصفه للهلال في موضع متجه نحو كوكب الزهرة، قائلا:

---

[1]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج2، ص177، ينظر: بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص104.

[2]- الزجالي، المصدر السابق، ص22، ينظر: محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص155

[3]-مريامة لعناني، المرجع السابق، ص156.

[4]- الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص361، ينظر: مريامة لعناني، المرجع السابق، ص157.

[5]-بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص105.

[6]- محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، 155.

لما رأيت الهلال منطويا في غرة الفجر قارن الزهرة

شبهته والعيان يشهد لي بصولجان او فتى لضرب كرة[1].

أ-**4**: **الأزلام والنرد**: وهي الميسر نوع من أنواع القمار[2]، أما النرد فهي لعبة تعتمد على الحظ، وهي جسم مكعب يتكون من ستة سطوح مربعات متساوية الأضلاع والزوايا، يرسم على كل سطح نقاط سوداء من واحد إلى ستة[3].

أ-**5**: **القرق**: لعبة تلعب خيلها هي الحجارة لأنها تلعب بالحجارة، وقيل هي الأربعة عشر خط مربع في وسطه خط مربع في وسطه خط مربع ثم يخط كل زاوية من الخط الأول إلى الخط الثالث وبين كل زاويتين خط، فتصير أربعة وعشرين[4].

وكانت هناك ألعاب للأطفال منعوا منها، كلعبة اللطمة ولعبة المقرع، فعن لعبة اللطمة فمحتمل أن تكون متمثلة في تلاطم الأطفال، أي محاولة ضرب كل واحد للآخر على وجهه، مع الاحتراس من أن يلطم، أم عن لعبة المقرع، فمرتبطة بالمقرعة، وهي خشبة في رأسها سير يضرب به البغال والحمير[5].

---

[1]- الضبي، المصدر السابق، ص380.

[2]- أبو هلال الحسن العسكري، (ت395هـ/1005م)، التلخيص ومعرفة أسماء الأشياء، تح: عزة حسن، دار طلاس، دمشق، ط1، 1996، ص430، ينظر: محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص156

[3]- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت387هـ/997م)، مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1409هـ/1989م، ص231. ينظر: محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص156

[4]- الزمخشري، أبو القاسم محمود، الفائق في غريب الحديث والأثر، تح: محمد البجاوي وآخرون، دار المعرفة، لبنان، ط2، د.ت، ج3، ص183. ينظر: محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص156

[5]- ابن هشام اللخمي، (ت577هـ/1181م)، المدخل إلى تقويم اللسان، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ص244، ينظر: محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص156.

أ-6: الصيد بالبزاة والجوارح: ما يعرف بالبيزرة، لفظة مشتقة من كلمة بازيار أي حامل الباز الذي كان متوفرا عن بعض الأندلسيين فقط[1]، وكان الأمراء أكثر ولعا بهذه الهواية، حيث كانوا يدربون صقورهم وجوارحهم على الصيد في نواحي أشبونة وجبال شرق الأندلس وجرز البليار فنجد ابن طاهر حاكم مرسية يبعث إلى صاحبه ببلنسية عبد العزيز شواذ نقاة ليستخدمها في رحلات صيده في جبال بلنسية[2]، وقيل أنه كان يخرج في رحلات مع حاشيته للصيد بالصقور، وخاصة في سهل الوادي الكبير الذي تطل عليه قرطبة وأنه كان يحب صيد الغرانيق، ويحب ملاحقة الكركي بصفة خاصة لأنه كان أكثر الطرائد طلبا[3].

كان يستعمل في الصيد الجوارح على الإطلاق وهم: الشواهين، البزاة، الزرق، الصقور، الشذنقات، كما استعملت الكلاب المدربة على الصيد وأشهرها كلاب السلوق اليمنية التي تستطيع التمييز بين العنز والتيس في القطيع كله، وكانت تصيد مع الفهود الأرانب والثعالب والغزلان والظباء والبقر الوحشي[4].

4-ب:النزهات: حبا الله الأندلس طبيعة خلابة، فتنوعت المظاهر الجميلة بها من بساتين وحقول وجبال وغابات وأنهار وشواطئ بحرية، ما حفز الفرد الاندلسي على زيارتها وقصدها بحثا عن الترويح على النفس، وهذا ابن خفاجة يقول أبيات شعرية في حق تلك الطبيعة:

يا أهل أندلس لله دركـــــم ماء وظل وانهار وأشجـــــار

ما جنة الخلد إلا في دياركم ولو تخيرت هذا كنت أختار[5].

---

[1]- بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص 103.

[2]- ابن خاقان، قلائد العقيان، ص60، ينظر: بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص103.

[3]-يوسف حسين دويدار، المرجع السابق، ص313.

[4]- بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص103

[5]- ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تح: عبد الله سندة، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1427هـ/2007م، ص134.133.

وتنوعت بين النزهات اليومية والموسمية.

ب-1: النزهات اليومية: وتكون في المنتزهات الأندلسية كمنتزهات إشبيلية وطليطلة وقرطبة، ومن أمثلة أسماء تلك المنتزهات منتزه دمشق والعروس والمنبر ونجد وجوز مؤمل، وفحص السرادق بقرطبة[1].

مكنت كثرة هذه المنتزهات عناصر المجتمع الأندلسي بالتمتع بالمناظر، فكان الأفراد يخرجون جماعات عائلية أو جماعات صداقة، وكما أن مشاهدتهم لتلك المناظر مما يصقل خواطرهم[2].

ب-2: الأنهار: كذلك اعتبرت من أهم الاماكن التي يقصدها القرطبيون قصد الراحة والتسلية على النفس، أبرزها نهر قرطبة المسمى الوادي الكبير، الذي كان يعتبر من أحسن الأنهار، مكتنف بديباج المروج، مطرز بالأزهار، تصدح في جنباته الأطيار[3].

وإلى جانب الوادي الكبير، وجد وادي الطلح في إشبيلية، وهو نهر مليح في نهاية الحسن، يقع في شرف إشبيلية، يتميز بكثافة الأشجار وكثرة الأطيار[4].

يوقل ابن خفاجة:

سقاني وقد لاح الهلال عشية كما اعوج في درع الكمى ستان

ونمت أسرار الرياض جميلة لها الزهر ثغر والنسيم لسان[5].

ب-3: النزهة الموسمية: وهي نزهات متعلقة بالأعمال الموسمية المحددة والمكررة كل سنة، كموسم العصير، أي زمن العصير سالف الذكر، فيخرج الأندلسيون مصطحبين أبنائهم إلى حقول الكروم لجني

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص470، 471، 478.

[2]- المقري، المصدر السابق ج3، ص489، ينظر: مريامة لعناني، المرجع السابق، ص154

[3]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص153.محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص164

[4]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص691.

[5]- حمدان حجاجي، حياة وآثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1974، ص176. ينظر: بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص101,

العنب، وأثناء ذلك جرت عادتهم ان يحتفلوا بذلك بما يصطحبون معهم وسائل وآلات طرب مختلفة، وما -يتبع من رقص وغناء[1].

كذلك يعتبر الربيع أحلى مواسم التنزه وأجملها عند عامة الناس وعند الأندلسيين خاصة، فاخضرار الأرض وبهائها بالورود والأزهار يضفي عليها حلة تخرج أهل المدن إلى القرى والأرياف بنسائهم وأولادهم، ويحتفلون بذلك عدة أيام[2].

4-ج:الحمامات:

اعتبرت الحمامات من مراكز الترويح عن النفس بجعلها مجالس للأنس واللهو والغناء، كما أنها لم تكن حكرا على الرجال فقط بل وحتى النساء، وفي ذلك يؤكد أمريكو كاسترو على أن الحمامات كانت مباحة للجميع، فالنساء كن أنظف مما كن عليه أيام الاستحمامفي الأنهار والمنازل[3]، فحتى النساء كن يجدن في الذهاب إليه فرصة للفضفضة النفسية وتغيير الجو والتمتع بحرية نسبية[4].

تألف الحمام الأندلسي من مدخل يؤدي إلى ثلاث أو أربع غرف مقببة، متصلة ببعضها البعض عن طريق فتحات أو أبواب، كما كان ملحقات أخرى كالموقد والمرحاض، سميت الغرفة الأولى ببيت المسلخ، وهي خاصة بخلع الثياب، تليها غرفة باردة، ثم الوسطى والتي تعتبر من أهم غرف الحمام، حيث يتمركز بأعلاها فتحات لإدخال الضوء، وينتهي الحمام بالبيت الساخن ذو درج الحرارة المعتبرة، وعلى جوانبها أحواض تصب فيها صنابير المياه الساخنة والباردة[5].

---

[1] - ابن قزمان، المصدر السابق، ص498. ينظر: مريامة لعناني، المرجع السابق، ص154.

[2] - مريامة لعناني، المرجع السابق، ص155.

[3] - أمريكو كاسترو، حضارة الإسلام في إسبانيا، ترجمة: سليمان العطار، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، حلب، 1983، ص48، بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص107

[4] - السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، مصر، 1985، ص209.

[5] - المرجع نفسه، ص212.

4-د:الطرب والغناء:

ازدهرت فنون الغناء والموسيقى بشكل عام في الأندلس وانتشرت إنتشارا واسعا حتى أصبحت جزءا من كيان أهل الأندلس مختلف طبقاته، فانتشر اللهو والطرب في القصور والبيوت والحوانيت والأسواق والحقول والمتنزهات... لا يتورع عن ذلك الكبير ولا الصغير.

اعتمد الغناء على تلحين الشعر، فيعمد الملحن إلى القصائد الغزلية، فيختار منها ما يلائم الغناء، ثم يقوم بتدريب جواريه على ذلك الغناء، ومن ذلك الشعر المغنى:

يخط الشوق شخصك في ضميري   على بعد التزاور خط زور[1].

كان الغناء في الحقبة الأولى مزيجا من غناء النصارى والغناء المشرقي، ولم يكن مشرقيا خالصا، ويذهب عباس الجراري إلى أن المقصود بغناء النصارى هو مختلف الالوان الشعبية التي كانت منتشرة في إسبانيا أيام الفتح الإسلامي، وقد كان هذا اللون الإسباني من الغناء من عادات الصقالبة الذين ساهموا بنقله إلى الأندلس وحافظوا عليه، ومارسوه على مشهد من الناس، يقول الزجالي في ذلك واصفا غنائهم ورقصهم:

غنى الفتيـــــــان: عشرة يقفز وواحد يستمع[2].

تعدى الغناء حدودا كبيرة حتى بلغ التأثير على القرآن الكريم، فقد ظهر لون جديد من الغناء والرقص المصاحب لتلاوة القرآن، وذلك بعد نظم القرآن على طريقة الشعراء ثم تلحينه، فزجه إلى المغنين، وأهل الفسق واللهو، ومن ذلك ما جاء في تحفة القادم على لسان أبي القاسم محمد بن محمد بن نوح الغافقي إذ قال:

تالله قد أخبر عن أمثاله   وقال في آياته المحكمة

1- نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص73

2- المرجع نفسه، ص74

يحسب أن ماله أخلده   كلا لينبذن في الحطمة[1].

بعد أن تجزأت الدولة الأموية، وأصبحت بدل قرطبة عدة قرطبات، تهاتف ملوكها على الشعراء والموسيقيين والمغنيين الذين كان يوجد من بينهم النصارى والمستعربين، كما أن كثير من المغنيين والموسيقيين كانوا يذهبون الى نبرة وقشتالة وليون وأرغون، أي أن التأثير كان متبادلا[2].

معظم أسماء الآلات الموسيقية عند نصارى الإسبان مشتق من اسمه العربي، وهو الاسم العربي نفسه منطوقا في صورة اسبانية، فالعود كانوا ينطقونه Laud ، والقيثارGuitarra، والرباب Rabel، والبنديرPandera، والطبلAtambal...الخ[3].

ومما يدل أيضا على تفهم نصارى شمال إسبانيا لموسيقى الأندلس وغنائها ما حدث حينما سقطت مدينة بريشتر الإسلامية في يد النصارى عام 456هـ، واستولوا على الديار من متاع وخدم وعبيد وجواري، ان جلس أحدهم وطلب من احدى الجاريات العربيات أن تمسك عودها وتسمعه هو وضيفه اليهود المستعرب بعض ما عندها، فقامت وعزفت وغنت، ورغم عدم فهم اليهودي لأشعارها، فإنه استغرب ما قام به ذلك النصراني من حثه على الشرب، واظهاره الطرب لسماع تلك الأشعار وهذه الموسيقى[4].

[1]-ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: 658هـ)، تح: الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1406 هـ/ 1986 م ، ص 172، نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص76.

[2]-رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص434.

[3]- المرجع نفسه، ص435

[4]-أحمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص575، رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص435.

4-هـ:مصارعة الثيران:

مارس الأندلسيون رياضة مصارعة الثيران، وقد عرفها الإسبان قبل الفتح الإسلامي، فقد انتقلت إلى إسبانيا عن طريق الخبراء الرومان في القرن الثامن للميلاد[1].

فالواقع أن عصر ملوك الطوائف لم يشهد مثل هذه الرياضة العنيفة، حيث لم ترد نصوص تفيد بذلك، وأول إشارة وردت على ذلك كانت في عصر الموحدين، حيث ذكر أن الخليفة أبو يعقوب يوسف كان يروض الأبقار، وأن حياته انتهت بطعنة من قرن بقرة في صدره فقتل سنة630هـ/1232م[2].

كما أن بعض النصوص التي نقلها لنا لسان الدين بن الخطيب وابن زمرك ترجعها إلى عصر بني الأحمر[3].

كانت هناك ألوان أخرى من وسائل التسلية التي انفرد بها الريفيون، كمشاهدة طائفة كبيرة من الذين يمارسون ألعابهم السحرية والبهلوانية في الشوارع والطرقات والأسواق والمتنزهات كالذي يستطيع المشي على الحبل واضعا خشبة عظيمة على جبهته يركبها إنسان آخر، وآخر يوهم الناس بقطع رأس إنسان ثم يدعوه فيجيبه حيا ... إلى غير ذلك من الألعاب السحرية.[4]

لعب القصاصون دورا مهما في تسلية الجماهير من الناس، فهو راوي شعبي للسير التاريخية تتميز روايته بعدم الدقة والجهل والتلفيق والكذب في بعض الأحيان، إضافة إلى الزجال، الشاعر الشعبي الذي تميز بتنظيم أزجالا عامية تستشير الناس، وترضي طموحهم[5].

---

[1]- نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص79.

[2]- يوسف حسن دويدار، المرجع السابق، ص316.

[3]- نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص79.

[4]- حسن قربي، المرجع السابق، ص234.

[5]- المرجع نفسه ،ص235.

من الألعاب واسعة النطاق أيضا لعبة "خيال الظل" والتي قال ابن حزم: وأشبه ما رأيت بالدنيا خيال الظل، وهي تماثيل مركبة على مطحنة خشب تدار بسرعة فتغيب طائفة وتبدوا أخرى،

واللعب بالصور والدرامات، وهي عرائس في شكل إنسان وحيوان. هذا إضافة إلى ألعاب أخرى كانت تمارس بشيء من الخفاء هربا من السلطة خاصة المحتسب وأعوانه الذين يطاردونهم خاصة الحواة وأهل التخييل، متهمينهم بممارسة السحر والزنى، وترويع الناس والسخرية منهم وإشاعة الفوضى، يضاف إليهم الملهيون، المبهرجون، المهذرون، القرادون[1].

4-و:الفكاهة:

تعتبر روح المرح والفكاهة والرغبة في الضحك عنصرا مشتركا بين مختلف الفئات الإجتماعية، وهذا ما اشتهرت به البيئة الأندلسية من وفرة للفكاهيين، يقول المقري: "دعابة وحلاوة في محاورتهم، وأجوبة بديهية مسكتة، والظرف فيهم والأدب بالغريزة حتى في صبيانهم ويهودهم، فضلا عن علمائهم وأكابرهم"[2].

من النماذج التي جسدت ظاهرة الفكاهة في الوسط الأندلسي من ذلك:

اللحى الطويلة التي كانت مثار تندر واستهزاء بتهكم بها المتهكمون لغرابة منظرها حيث قال أبو علي إدريس بن اليمان العبدري يصف لحية طويلة:

لو أنها دون السماء سحابة   لم تخترقها دعوة المظلوم[3].

كما كانت الأنوف الطويلة محل تندر واستهزاء، لذلك نجد بيتين في حق أحدهم يدعى بالزهري ذو أنف طويل:

---

[1]- حسن قربي، المرجع السابق، ص235

[2]- أحمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص381، بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص108.

[3] ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص400. بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص109.

أنفك يا زهري في قبحه كأنه في صورة البوق

يقعد في البيت لحاجاته وأنفه يمضي إلى السوق[1].

ومن قصص الفكاهة تلك التي حدثت للمعتمد بن عباد مع شيخ كان من أهل إشبيلية واشتهر بكثرة التندير والتهكم، ومجرى أحداث هذه القصة أنه في أحد الأيام مر المعتمد مع وزيره ابن عمار على بيت هذا المنكت فقال المعتمد لوزيره: "تعالى نضرب على هذا الشيخ الساقط الباب حتى نضحك معه، فضرب عليه الباب، فقال: من هو؟ فقال له ابن عباد: إنسان يرغب أن توقد له هذه الفتيلة، فقال له: والله لو ضرب ابن عباد بابي في هذا الوقت ما فتحته فقال: فأنني ابن عباد، فقال مصفوع ألف صفعة، فضحك ابن عباد حتى سقط على الأرض وقال لوزيره: امض بنا قبل أن يتعدى القول الفعل"[2].

كذلك مست الفكاهة الواقع السياسي الرديء، ومثال ذلك الفكاهات التي شاعت عن هشام المعتد وهي إشاعة موته، فيذكر صاحب الذخيرة أنه عندما أعلن المعتضد بن عباد موت هشام، صارت الميتة الثالثة، فكم قتل؟ وكم مات؟ فتهكم بعضهم على ذلك في بيت شعري:

ذاك الذي مات مرارا ودفن فانتفض الترب ومزق الكفن[3].

لقد كان الزواج في الأندلس من أهم المظاهر الاجتماعية التي تواصل فيها المسلمون والنصارى ببعضهم البعض وكان نتاج ذلك ظهور ظاهرة الزواج المختلط وفئة المولدين، وأسفر عنه أيضا تمازج العادات والتقاليد في الزفاف الأندلسي، كما كانت الاحتفالات والأعياد الإسلامية والنصرانية مدعاة لمشاركة بعضهم البعض متجاوزين في ذلك كل أساليب التفرقة.

---

[1]- رياض قزيحة، الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1998، ص218.

[2]- ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص287، أحمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص ص 127،128، ينظر: بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص109.

[3]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص349.

الفصل الثالث: الأطعمة والألبسة في المجتمع الأندلسي

المبحث الأول: الأطعمة في المجتمع الأندلسي

المبحث الثاني: الألبسة في المجتمع الأندلسي

تعتبر الأطعمة والألبسة من أهم المظاهر في الحياة الاجتماعية الأندلسية خاصة وأن المجتمع الأندلسي امتاز بتنوع الأطعمة والألبسة وكان لزرياب دورا كبيرا في تطور الأطعمة واختلاف ألوانها ومذاقها وكذلك الألبسة وتنوعها حسب مادتها ومواسم لبسها، فقد بلغت ثقافة تنوع الأطعمة والألبسة ذروة الرقي في المجتمع الأندلسي بين المسلمين والنصارى وتقليد وتأثر بعضهم البعض.

المبحث الأول: الأطعمة في المجتمع الأندلسي:

يعد الغذاء من المتطلبات المهمة في الحياة من حيث صفته وألوانه وطرق تحضيره وطبخه وكيفية تقديمه وتناوله، لأنه من أهمّ الوجوه التي تعبر عن الحياة الاجتماعية الأندلسية، فالطبخ كفن يعبر عن ثقافة طهي المجتمع لأنه يثبت وجود الفرد كفرد فاعل منتج[1].

امتاز الفاتحون الأوائل بالبساطة في أطعمتهم، فكانوا يعتمدون على ما عرفوه في بلادهم، وبسبب امتزاجهم بسكان المنطقة أخذت أطعمتهم تتغير شيئا فشيئا، وتتعدد أنواعها[2]، وكان زواجهم بالإسبانيات أهمّ مظاهر امتزاجهم الذي فسح المجال للأطعمة الإسبانية لتشق طريقها إلى موائد الأندلسيين، واستجلاب أقلمة محاصيل زراعية، إضافة إلى المواد الأولية التي وفرها النشاط التجاري المتوسطي للأندلس[3]، كما كان تطور الزراعة دور في تسرب ألوان من الترف والبذخ خاصة أطعمة الأمراء والخلفاء وفي ذلك ذكر المنصور بن أبي عامر أنه كان له كل يوم اثنا عشر ألف رطل من اللحم عدا الصيد والطير والحيتان، وهذا لطعامه ومن في قصره بمدينة الزاهرة من الخدم والحشم والجواري[4]

---

[1]- بولعراس خميسي، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400- 479هـ/ 1009-1086م)، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حاج لخضر باتنة، الجزائر، 2007/2006، ص96.

[2]- يوسف حسين دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، 422.138هـ/ 1030.755م، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، القاهرة، 1994 ص288. نجاة هاشمي، المرجع السابق، ص51.

[3]-دايفد وينز، فنون الطبخ في الأندلس، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة الغربية، ط1، بيروت، 1998، ج2، ص1022. ينظر: نجاة هاشمي، المرجع السابق، ص 51.

[4]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص584. يوسف حسين دويدار، المرجع السابق، ص 289.

كان المطبخ الأندلسي مشهورا بمأكولاته المتنوعة، والتي كان لزرياب الدور الفعال في تنظيمها وفق نظام أدخله معه، فكانت أصناف الحساء تقدم أولا ثم الأطعمة المطبوخة باللحوم والطيور، فالمأكولات المبتلة بالخل والمري، فأطباق الحلوى، وكانت أنواع الثرائد والعجائن تقدم بين كل صنف من هذه الأصناف، كما كان لزرياب الفضل في سن أكلة بقلة الهيليون المعروفة بالإسفراج وأكل النفايا والفول المعروف بالفول السوداني[1]، والطاقاوي، ومن أمثلة أنواع الحلوى نجد: الكاتو المصنوع من الجوز واللوز والعسل، ومعقود الفواكه المعطرة المحشوة بالفستق[2].

1- المطبخ الأندلسي وأدواته:

أ-المطبخ الأندلسي: اشترط المحتسب في المطابخ العامة أن تكون مجصّصة مسطحة للتمكن من غسلها في كل الأوقات وعلى الطباخين مراعاة شروط النظافة العامة، كتنظيف أبدانهم وملابسهم، وتنظيف الأواني المستعملة في الطبخ وتنظيف اللحوم وسائر المأكولات قبل طبخها، وتغطيتها بمنديل نظيف[3].

ب-أدوات الطبخ:

ب-1: التنور: يصنع من الطين، يشبه جرة مقلوبة بدون قاعدة، مفتوح في جزئه العلوي، ويحمى بأي وقود في أسفله[4].

1- المقري، نفح الطيب، ج3، ص127، جهاد غالب مصطفى الزغلول، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1994، ص155.

2- ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، تر: ذوقان قرقون، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د س ط، ص56، بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص 97.

3- مجهول، كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص78-79. جهاد غالب مصطفى الزغلول، المرجع نفسه، ص156.

4- نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص52.

ب-2: الموقد أو مايسمى "كانون النار": ويكون إما ثابتا أو غير ثابت، فتصل الحرارة منه مباشرة إلى أسفل الإناء الذي تجمع فيه مكونات الطعام، وناره من الخشب[1].

وفي هاذين الوسيلتين يقول ابن رزين: أن الكانون إناء كبير مفتوح، يوضع فيه الفحم، حيث يختلف في التغطية عن التنور، إذ نجد أن آنية الطعام يفصلها عن النار في التنور غطاء، وأما في الكانون فتكون متصلة مباشرة بالنار من غير غطاء[2].

من جهة أخرى نجد ورود كلمة الفرن في كتب الطبيخ، فهو الفرن الذي لا يزال ببلاد المشرق العربي لفظا وشكلا، ويقابله لفظ المخبزة والطباخ في بلادنا، ومن الإشارات الكثيرة له يفهم أنه خارج المنزل،[3]حيث لجأ الأندلسيون إلى الأفران العامة ليس من أجل طبخ الخبز فقط، بل تعدى إلى طبخ وصفات أخرى نظرا لحرارته المناسبة، والحاجة إلى الأدوات اللازمة للطبخات الكبيرة أو في المناسبات الخاصة[4].

و إلى جانب كل هذه الأدوات هناك الرضف وهي الحجارة المحماة على النار[5]، تستعمل غالبا لإكمال إنضاج بعض أصناف الطعام[6].

[1]- دايفد وينز، المرجع السابق، ص1023.

[2]- ابن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تح: محمد بن شقرون، إشراف: إحسان عباس، 1984، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص71، مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 119.

[3]- مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص62-63-90. مريامة لعناني، المرجع السابق، 119.

[4]- دايفد وينز، المرجع السابق، ص1023.

[5]- نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص 52.

[6]- المرجع نفسه، ص 52.

ب-3: القدر: تنوعت أشكالها وأحجامها ومواد صناعتها، لكن النوع الذي كان أفضلها وأكثرها استعمالا قدر الفخار المزجج، ومنها غير المزجج، أما المصنوع من النحاس فلم يكن محبذ الاستعمال[1]، وكان يسمى القدر المصنوع من الفخار ب"البرمة"[2].

ب-4: المهراس: وهو كذلك كان تعددت مادة صنعه بين النحاس أو حجر الرخام الأبيض أو العود الصلب المصنوع من خشب البلوط أو الزيتون أو الدردار...وغيرها، حيث كان الأندلسيون يفضلون النوعان الأخيران[3].

5-المقلاة: تنوعت أشكالها بين صغيرة وكبيرة، تصنع أحيانا من الحنتم الذي يتطلب نارا قوية حتى تطهو الأطعمة، أو من الحديد والذي يتطلب نارا معتدلة[4]،ولأنها تعتمد على الزيت فإنها تختص ببعض الأطعمة دون غيرها، وهي الأطعمة التي تقلى ولا تغلى كالسمك مثلا[5].

6-الطاجن: وهو الملة ويكون من فخار أو حديد، وهو عبارة على قدر واسع[6]، مخصص لطهي أنواع من الخبز والثرائد[7].

7-الغربال: لنخل السميد والدرمك... وما يحتاج للغربلة، يصنع من مواد متنوعة كالحلفاء أو الشعر، حسب درجة النعومة المطلوبة[8].

---

[1]- المرجع نفسه، ص52.
[2]- مريامة لعناني، المرجع السابق، ص121.
[3]- نجاة هاشمي، المرجع السابق، ص 52.
[4]- المرجع نفسه، ص 52.
[5]- مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، المصدر السابق، ص 21-22-23-28-35-40-41.
[6]- ابن رزين التجيبي، المصدر السابق، ص37. ينظر: مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 121.
[7] - نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص52.
[8]- المرجع نفسه، ص52.

8-السكين: لتقطيع اللحم او أي طعام آخر[1].

9-المغارف: المستعملة لأخذ الطعام من القدر أو المقلاة[2].

10-الفرطون: وهو آنية على شكل كأس كبير واسع الفم وقعره ضيق[3].

11-آلة الأمخاخ: وهي آلة صنوعة من الزجاج، صنعت خصيصا لطهو المخ، والذي كان محبوبا عند الملوك والرؤساء، ولعدم إمكانية توفيره بكميات كافية منه صنعت هذه الآلة لإعداده، حيث يحشى فيها المخ ويسد رأسها بالعجين، ثم يطبخ في قدر به ماء وملح حتى ينضج ليفرغ بعدها ويقدم[4].

12-سفود الشواء: وهو عبارة على حديدة ذات شعب معقفة يشوى بها اللحم[5].

13-الكسكاس والمعجنة:يوضع فيها العجين ليتخمر قبل خبزه، ويفرش بأسطوانة خشبية تدعى الشوبق[6].

14-الأواني الأخرى: كالأطباق، الأقداح، الأكواب، الأسطال، الكؤوس المصنوعة كلها من الرخام اللين الأبيض[7]، ونالت آنية الذهب أوالفضة بقدر كبير، أما الآنية من النحاس فلم تلق استعمالا كبيرا

---

[1]- مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، المصدر السابق، ص 21-27-28-32-38-208. ينظر: مريامة لعناني، المرجع السابق، ص121

[2]- مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، المصدر السابق، ص 60-67-71-74-75، ينظر: مريامة مريامة لعناني، المرجع السابق، ص121.

[3]- مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، المصدر السابق، ص27، ينظر: نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص 53.

[4]- مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، المصدر نفسه، ص 36-37، ينظر: نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص 53.

[5]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، 1414هـ، ج3، ص218،

[6]- دايفد وينز، المرجع السابق، ص1028-1029. نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص54.

[7]- عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص 308، مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 121.

كبيرا خوفا من تغيرها وتأثيرها على الطعام[1]، وكذا الخوابي والجرات التي كانت تستعمل خصيصا لحفظ الزيت والخلو الدقيق وغيرها من الأطعمة[2]، وهناك الغطاء المثقوب الذي يوضع على آنية الطعام وهي لاتزال ساخنة[3].

2-بعض أصناف الطعام في الأندلس:

لا عجب أن يجد المتتبع لتاريخ الطعام الأندلسي وجود طبقية في ذلك، فقد كان للطبقة الأرستقراطية التي ارتبطت بالثراء طعامها الخاص بها،[4] فأسر الطبقة الميسورة كانت تعتمد على اللحوم بدرجة كبيرة، سواء الحمراء من أغنام وأبقار، أو البيضاء كلحوم الدجاج وطيور أخرى او لحوم الأرانب، إذ كان اللحم يدخل في كثير من وصفات الأطعمة، وخاصة في فصل الشتاء[5]، هذا مقارنة بالشرائح الاجتماعية الأخرى التي كانت معيشتهم تعتمد بدرجة كبيرة على الزيت والذرة العربية[6]،فهذه الأخيرة اعتبرت الغذاء الرئيسي لغالبية أهل الأندلس الممثلين في الضعفاء وسكان البوادي والفلاحين الصغار[7].

تنوعت أصناف الطعام وتنوع معها المذاق، لكن عموما يمكن إجمالها فيما يلي:

---

[1]- دايفد وينر، المرجع السابق، ص1024. نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص53.

[2]- عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص 308.

[3]- مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، ص 23-30.

[4]- صلاح خالص، إشبيلية في القرن الخامس هجري، دراسة أدبية تاريخية، دار الثقافة، د.ط، بيروت، لبنان، 1965، ص24. بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص96.

[5]Arie Rachel, Remarques sur L'alimentation des musulmans dEspagne au cours du du bas moyen âge, Cuadernos de Estudios MEDIEVALES y Ciencias y TecnicasHistoriograficas, Universidad de Grenada 2_3, (1974_75), P304.

[6]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 112، مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 151.

[7]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص38، مريامة لعناني، المرجع السابق، ص151.

2–أ: الخبز: والذي كانت تعتمده أسر الطبقة المحتاجة في الغالب في استهلاكه، وهو أنواع حسب مادة وطريقة الصنع، فكان المصنوع من الحنطة أفضلها، ويأتي في مقدمتها خبز الحواري أو الدرمك، ثم خبز السميد، ويليه خبز الخشكار الذي يخبز من دقيق الحنطة، الخشن الذي لم ينخل، وبعدها يأتي خبز الشعير ثم الذرة، فالأرز، فالحمص[1].

ومن الأصناف التي كانت تهيء بالمنزل نجد الزبزين، وهو نوع من البركوكش عند الأندلسيين، ويخلط بالسمن والقديد والبصل، بالإضافة إلى السخينة وهي نوع من الحساء، ربما كانت منتشرة أكثر في الأسر البربرية في الأندلس، وتعرف أيضا باسم أسماس[2].

2–ب: المكاس أو المرقاس: و هو من الأطعمة التي كانت تعد في المطابخ وتباع في الأسواق، حيث كان يصنع من لحم الضأن وهريسة الشحم التي تعد من دقيق القمح[3].

2–ج: الفدوش: من الأطعمة المذكورة في كتاب الطبيخ، وهو من الأطعمة المخصصة للنساء لزيادة وزنهن مثلا.[4]

عرف فقراء الأندلس باستهلاكهم الأعشاب الطبية خاصة مع حلول شهر فبراير، مثل سيقان الشمر "البسباس"، والقرصعة "المعروفة ب القرنينة في غرب الجزائر"، والفواكه البرية كالتوت البري[5].

انتقد أهل الأندلس تقديم الأكلات المتواضعة للضيوف كطعام البركوكش، فهم يقولون في أمثالهم:"آش دخل بركوكش في الضيافة"[6].

---

[1] – هاشمي نجاة، المرجع السابق، ص55.

[2] –الزجالي، المصدر السابق، القسم الثاني، ص71. بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص 98.

[3] –السقطي ابن عبد الله محمد المالقي، آداب الحسبة، المطبعة الدولية وعهد العلوم المغربية، د.ط، باريس، 1931، ص ص 35، 35، 36.

[4] – مجهول، كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص184. مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 127

[5] – صفي الدين محي الدين، المرجع السابق، ص 153.

[6] – الزجالي، المصدر السابق، ص25، نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص 59.

استعملت التوابل في الأندلس استعمالا مبالغا فيه، واعتبرت من الضروريات التي لا يمكن للطبق الاستغناء عنها، فكانت الكزبرة والكمون والقرفة والزعفران والقرنفل والزنجبيل... إلخ تضاف إلى ما يتناسب مع خصائص كل مكون[1]، لمساهمتها في تقديم الطعم والرائحة، كما استعملت لخاصية حفظ الطعام من التلف[2]. أما عن بعض المأكولات المنتشرة في البادية، فقد أشار القاضي عياض إلى أنها تمثلت في خبز الفطير، جبنة لبن، كما كانوا يستهلكون البصل أيام فترة الحصاد لمقاومة الحر[3].

كما كانت أطعمة الفلاحين المفضلة الثرائد بأنواعها مثل ثرائد اللحوم بالزيت وثرائد اللبن بالسمن أو الزبد، وثرائد الدجاج، كما تناولوا السمك مقليا وشويا، ويضيفون إليه الخل والثوم والبيض والجبن الرطب، كما كانوا يقددونه بالملح، وصنعوا من البيض أطعمة مختلفة منها: البيض المقلي، والمطبوخ في الفرن، والبيض بالعسل[4].

من الوصفات المشرقية التي ذكرتها المصادر نجد: الجعفرية، وهي دجاج بالتوابل يضاف إليه البيض، الرشيدية، البرمكية، والتي تصنع بالدجاج او أفراخ الحمام او اليمام أو العصافير أو لحم الخروف أو حوت، وبعد التقطيع في قدر وإضافة ملح وبصل وكزبرة يابسة، وغيرها من التوابل، ولما يقارب النضج يخرج ويقلى، ثم يوضع بين رغيفين ويدخل الفرن، وهو من الأطباق المناسبة للسفر[5]، كما ظهرت أنواع من الأطعمة المتأثرة بالطابع البربري كاللمتونية، والصنهاجي، نسبة إلى قبيلتي لمتونة وصنهاجة[6].

---

[1]- ابن عبدون وآخرون، المصدر السابق، ص97، نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص57.

[2]- نجاة الهاشمي، المرجع نفسه، ص57.

[3]- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت، د.ت، ص438، بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص99.

[4]- حسن قرني، المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية (138/ 422هـ- 756/ 1031م)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص221.

[5]- مجهول، كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص 41 . 45 . 48 . 49. ص54.

[6]- المصدر نفسه، ص24 . 187.

شاع استخدام البيض في الأطباق الأندلسية وبكميات كبيرة حيث بلغ عشرة حبات في الطبق الواحد، وغالبا كان يكسر ويضاف إلى الأطباق من أجل أن تحمر، وكان أحيانا يسلق ثم يقطع للتزيين، وأحيانا يدخل كمكون أساسي للوصفة، كالإسفريا الساذجة التي تعد بالبيض فقط دون اللحم[1]، أما عن الحبوب فقد كان يجري تخزينها بعدة طرق منها التخزين في المطامير بحيث لا يصل إليها الهواء، أو التخزين في الأهراء مع تعريضها للهواء الدائم حتى لا تفسد، ومنها تخزين الحبوب في سنابلها وإضافة بعض المواد الحافظة لها[2].

لم تكن غاية الطعام الوحيدة سد الرمق، بل استعمل أيضا كدواء، فإضافة لدخول بعض المواد كمكون غذائي أساسي في الطعام والدواء في نفس الوقت، أتخذ الطعام كطريقة للعلاد أو مكمل له، فالرازي يؤكد على ضرورة معرفة الطبيب لطعام وشراب مريضه لأن ذلك مما يقلل الخطأ في العلاج، كما ينصح الأطباء قائلا:" ينبغي أن تأمر له كل يوم أن يتخذ له من الغذاء ما تعلم أنه يكون مصلحا لما تناوله في أمسه من أغذية، دافعا لما ينتظر من مضرته، ومل في ذلك ما يشتهيه ميلانا مان فإن الطعام المشتهى أوفق للأصحاء والمرضى مما لا يشتهى"[3].

2-د:الحلويات:

تعددت وتنوعت أنواع الوصفات والكيفيات التي تعد بها، نذكر منها:

أذان القاضي، طبق عيون البقر، وهذه الأنواع من الحلوى كانت تقام عليها جلسات الأنس والطرب خاصة الفاخرة منها، حيث كانت منحصرة في الطبقة الأرستقراطية[4].

---

[1]- مجهول، المصدر السابق، ص23، نجاة هاشمي، المرجع السابق، ص57.

[2]- حسن قربي، المرجع السابق، ص223.

[3]- أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، أخلاق الطبيب، تح: عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة دار التراث، ط1، القاهرة، 1977، ص41، نجاة هاشمي، المرجع السابق، ص60.

[4]- أحمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص138.

ومن الحلويات أيضا: اللوزينج والفالوذج وهما من أصل فارسي، الزلابية، الخبيص: وهو حلوى تصنع من التمر والسمن، وسميت بذلك من الخبص أي الخلط لأنهما يقلبان ويخلطان، وهناك أيضا القاهرية: حيث أورد صاحب كتاب الطبيخ خمس أنواع منها المسماة بالصابونية والشمسية، تصنع أساسا من لوز مدقوق وسكر يشكل كالسوار، تغمس في دقيق درمك ونشاء محلول في ماء أو نشاء فقط، ثم تقلى في الزيت ويصب عليها العسل ويذر السكر المسحوق، زمنها ما يطبخ في الفرن[1].

الإسفنج:يصنع من السميد والبيض والخميرة والجوز والفستق والعسل[2]، بالإضافة إلى الكعك وشبيهة الخشكلان، تمر النشا، القبيطاء، سكرية، الضفائر "قيبة الشبه بما نسميه عندنا (قريوش)[3]،

كانت المجبنات من الحلويات التي اشتهرت بها الأندلس، واحتلت مكانة في النفوس الأندلسية، إذ كانت من الأكلات المفضلة عندهم،حتى أطلق عليها اسم بنت الجبن[4]، وهي نوع من القطائف يضاف إليها الجبن في عجينها، وتقلى بالزيت الطيب[5]، كانت تصنع في طليطلة، إشبيلية، قرطبة، وقد اشتهرت في شريش بإحسان صنعتها، ساعدها على ذلك طيب جبنها، حتى وردت في المثل العامي القائل:" من دخل شريش ولم يأكل المجبنات فهو محروم"[6].

1- مجهول، كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص94 . 211 . 212.

2- السقطي ابن عبد الله محمد المالقي، آداب الحسبة، المطبعة الدولية وعهد العلوم المغربية، د.ط، باريس، 1931، ص ص3635، بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص 99

3- مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، المصدر السابق، ص96،نجاة هاشمي، العادات والتقاليد في العهد الأموي، المرجع السابق، ص58.

4- رجب عبد الجواد، ألفاظ المأكل و المشرب في العربية الأندلسية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2001، ص38،41. مريامة لعناني، المرجع السابق، ص129.

5- المقري، المصدر السابق، ج1، ص184.

6- المقري، المصدر السابق، ج1، ص180.

حرص العامة على تناولها صباحا وهي ساخنة، لأنها إذا فقدت حرارتها فقدت ذوقها وذلك ما جاء في قولهم: "مجبنة الظهر خرج نارها وقل طلابها"[1].

وصف أبو القاسم السهيلي المجبنات فقال:

شغف الفؤاد نواعم أبكار   بردت فؤاد الصب وهي جوار

أذكى من المسك الفتيق لناشق   وألذ من صهباء حين تدار

صفت البواطن والظواهر مثلها   لكن حكت ألوانها الأزهار

وكأنها صافي اللجين قلوبها   وكأنما ألوانهن نضار [2]

كانت تصنع من الحلوى تماثيل مختلفة في الأعياد والمناسبات مثل "مدائن ينير" التي كانت تصنع في عيد النيروز[3].

2-هـ:المشروبات:

-الماء: فهو أساسي ولا غنى عنه، إلا أن الملاحظ هو أنه كان يبرد في بيوت الأغنياء صيفا بالثلج الذي يؤتى به من قمم الجبال، لكن المتتبع لهذه التقنية يجدها استخدمت في المشرق منذ الأمويين واستعملها الفاطميون في مصر، فهذه التقنية إنتقلت إلى الأندلس كغيرها من التقنيات الأخرى[4].

---

[1]- الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص343.

[2]- نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص71.

[3]- الزجالي، المصدر السابق، ق1، ص239.

[4]- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1996، ص139، خديجة قروعي، المرجع السابق، ص379.

حضي الأندلسيون بشرب الماء المعطر بزهور البرتقال والورد، وهناك مشروبات أخرى حضرت بعناية وبطرق مختلفة من التفاح والإجاص وثمرة الأترج وبالخشخاش وبزهور الرمان والسفرجل والليمون[1].

-الخمور والنبيذ:

الخمر ما اتخذ من عصير العنب خاصة، فقد كانت زراعة الكروم منتشرة في الأندلس قبل الفتح وبعده، وقد كان الأسبان يزرعها من غير المسلمين، لدرجة أن الخليفة المستنصر عزم على قطع أشجارها في جميع أنحاء الأندلس، حتى يقضي على صناعة الخمر، ولما شاور في ذلك قيل له: إنهم يعملونها من التين وغيره من الفاكهة فتوقف عن ذلك، وتشدد في إراقة الموجود من الخمور[2].

أما عن النبيذ فهو الشراب المتخذ من الزبيب والتمر وما شاكله[3].

فرق ابن عبد ربه بين الخمر والنبيذ فقال في ذلك: " النبيذ كل ما نبذ في الدباء والمزفت فاشتد حتى يسكر وما لم يشتد فليس يسمى نبيذا، كما أنه ما لم يغل من عصير العنب حتى يشتد فليس يسمى خمرا "[4].

كما شربوا مشروبات أخرى متنوعة مثل: الموستو، وهو عصير من أنواع مختلفة من الفواكه[5].

2-و: الخضر والفواكه:

---

[1]- خديجة قروعي، المرجع السابق، ص380.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص184 . 185، يوسف دويدار، المرجع السابق، ص291.

[3]- القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص161.

[4]-ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د س ط، ج8، ص66، خديجة قروعي، المرجع السابق، ص381.

[5]- خديجة قروعي، المرجع السابق، ص380.

ذكر عند المقري نقلا عن ابن سعيد وهو قوله "أما الثمار وأصناف الفواكه فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها، ويوجد في سواحلها قصب السكر والموز المعدومان في الأقاليم الباردة، لا يعدم منها إلا التمر"[1].

وجد إلى جانب التفاح والكمثري والزعرور والتين والموز في الأندلس الرمان السفري والتمر المجلوبان من المشرق، فأصبح الرمان السفري من الفواكه المفضلة عند المسلمين والإسبان، وعرف في اللغة الإسبانية باسمZafari[2].

قسمت الفواكه في الأندلس حسب ابن خلصون إلى قسمين:

فواكه خضراء تضم: "التين، العنب الحلو، العنب الحامض، العبقر، المشمش، الخوخ، القراسيا أو حب الملوك، التوت التفاح الحلو، التفاح الحامض، الكمثري، الزعرور، السفرجل، الأترج، النارنج، قصب السكر، البطيخ، الفقوس، الخيار" وفواكه يابسة هي "التين، الزبيب، اللوز، الجوز، البندق، القسطل، البلوط،التمر"[3].

كانت أفضل الفواكه تلك التي يتهادونها فيما بينهم، كحب الملوك الذي تختص به الطبقة السياسية الحاكمة، والتفاح والخوخ الذي يدعونه التفاح الفارسي[4].

يشير المقري إلى فن ترتيب الفاكهة على المائدة، حيث كان يبتدأ بوضع الجوز ثم اللوز ثم القسطل[5].

-الخضر:

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص200.

[2]- خديجة قروعي، المرجع السابق، ص253.

[3]-ابن خلصون، كتاب الأغذية، تح: سوزان جيغاندي، دمشق، 1996، ص ص 100، 101. خديجة قروعي، المرجع السابق، ص253

[4]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص191،162.

[5]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص206.

لم يستعمل عرب الجزيرة العربية الخضروات كثيرا في مطبوخاتهم وذلك نظرا لقلتها، فقد استفاد المطبخ الأندلسي من الخضروات التي توفرت على الأراضي الأندلسية، فتذكر المصادر أصنافا من المطبوخات التي تدخل الخضروات في تحضيرها، منها: القرعية باللحم، واللفتية باللحم، وكرنبية بيضاء باللحم، ورؤوس الخس بلحم الغنمي الفتي السمين، مسلوق الباذنجان المحشو، لون دجاجة بباذنجان...[1]

3-التأثير المتبادل بين المسلمين والنصارى في مجال الأطعمة:

أشار الطرطوشي إلى هذا التأثر فقال: "ومن البدع إجتماع الناس بأرض الأندلس على إقامة ينير بابتياع الفواكه كالعجم، إقامة العنصرة، وخميس أبريل بشراء المعجنات والاسفنج، وهي من الأطعمة المبتدعة..."[2].

لعبت الأعياد الدور المهم في إظهار التأثر في أصناف الطعام، فبدأت صنع الأطباق الإسبانية المرافقة لتلك الأعياد من الحلوى والمعجنات، وغيرها من الأصناف ذكرها عبد الملك المراكشي والعزفي وابن قزمان في مؤلفاتهم، فكما جاء في الذيل والتكملة: أن في تلك الأعياد تنقش وتصنع فيها أشكال من العجين مركبة على البيض المصبوغ بالحمرة أو الخضرة أو بغير ذلك من الألوان بحسب المتخير لها، ثم يفرم الجميع بالزعفران ويطبخ في الفرن ويجمع إليه أصناف الفواكه ويحتفل كل إنسان في انتحابها وتجويد صنعتها"[3].

وأصبحت لدى الأندلسيين عادة صنع الطعام عند نبات أسنان الأطفال، سمي هذا الطعام ب: ذنتيلةdentillare وهي كلمة إسبانية[4].

---

[1]- خديجة قروعي، المرجع نفسه، ص360.

[2]- الطرطوشي، الحوادث والبدع، تح: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، ط: 3، 1419 هـ/ 1998م، ص150.

[3] - الزجالي، المصدر السابق، ج1، ص239، نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص70.

[4]- نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص72.

انتقلت عادات كثيرة إلى المسلمين، من مجاورتهم واختلاطهم سواء بنصارى المستعربين أو بنصارى الشمال الإسباني[1]، و شاع الحرام كثيرا حتى وصل إلى عادة شرب الخمر والاستغراق فيه وأكل لحم الخنزير، فقد أصبح الشعراء يترددون على الكنائس والحانات، ويشربون الخمر حتى الثمالة. وفي ذلك قال شاعر من الشعراء ذاكرا الأسباب التي أدت إلى انهيار المدن الأندلسية:

وأكل للحرام ولا اضطرار   إليه فيسهل الأمر العسير.[2]

المبحث الثاني: الألبسة في المجتمع الأندلسي:

تعتبر الملابس والأزياء المختلفة وجه المرء ومستواه، فتعكس مستوى الفرد والثقافي والاقتصادي، ومن جهة أخرى تعكس المستوى التاريخي وتظهر لنا ملامح الحضارات السابقة المختلفة، وعلى هذا يستطيع الباحث من خلال هذه الحقائق تحديد ملامح كاملة لفرد ما أو طبيعة شعب أو العصر بكامله أو غير ذلك من المعطيات التي يمكن الحصول عليها، من ذلك تتبين أهمية اللباس في الدراسة الاجتماعية والإنسانية[3].

عرف الأندلسيون بعدة خصائص وصفات مميزة أهمها اهتمامهم البالغ بلباسهم ونظافة أجسامهم، فوصفهم ابن سعيد المغربي فقال: من أهمها حبهم الشديد للنظافة، وميلهم الواضح للتأنق في ملبسهم، وانفرادهم بتقاليد في الزي عن أهل الأمصار الأخرى." ويضيف قائلا: "وهم أشد خلق الله اعتناء بنظافة ملابسهم وفرشهم وغير ذلك، وفيهم من لا يكون عنده إلا قوت يومه فيصوم

---

[1]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص249.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص484، نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص72.

[3]- خالدي عبد الحميد، العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين، (50هـ6هـ /670م .1266م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007 .2008، ص68.

ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها."[1]بل أنهم كانوا يستهزئون ممن لا يهتم بهندامه[2].

اختلفت ملابس الأندلسيين بين طبقة وأخرى، فبالنسبة للطبقة العامة فقد لبس بعضهم الأنيق والجميل من الثياب، واكتفى الفقراء بلبس ما يستر عوراتهم ويقيهم الحر والبرد، فكانت أغلب ملابسهم مصنوعة من صوف والقطن[3].

شهد عهد الأمير عبد الرحمان بن الحكم المعروف بالأوسط إقبال أهل الأندلس على التأنق في الزي، فامتازت أزيائهم بالتنوع من حيث الخامات والألوان والأشكال، وبالفخامة والجمال خاصة أزياء الأعيان، فقد كانت تلك الأزياء الأندلسية مرتبطة بصناعة النسيج،[4]ما جعل كثيرا من المدن الأندلسية تقيم دور الطراز، فاختص كل منها بنوع من المنسوجات، فنجد أكثر من مدينة برعت في هذا المجال، نذكر منها : قرطبة، غرناطة، بسطة، تدمير، أشبيلية وألمرية، مرسية، حيث وجد بالمرية ثمانمائة نول لنسج طراز الحرير، ولحلل الحرير النفيسة والديباج الفاخر ألف نول[5]، كما كانت دودة الحرير تربى في أزيد من ثلاثة آلاف قرية في جيان،[6] مما جعلها ذات منتوج ضخم وكبير، ومنسوجات

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص223. حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص294

[2]- محمد بن الحارث، أخبار الفقهاء والمحدثين، تح: ماريا لويسا أبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العلم العربي، مدريد 1991، ص80، محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، ص134

[3]- شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524هـ_667هـ)/ (1126م_1268م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007_2008، ص196.

[4]- سحر عبد العزيز سالم، ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد إسبانيا، 1995، مج: 27، ص159-160، بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص91.

[5]- محمود مقيدش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، ص159.

[6]- الحميري، المصدر السابق،ص65.

بجانة كانت تحمل الى مصر ومكة واليمن وغيرها، مما يدل على قدرتها الإنتاجية الكبيرة والجودة العالية والوفرة.[1]

كما يعود هذا الاهتمام بالصناعة النسيجية الى توفر شجرة التوت بأعداد كبيرة في أغلب النواحي الأندلسية مثل حصن شنش وفنيانة، وفي مناطق أخرى مثل وادي آش، وبسطة، حيث غدت أوراق هذه الأشجار تشكل الغذاء الرئيسي لدودة القز المنتجة للخيوط التي يصنع منها الحرير، كما كان لتوفر القطن دور في ذلك مثل منطقة كورة رندة الأندلسية.[2]

أما الصوف فكانت توفرها الأغنام، التي عرف إنتاجها تطورا كبيرا بفضل الخبرات التي أدخلها البربر إلى الأندلس، وتتمثل في طريقة التربية الجماعية للغنم واتباع طرق واضحة في الاستنجاع، الذي يسمى بالعربية "المشت" ونقلت التسمية إلى اللغة الإسبانية فأخذت شكل "مستاس".[3]

كان الوبر الناعم للحيوان البرمائي الذي أطلق عليه الأندلسيين اسم "أبو قلمون" مادة أولية أخرى لصناعة النسيج، خاصة بما تميز به هذا الوبر من نعومة ولون الفضي، ولندرة هذا النوع وقلته الشديدة في الأسواق فقد كان سعر الثوب المصنوع منه غاليا جدا، فخص بالحكام، ومنع تصديره إلى مختلف الأمصار.[4]

---

[1] - ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت، 1992، ص109.

[2] - ابن سعيد، المصدر السابق، ج1 ص329، محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص135

[3] - موريس لومبارد، الإسلام في مجده الأول من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري (8_11هـ) ، تر: اسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990، ص123.

[4] - صفي الدين محي الدين، الحياة الاجتماعية في الأندلس في عهد الدولة الأموية، المرجع السابق، ص135.

استغل الأندلسيون أيضا فراء القنلية، وهي حيوان يعيش في الأندلس واستعمل هذا الفراء أهل الأندلس مسلمين ونصارى،[1] واستعملوا أيضا وبر السمور الذي وجد في البحر الأبيض المتوسط بناحية بروطانيا، وفي صناعة الفراء الرفيعة، واختصت مدينة سرقسطة في هذه الصناعة.[2]

هناك عوامل أخرى ساعدت على ازدهار صناعة النسيج والطراز منها:

الأهمية الكبيرة لهذه الصناعة، فالطراز من أبهة الملك والسلطان وشارة من شاراته، فأولي عناية كبيرة من طرف الأمراء والخلفاء، وكثر التردد على زيارة دور الطراز ومراقبة العمل بها، مثلما كان يفعل الحكم المستنصر، الذي أمر بتوسيع مقبرة أم سلمة الواقعة عند باب اليهود أحد أبواب قرطبة، الذي عاينها في إحدى زياراته[3].

وفرة المواد الأولية الخام وتنوعها من صوف وقطن وكتان وحرير وفراء، ففي وادي آشو ميورقة نجد القطن، واشبيلية قطنها يعم أكثر بلاد الأندلس، ويجتاز به المتجهزون من التجار إلى إفريقية وما هنالك، ونجد الكتان متوفر في شلير ولاردة، وسرقسطة بفراء السمور حيث يرجع الفضل لأهلها ذوي الحكمة في صنعة السمور والبراعة فيه بلطيف التدبير، حيث يقوم في طرزها بكمالها منفردة بالنسيج، وهي لا تداني تلك الصنعة ولا تحكى في أفق من الآفاق.[4]

وجود حشرة القرمز التي تعيش على أشجار البلوط المنتشرة بكثرة في الأندلس، ساهم في توفر الأصبغة، حيث تسحق ثم تنقع لاستخراج اللون الأحمر الأرجواني، كما استخدم الزعفران لوفرته

[1] المقري، المصدر السابق، ج1، ص198، خديجة قروعي، المرجع السابق، ص294

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص197.

[3]-ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرح، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2006، ص68، نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص65

[4]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص192.

بسبب انتشار زراعته، كذلك كانت النيلة من الأصبغة التي شاع استعمالها، فاحتاج الصباغ لمواد يثبت بها اللون فاستعملوا لذلك الشب ... وغيره من المعادن التي تزخر بها الأندلس.[1]

التمكن من التحكم في المهارات التقنية و وفرة اليد العاملة، كالغزل والخياطة اللذان كانا من أفضل المهن المطروقة بين الناس تمارسها النساء في البيوت.[2]

رقة العاطفة ورهافة الأحاسيس لدى الأندلسيين، والذي كان يظهر جليا في حبهم الشديد للغناء وشغفهم بسماعه، فالأندلسيون بطبعهم محبون للتأنق مولعون بالجمال، مقبلون بشغف على الأزياء الفاخرة.[3]

أ- ملابس الرجال:

كان الأندلسيون على جانب كبير نم الأناقة والترتيب في ملابسهم، فهناك الملابس الخاصة بالمناسبات الرسمية كالأعياد وغيرها، حيث لبسوا الطيلسان وغفائر الصوف و الغالب عليهم ترك العمائم.[4]

1-العمائم: جمع عمامة، تاج العرب كما توصف، وتسمى أيضا العصابة، وهي ما يلاث على الرأس تكويرا[5]، حيث تشير مصادر إلى أن أفراد طالعة طارق بن زياد الذين دخلوا الأندلس فاتحين كانوا

---

[1]- نجاة هاشمي، المرجع السابق، ص64.

[2]- أوليفيا ريمي كونستيل، التجارة والتجار في الأندلس، تر: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 2002، ص ص 233- 235.

[3]- سحر السيد عبد العزيز سالم، ملابس الرجال في الأندلس غفي العصر الإسلامي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1995، مج 27، ص111، حسين يوسف دويدار، المرجع السابق،ص292.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المراطين ومستهل الموجدين (عصر الطوائف الثاني)، 510هـ .546هـ/ 1116م .1151م، دار الغرب الإسلامية، بيروت، لبنان، ص 318 . 319.

[5]- ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص،تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1417هـ/ 1996م، ج1، ص392. نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص64

بالاستنتاج بأن وضع العلماء الأندلسيين للقلنسوة كان شيئا مألوفا لدى الناس، إذ لم تشر مصادر إلى أية معارضة أو استهجان سواء من طرف المصلين خاصة أو من طرف العامة[1].

كان الملاحظ أن انتزاع القلنسوة من لابسها يعد شكلا من أشكال الإهانة والتحقير، فعندما أدبرت دولة العامرية ودارت الدوائر على عبد الرحمان شنجول، تذلل للحاجب ابن ذرى طالبا الأمان، فأشار هذا الأخير إلى بعض أصحابه بانتزاع قلنسوة شنجول عن رأسه زيادة في إذلاله[2].

3–الطيلسان: وهو نوع آخر من اللباس الموضوع على الرأس، والطيلسان كلمة فارسية معربة أصلها تالشان، وهو ضرب من الأكسية مدور أخضر لا أسفل له، لحمته أو سداه من الصوف، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ، يطرح على الرأس والكتفين أو يلقى على الكتفين فقط، وهو خال من الصنعة كالتفصيل والخياطة[3]، ويسمى الطيلسان طاقا لأنه يدور على لابسه[4].

شاع استعمال الطيلسان في الأندلس، حيث اختص به في البداية الفقهاء والمؤدبون والقضاة والوعاظ[5]، لينتشر بعد ذلك بين الخاصة والعامة على حد سواء كما جاء في أحد المصادر:" لا تجد في خواص الأندلس، وعوامهم من يمشي دون طيلسان."[6]

---

[1]– محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص 139.

[2]– ابن عذارى، المغرب في أخبار المغرب، ج3، ص72. نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص66

[3]– رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2002، ص 306. نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص66.

[4]– القزويني أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، ج3، ص433. محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص 139.

[5]– DOZY , Dictionnaire Detaille Des noms des vetementsches les Arabes , Amestardam, Jean Muller , 1845, P279محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص 139.

[6]– المقري، المصدر السابق، ج1، ص223. مريامة لعناني، المرجع السابق، ص98.

تعددت أشكاله ومواد صنعه وصور ارتدائه، فكان كقطعة تشبه الخمار من قماش، يصنع من الخز أو الديباج، ومنه الأخضر الذي يعرف بالساج أو الطاق[1]، ومنه الأبيض والأزرق يطوى طيا ظريفا ويلقى على الكتفين أو إحداهما[2]، كما كان هناك الطيلسان المقور، ويكون هذا الأخير مقطوعا على شكل نصف دائرة أو مثلث، ومزينا برسومات شجرية متمثلة في الأزهار والأغصان[3]، يوضع على الرأس ويرسل طرفاه على الصدر، أما الطرف الثالث فيسدل على الظهر[4]،ومنها الحنك وهو بشكله المربع يوضع على الرأس كالقلنسوة، ثم يسدل فيغطي به الوجنتان، ثم يدار طرفاه تحت الحنك أو الذقن، ثم ينسدلان على الكتفين، وقد شاع ارتداء هذا النوع في صلوات الجمعة وفي الأعياد والمناسبات[5].

4-الغفارة: قال بعض المؤرخين أنها خرقة تغطي بها المرأة رأسها من الأعلى، لتقي بذلك خمارها من الدهن الذي تضعه على شعرها، وقيل أيضا أنها حلقة من حلقات الدرع قدر الرأس، يضعها الفارس تحت القلنسوة، [6]، ويرجحها حسين مؤنس أن تكون الغفارة نوع من أنواع الكوفيات[7]، إلا أن معجم معجم الدوزي يشرحها على أن الغفارة نوع من أنواع الطيلسان[8]،أما عن أهل الأندلس كانت تشير الكلمة إلى طاقية يلبسها الرجال تشبه القلنسوة، ويتدلى شيء منها على القفا، وتصل إلى أعلى الكتفين، وتنسدل على الجانبين حتى تغطيان الأذنين، ولهذا يرجح أن يلبس الأندلسيين الغفائر في

[1]- أبو الحسن علي بن الحسن ، المنجد في اللغة، تح: أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988، ص249. محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص 139.

[2]- العمري أبن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1423هـ/ 2002م، ج4، ص231. محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص 140.

[3]- دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج8، ص407.

[4]- سحر سالم، المرجع السابق، ص175.

[5]- المرجع نفسه، ص172

[6]- محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص 150.

[7]- مؤنس حسين، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص73.

[8]- الدوزي، المرجع السابق، ص113.

فصل الشتاء نظرا لشكلها والمادة المصنوعة منها [1]، وقد أشارت الأمثال إلى أن هذا الزي كان زي العلماء والفقهاء والقضاة في الأندلس، بميزات تختلف كثيرا عما كانت ترتديه الفئات الأخرى، في قولهم: "ثلاث من الناس ما يلباس غفار: صياد بصناره، وميار بحماره، وجنان بخطارة."[2]

كانت الغفائر الصفراء والحمراء المصنوعة من الصوف محل إقبال الأندلسيين، بينما تركت الصفراء خصيصا لليهود كتمييز لهم[3]، وقد أكد على ذلك ما ورد في أحد المجالس الشعرية، حيث كان يرتدي الشاعر ابن قزمان غفارة صفراء، فاستهزئت به الشاعرة نزهون بنت القليعي، حيث قرنته مباشرة باليهود ببقرة اسرائيل ولونها التي ذكرت في القرآن.[4-5]

يبدوا أن لبس الغفارة كان شائعا في الريف، فالخشني (ت321هـ/971م)، يذكر أن القاضي سعيد بن سليمان الغافقي والذي كان ينتمي لأرياف فحص البلوط أنه أتى الى قرطبة ليتولى قضاء الجماعة في عهد عبد الرحمان الثاني، وكان يرتدي غفارة بيضاء[6].

5-الأقروف أو الأخروف: جمعه أقاريف أو مقاريف، وهو من ألبسة الرأس، واختلف في شكله، فهناك من يرى بأنه مخروطي[7]، بينما آخرون يرونه بأنه أسطواني[8]، يصنع من الوشي، وقد عرف الأقروففي الأندلس خلال قرن ثالث هجري تاسع ميلادي، فترة القاضي سعيد بن سليمان الغافقي، وفي عهد الخليفة الأموي الحكم المستنصر كانت بعض فرق الجند تلبس هذا النوع من الألبسة في

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص213.

[2]- الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص170،مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 98.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص223، بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص 93.

[4]- ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص121. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج2، ص355، محي محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص140.

[5]- البقرة، الآية 69.

[6]- حسن قربي، المرجع السابق، ص228.

[7]-محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص141.

[8]- دوزي، تكملة المعاجم العربية، المرجع السابق، ص 162.

الاستعراضات العسكرية أو عند استقبال شخصيات سياسية هامة، ومن ذلك يمكن القول أن هذا اللباس الأندلسيين كانوا يخصصون هذا اللباس للمناسبات السعيدة أو عند استقبال الشخصيات الهامة.[1]

وأشارت مصادر أخرى إلى أنواع أخرى من ألبسة الرأس نذكر منها: الكنبوش والقنزع، والقناع والمقنعة، والقبجول المطوق ويبدو أنه كان ثوبا يغطي الرأس والوجه فيما عدا العينين[2]، أما عن القناع أو المقنعة فقد كانت من اللابس التي كان يضعها الأندلسيين رجالا ونساء ، وكانت عبارة عن قطعة قماش مصنوعة من الحرير، وكذا الطرحة، وهي غطاء للرأس كذلك، تكون رقيقة ومصنوعة من الكتان والحرير، ينسدل قليلا إلى الخلف، ويمكن التمييز بين الرجل والمرأة حيث تكون طرحة الرجل أطول من المرأة[3].

6-القميص: من الألبسة التي عرفتها الإنسانية منذ زمن بعيد، فقد جاء ذكره في كتاب الله عز وجل في سورة يوسف حيث ذكرت الكلمة ست مرات، كما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم لبسه القميص[4].

تعتبر الأقمصة من الملابس الداخلية التي لا يستغني عنها أي أندلسي، وهي من المقطعات التي تحاك ويصل القميص حتى الركبتين، والأكمام ضيقة عند المعصم، ولكنها تطول حتى أطراف أصابع

---

[1] -محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص 141.

[2] - حسن قربي، المرجع السابق، ص228.

[3] -محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص 141.

[4] - أبو الفرج، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، المعروف ب " السيرة الحلبية"، دار الكتب العملية، بيروت، ط2، 1427هـ/ 2006م، ج2، ص221.

اليدين، وتتراوح ألوان الأقمصة بين الأبيض والأسود[1]،يصنع من الكتان أو القطن أو الشاش الموصلي أو الحرير، تزركش الحواشي عادة وتطرز بالحرير[2].

كان الأندلسيون يلبسون القميص تحت الثياب، ملامسا للجلد ثم يلبسون باقي الثياب فوقه، والراجح أن القميص كان يلبس لستر الجزء العلوي من الجسم، كما نجد بعض النساء لاسيما الجواري يفضلن الأقمصة الرقيقة الملاصقة للبدن لإبراز مفاتن أجسامهن، فيذكر المقري أن جارية مشت بين يدي المعتمد بن عباد وعليها قميص لا يكاد الحاضرون يفرقون بينه وبين جسمها[3].

7-السراويل: مفردها سروال،كلمة فارسية معربة أصلها شلوار، وتحتفظ اللغة الإسبانية حتى اليوم بإسمه "Zaraguelles"[4]، وتعني ثوبا فضفاضا يغطي أسفل البدن حتى القدمين[5]، له تكة تربطه حول مدار السرة، وهي حزام من الحرير مطرز موشى[6].

شاع استخدامه بين أهل الأندلس، فابن عذارى قال في حديثه عن مصرع عبد الرحمان شنجول أن جثمانه كسي قميصا وسروالا وسمر على خشبة طويلة بباب السدة تنكيلا به[7].

يعتبر السروال من الملابس الداخلية التي شاع ارتدائها بين الرجال والنساء مع بعض الاختلافات لكي تناسب كل شخص وعمله فهؤلاء الأخيرات كن يلبسن سراويل مصنوعة من

---

[1]- حسن قربي، المرجع السابق، ص230

[2]- دوزي، معجم الملابس، ص 183، نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص67.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص124.

[4]- محمد أحمد أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية، مصر 1996م، ص237، بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص 95.

[5]- سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص174، نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص67.

[6]- دوزي، المرجع السابق، ص14، نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص67.

[7]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص73.

الدمقس أو السندس[1]، وكان الصيادون يرتدون سراويل خاصة تصل حتى الأقدام، وتكاد تلتصق بالسيقان، كما لو كانت جوارب[2].

اهتمت النساء الأندلسيات كثيرا بهذا اللباس، حيث كن يرتدنه عند الخروج من المنزل، وكان من الألبسة التي تطلبه المطلقة من زوجها[3].

8-الإزار: أو المئزر "Almaizar "، وهو من الملابس الداخلية المشتركة بين الرجال والنساء، الذي يستر العورة[4]، حيث انه لباس يغطي القسم الأدنى من البدن من الوسط حتى منتصف الساقين[5]،

ومن أنواعه الإزار المهدب، أي الذي تتدلى منه شراشف إما في الأسفل أو على الجانبين[6]، كان الأندلسيون يلجؤون إلى ارتدائه في حالة عدم قدرتهم على ارتداء السراويل، أو في الصيف عندما ترتفع درجة الحرارة[7].

9-الجبة: أو الدراعة، انتشرت بين العديد من طبقات المجتمع الأندلسي، وكانت تصنع من خامات مختلفة مثل الخز والديباج والصوف وغيرها[8]، وهي ثوب طويل فضفاض، يغطي الجسم كله من على الكتفين إلى القدمين، يكون واسع الكمين، بحيث يمكن إدخال كتاب في أحدهما[9]، مشقوقة المقدم، من النحر إلى أسفل الصدر، مزررة بأزرار وعرى، مفرطة في السعة، تصنع من الديباج وتزين بخيوط

---

[1]- محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص149.

[2]- حسن قربي، المرجع السابق، ص230.

[3]- ابن باق علي بن محمد، زهرة الروض في تلخيص تقدير الفرض، تح: رشيد الحور، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 2003، ص126، محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص149.

[4]-حسن قربي، المرجع السابق، ص 229.

[5]- سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص259، بولعراس خميسي، المرجع السابق، ص93.

[6]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص135، نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص 67.

[7]-المصدر نفسه، ج1، ص 36.

[8]-حسن قربي، المرجع السابق، ص 229.

[9]- الخشني محمد بن الحارث، أخبار الفقهاء والمحدثين، تح: ماريا لويسا أبيلا ولويس لينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد 1991، ص 366. محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص144

الذهب، ويرصع صدرها بأنواع اليواقيت والجواهر[1]، المصنوعة منها من الصوف أو القطن تعرف بالمدرعة، مما يدفع إلى الاعتقاد بأنها كانت تلبس في فصلي الخريف والشتاء، كما تلبس الجبة عادة فوق القميص، أما إذا لبست تحته فذلك نذير شؤم في اعتقادهم، لذلك كان من أمثالهم المتداولة قولهم:" النحس النحيس، الجبة تحت القميص"[2]

روي عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنه قال: "كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في سفر، فقال: أمعك ماء؟ قلت: نعم، فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل، ثم جاء، فأفرغت عليه الإداوة، فغسل وجهه ويديه، وعليه جبة من صوف، فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها، حتى أخرجهما من أسفل الجبة، فغسل ذراعيه، ثم مسح برأسه ثم أهويت لأنزع خفيه، فقال: دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين. فمسح عليهما. أخرجه البخاري ومسلم[3].

10-البرنس:Albornoz ، وهي ثياب متان في شكل غفائر، رأس البرنس ملتصق به، وهو قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام[4]، ينسج قطعة واحدة من الصوف أو القطن أو أو الحرير، يضيق حول العنق ويتسع في الأسفل، تتصل به قبعة مخروطية الشكل، وتحاط كل جوانبه بحواشي وهدبات مطرزة بالحرير، تتعدد ألوانه بين الأبيض والأحمر والأسود... وغيرها[5].

بما أن البرنس مفتوحة من الأمام، فإنها تلبس على الثياب في البرد والمطر مكان الرداء، ولا يجوز الصلاة فيها وحدها إلا أن يكون تحتها قميص أو إزار أو سروال، لأن العورة تبدو من أمامه[6].

[1] - دوزي، المرجع السابق، ص43 .44.
[2] - الزجالي، المصدر السابق، ص48، رقم189، محي الدين، المرجع السابق، ص 144.
[3] -نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص 68.
[4] - ابن منظور، المصدر السابق، ج6، ص26.
[5] -دوزي، المرجع السابق، ص49.
[6] - حسن قربي، المرجع السابق، ص229.

ذكرت المصادر أن هشام المؤيد كان يخرج لنزهاته متلحفا ببرنس، وهو في الأندلس لصيق بالبربر أكثر لأنه من ألبستهم المميزة، ويسمى برنس الصبيان "القنبعة"[1].

11-القباء: كلمة فارسية معربة، أصلها قباى، وتعني ثوب مفتوح من الأمام[2]،أكمامه ضيقة، يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه[3]، وقد وصف الدوزي هذا الثوب على أنه ثوب يضيق في الوسط ثم يبدأ بالإتساع، يمر مرتين فوق البطن، يشد في الأولى تحت الذراع اليسرى ثم اليمنى شدة فوقية، ويربط بعدها بحزام عرضه أربعة أصابع[4]،يحبذ لبسه في السفر أو الحرب لأنه يساعد على الحركة[5]، يكون إما من سندس أو خز أو ديباج أو سمور أو كتان، اذ كان له شق من خلفه فهو فروج، أما إذا كان مبطنا فهو القردمان[6].

ومن الثياب الصوفية أيضا التي عرفت في الأندلس الممطرة، والقنازع[7] التي كانت تلبس على الثياب الأخرى ليقيها من المطر[8].

كذلك الأفرية التي كانت تصنع من صوف الأغنام وأوبار حيوان القنلية الشبيه بالأرنب، وكانت تلبس في الشتاء، خاصة المبطن منها[9].

---

[1]-نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص69.

[2]- رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2002، ص378.

[3]- يحي الجبوري، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي ، د.ط، بيروت، 1989، ص262. نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص69.

[4]- دوزي، المرجع السابق، ص179. نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص68.

[5]- يحي الجبوري، المرجع نفسه، ص263.

[6]- نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص68.

[7]- ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص127. محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص 145

[8]-حسن قرني، المرجع السابق، ص229.

[9]- المرجع نفسه، ص229.

12-المطرف:مشتق من اللغة من أطرف، أي جعل في طرفه العلمان، فهو رداء من خز له أعلام[1]، أعلام[1]، من ألبسة المترفين، يشبه الجبة يلبس معها أو مع القباء أو البرنس، متعدد الألوان من أحمر، أخضر، أصفر، أدكن[2].

ب- ملابس النساء:

أما عن ملابس النساء فكان طابعها الأناقة والنفاسة والترف وخاصة نساء الطبقة الراقية، حيث كن يتفنن في لبس المصبغات والمذهبات والديباجات من الثياب[3]، كما أن ملابس النساء اتخذت أشكالا مختلفة في طريقة تفصيلها بحسب أجزاء الجسم، وأطلقت عليها بالتقريب الأسماء نفسها التي شاعت في المشرق سواء في ذلك ما يغطي الجزء الأعلى من البدن أو الأسفل منه، حيث نجد ابن زيدون مفتتنا بمحبوبته قائلا:

وفي الربرب الأنسى أحوى كناسه   نواحي طميري لا الكثيب ولا السقط

غريب فنون الحسن يرتاح درعه   متى ذاق درعا بالذي حازه المـــــــرط[4]

ب-1: **الملحفة**:أو اللحاف، وهي اللباس الذي فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه... والملحفة عند العرب الملاءة السمط، فإذا بطنت ببطانة أو حشيت فهي عند العوام ملحفة[5]، تصنع من نسيج نسيج قطني، تتحجب به النساء حين خروجهن من المنزل[6]، تكون إما معصفرة أو صفراء أو باللون

1- ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص220.

2- نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص 64.

3-يوسف حسين دويدار، المرجع السابق، ص298.

4- ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق علي عبد العظيم، مكتبة النهضة، مصر، د.ط، 1957، ص286.

5- ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص314، نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص67.

6- دوزي، تكملة المعاجم العربية، عربه، محمَّد سَليم النعَيمي وآخرون، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط1، 1979 ج9، ص217، محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص150

الأحمر أو موردة، وتلبس على القميص أو مع الإزار[1]، تلفه المرأة حول نفسها، بحيث لا يظهر من جسمها إلا عين واحدة كي تستطيع أن ترى موطئ قدمها[2].

كانت الملحفة من الثياب التي تعتز بها النسوة الأندلسيات، إذ كانت تقدم كهدايا للتعبير عن التقدير والاحترام، ومما يؤكد شهرة هذا اللباس، صورة منحوتة في صخرة في المدينة الإسبانية المسماة حاليا "خير دي لافرونتيرا" تظهر فيها امرأة متلحفة ومتنقبة بنفس طريقة تلحف إحدى النساء بأحد التماثيل[3].

ب-2: الخمار: وهو ما تغطي به المرأة رأسها لذلك سمي أيضا بالعمامة لأن الرجل يغطي بها رأسه،وفي الأندلس أطلق الخمار على شقاق الحرير فقط[4] ،ويعتبر الخمار من الألبسة التي أمر الله عز وجل نساء المؤمنين بها، إذ جاء في محكم تنزيله: "وقل للمومنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن."[5] مما يدل على أن هذا اللباس دخل الأندلس مع الفاتحين المسلمين، وظل مستعملا إلى غاية سقوط مملكة غرناطة واستسلامها سنة 897هـ /1492م[6].

وكان وضع الخمار على الرأس يأخذ أشكالا متنوعة منها القبة، بسبب الشكل الذي يأخذه الخمار على رأس المرأة[7].

أخذ الخمار عدة عدة أسماء وتداول كثيرا على ألسنة شعراء الأندلس، منها:

---

[1]- مريم قاسم طويل، مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح، ص76.

[2]- صفي الدين محي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص 150

[3]- المرجع نفسه، ص 150

[4]- رجب عبد الجواد، المرجع السابق..

[5]- سورة النور، الآية 31.

[6]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 1462هـ /2006م، ص213، محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص 157.

[7]- رجب عبد الجواد، المرجع السابق، ص373.

ـــ النصيف.

ـــ القناع: ما يعرف أيضا بالمقنعة أو ربما هو أوسع منها.

يقول ابن شهيد:

وناظرة تحت طي القناع   دعاها الى الله والخير داع

وما جاء على لسان أبي بكر الداني المعروف بابن اللبانة، إذ يقول:

حسنت أمامي في خمار مثل ما   حسن الكمي أمامه في مغفر[1]

ب-3: الطرحة: شكل من أشكال الخمار يوضع على الرأس وينسدل إلى الخلف، تصنع من الكتان أو القطن أو الشاش الموصلي الأبيض المطرز بالحرير الملون، وتزين بخيوط من ذهب، استعملها الرجل أيضا فكان يلبسها غالبا القضاة فوق العمامة، إلا أن طرحة المرأة تكون أطول من طرحة الرجال[2].

ب-4: النقاب: قطعة من القماش تضعه المرأة على وجهها لتمنع رؤية الآخرين لها، ويمكنها أن ترى هي أمامها من خلال فتحتاه.كان النقاب واسع الانتشار بين نساء الأندلس، فتذكر المصادر أن محمد بن عبد الرحمان بن عبيد الله بن الناصر الأموي الملقب بالمستكفي استغل ذلك حيث خرج هاربا من قرطبة لابسا لبس الغانيات متنقبا بين امرأتين لم يميز بينهما[3].

تغنى بالنقاب عدد كبير من الشعراء الأندسيين، فقال فيه الشاعر القاضي أحمد بن حمدين:

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص112.محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق ص147.

[2]- رجب عبد الجواد، المرجع السابق، ص300، نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص73.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص142.محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص148.

فقلت لها حلي النقاب تفضلا   فعما قليل ضوء صبحك يطلع[1]

ب-5: جبة المرأة: ذكرنا أن الجبة مشتركة بين الرجال والنساء، إلا أن لجبة المرأة ميزاتها فقد كانت فضفاضة من الحرير الرمادي أو الوردي، ذات عنق وأكمام ضيقة مضفورة ومطرزة بالذهب والحرير[2]، كانت مسبلة تنسدل لتلامس القدمين، حتى لا تظهر مفاتن لابستها، وكانت تزين جباب الموسرات منهن بخيوط الذهب، أما المقلات فكن يرتدن جبابا من الجوخ، أي من نسيج غليظ من الصوف[3].

ج- الأحذية:

1-أحذية الرجال:

1-أ: الخف: كلمة فارسية معربة، وهي مشتقة من لفظة "كفش" والتي تعني نوع من الأحذية الجلدية يلبس فوقه حذاء آخر[4]، لأنه ليس له نعل، يحيط بالقدم ويغطي الكعبين، لذا فهو اقرب للجورب، وإن كان هذا الأخير يصنع من القطن، ومن ضروب الخفاف هناك: المزد، الموق وهو خف غليظ يلبس فوق خف أدق منه، يزركش الخف عند نساء الطبقات الميسورة بالحرير والذهب ويرصع بالدر والجوهر[5].

---

[1] - عماد الدين الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس ج2، تح: آذرتاش آذرنوش و آخرون،الدار التونسية للنشر، 1971م، ج1، ص297، محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص148.

[2] - دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، مجلة اللسان العربي، مج9، ج2، ص20.

[3] - أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ، 2008م، ج1، ص417، محي الدين صفي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص149.

[4] - رجب عبد الجواد، المرجع السابق، ص152.

[5] - دوزي، معجم الملابس، ص137- 141.نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص 70.

1–ب: النعل: ما وقيت به القدم من الأرض[1]، وتعني الصندل، تصنع من جلود الإبل، تربط بشراكين يمر الأول منها على وسط القدم، والآخر بين السبابة والإبهام، ويسمى الشِسع[2].

وكان أول من احتدى النعال من العرب جذيمة الأبرش، وكان أول من لبس النعال الصرارة المرواني، إذ كان قصيرا فاتخذ النعال الغلاظ الحراث لتزيد في طوله ولكي تسمعه جواريه وحرمه عند دخوله منزله فتصلح شأنها من كانت على غير هيئة صالحة[3].

1–ج: المركوب: حذاء جلدي مدبب الأمام لا رباط فيه، يصنع غالبا من الجلد الأصفر.

1–د: الكندرة: مشتقة من اللفظة الفارسية "كندوره" التي تعني الجلد، عمم اللفظ وأصبح يعني النعل[4].

1–هـ: القبقاب: أطلقت التسمية على النعل المتخذ من خشب[5]، شراكه من جلد أو ماشابه، قال ابن هاني الأندلسي: كنت غصنا بين الرياض رطيبا   مائس العِطف من غناء الحمام

صرت أحكي عداك في الذل إذ   صرت برغمي أداس بالأقدام[6].

1– ابن منظور، المصدر السابق، ص4477.

2– دوزي، معجم الملابس، المرجع السابق، ص374– 376.

3– القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص488، خديجة قروعي، المرجع السابق، ص319.

4– رجب عبد الجواد إبراهيم، المرجع السابق، ص441، نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص 70.

5– ابن منظور، المصدر السابق، ص3508.

6– رجب عبد الجواد إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 373. 374.

أحذية النساء:

لم يختلف لباس القدمين عند النساء كثيرا عن مثيله عند الرجال، إذ تشير المصادر إلى أن النساء لبسن الخفاف الصرارة أثناء خروجهن من بيوتهن، وقد شدد الفقهاء في نهيهن عن ذلك، وكانت نساء الأسر الموسرة تتغالى في النعال التي كن يقتنينها[1].

ومما لا شك فيه أن المرأة الأندلسية استعملت أنواعا من النعال سواء في بيتها أو عند ذهابها إلى بعض الأماكن كالحمام، إضافة إلى ارتدائهن الى الجوارب خاصة في فصل الشتاء[2].

د- ملابس الأطفال:

كان للطفل ملابسه الخاصة به، حيث تذكر المصادر في شكل نوازل، بداية من كونه رضيعا، خصت له لفائف الكتان وحزام ونبيقات ومحشو وفرو وقميص وجويربات[3]،بالإضافة الى الخرقة التي توضع على عنقه، لتصون ثيابه من اللعاب، والتي يطلق عليها الأندلسيون إسم "البيطر"[4]، وعند كبر الصبي فإن لباس هذا الصبي يصبح قميص ومحشو وطويق وغفيرة وملحفة وقرق وجرموق وجويربات[5].

وجويربات[5].

هـ- الملابس العسكرية:

---

[1]- القاضي عياض بن موسى السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/ 1998م، ج1، ص377، صفي الدين محي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص151.

[2]- صفي الدين محي الدين، الحياة الاجتماعية في عهد الأمويين، المرجع السابق، ص151.

[3] ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن خلف التجيبي، نوازل ابن الحاج، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم ج55، ج1، ص90، مريامة لعناني، المرجع السابق، ص104.

[4]- الأهواني عبد العزيز، ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، المجلد 3، ج1، 1376هـ . 1957م، ص146، مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 104.

[5]- مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 104.

فيما يخص الملابس العسكرية، فإنها ناتجة عن التأثر الناجم بجيرانهم النصارى، فأخذوا عنهم أنواعا من الملابس والأسلحة تجلت فيما يلي:

هـ-1:البيضة:

أو الخوذة، وتسمى أيضا ب "الطاشتان"، تصنع من الحديد لحماية الرأس[1]، كما يشد بها الرفرف والذي هو زرد يطرحه الرجل على ظهره، وفيها يقول الشاعر علي بن أبي الحسين:

وأشباه بيضات الأداحي كأنما   على أرؤس الفتيان منها المشاعل

شموس إذا ما الدجن أرخى سدوله   وأقمار الليل حين تدجوا الغياطل[2].

هـ-2:المِغفر:

درع زرد ينسج على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة، يحمي الرأس والرقبة والأذنين، وفي بعض الأحيان الأنف أيضا، وتطور وأصبح يغطي الوجه كاملا إلا العينين بما يسمى الغفائر المسبلة[3].

هـ-3:الزرد:

وهو الدرع المصنوع من حلق الحديد المنسوجة مع بعضها البعض، في شكل قميص يرتديه المقاتل، يمتاز بالخفة والمرونة، فوصف الشاعر أبو القاسم الأسعد بن إبراهيم الجند المتدرعين به قائلا:

لبسوا من الزرد المضاعف نسجه   ماء طفت للبيض فيه حباب

صف كحاشية الرداء يؤمه   صف القنا فكأنه الهداب[1].

---

[1]- أحمد مختار العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، د س ط،ص 45 ، نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص71.

[2]-أبو عبد الله محمد بن الحسن الكتاني الطبيب (المتوفى: نحو 420هـ)، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح:إحسان عباس، دار الشروق،بيروت، لبنان،1981، ، ص197، نجاة الهاشمي، المرجع السابق، ص 71.

[3]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص45.

هـ-4:الجوشن:

وهو درع صدري من الزرد بدون ظهر، تضاف بين ثنايا حلقاته صفائح معدنية لتقويته. يقول علي بن أبي الحسن:

ومسرودة من نسج داود تحتها أسـود لها منها عليها غلائل

تخال بها موجا من الزغف سائلا له الأرض بحر والبحار سوائل

كان متون الرقش فوق متونها وقد حملتها من الجنوب الحمائل

جواشن أمثال الحلي كأنها إذا اختال فيها اللابسون خمائل[2].

ويعد دخول زرياب إلى الأندلس بداية لثورة كبيرة في ميدان الأزياء، وقد أصبحت طرق لباسه نمطا لكل سكان الأندلس، فلبسوا كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به، ففي فصل الصيف لبسوا الملابس البيضاء، وفي فصل الربيع المصبغات من جباب الخز والملحم والمحرر والدراريع التي لابطائن لها، وفي الفترة الممتدة من آخر الصيف وأول الخريف لبسوا الثياب المصمتة وما شاكلها من خفائف الثياب الملونة ذوات الحشو والبطائن الكثيفة، وعندما يقوى البرد ينتقلون إلى أثخن منها من الملونات ويضعون تحت صنوف الصوف[3].

و- التأثير المتبادل بين المسلمين والنصارى في مجال الألبسة:

---

[1]- ابن دحية أبو الخطاب عمر، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1374 هـ / 1955م، ص126.

[2]- أبو عبد الله محمد بن الحسن الكتاني الطبيب، المصدر السابق، ص197.

[3]- أحمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص128، و خديجة قروعي، المرجع السابق، ص295.

لعب حسن الجوار دورا كبيرا في دفع النصارى إلى مشاركة جيرانهم النصارى في العديد من العادات الإسلامية[1]، ورغم أن المسلمين دخلوا الأندلس بأزيائهم التقليدية المعروفة، لكن ما لبثوا أن تشبهوا بالنصارى في أزيائهم ، فيقول في ذلك ابن الخطيب: "تركوا العمائم وصاروا يلبسون الكمة الهندية، كما أن القلانس التي كان أمراء المسلمين وشيوخهم وقضاتهم يلبسونها كانت للنصارى حيث ظهرت في الغرب[2].

ويذكر المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، أن القرن الرابع هجري، العاشر الميلادي، شهد دخول أزياء حواضر المسلمين من قرطبة وإشبيلية وطليطلة وبرشلونة وسرقسطة، إلى دور أمراء المسيحيين في الشمال الإسباني، وكانت سفارات ملوك النصارى، إلى بلاط قرطبة أيام الخليفة عبد الرحمان الناصر (300-350هـ) _(912-961م)، وخليفته الحكم المستنصر(350-366هـ)-(961- 976م)، وأيضا المنصور بن أبي عامر (328-392م)-(940-1002م)، وتعود محملة بأفخر الهدايا والأزياء والتحف وغيرها[3].

كان هناك غلبة لتأثير الحضارة المشرقية، مما أنتج ازدواجية في الأزياء الأندلسية، خاصة عندما كان معظم سكان الأندلس من الأجناد، فتجلى ذلك على الزي العسكري، وفي ذلك يقول ابن الخطيب: "وجنودهم صنفان، أندلسي وبربري، والأندلسي منها يقودهم رئيس من القرابة أو حصي من شيوخ الممالك وزيهم في القديم يشبه زي أقنالهم، وأضدادهم، ومن جيرانهم الفرنج، وإسباغ الدروع، وتعليق الترسة، وحفا البياضات، واتخاذ عراض الأسنة، وبشاعة قرابيس السروج، واستركاب حملة الرايات..."[4].

---

[1]- راوية عبد الحميد شافع، المسلمون والنصارى نموذجا للتعايش السلمي في الأندلس، مجلة العمارة والفنون، جامعة حلوان، العدد: 09، ص 359.

[2]- راوية عبد الشفيع، المرجع السابق، ص 359.

[3]- المرجع نفسه، ص 359.

[4]- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص37، وخديجة قروعي، المرجع السابق، ص 291.

وفي ذلك يقول المقري أيضا :" وكثيرا ما يتزيا سلاطينهم وأجنادهم بزي النصارى المجاورين لهم، فسلاحهم كسلاحهم، وأقبيتهم من الأشكلاط وغيره كأقبيتهم كذلك أعلامهم، وسروجهم، ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للطعن. ولا يعرفون الدبابيس، ولا قسي العرب، بل يعدون قسي الإفرنج للمحاصرات في البلاد[1].

تعدى التأثر باللباس حدودا كبيرة، فالمسيحيون قلدوا المسلمين في لباسهم واقتبسوا منهم طريقتهم في اللباس والنظافة وطريقة خياطة الملابس وألوانها، حتى بات من الصعب التمييز بين النصارى والمسلمين في قرطبة[2].

وكان هنري الرابع ملك قشتالة يلبس الثياب العربية، مما يدل على أن التأثر وصل أرجاء قشتالة، وما يزيد تأكيد المعلومة تلك الكلمات الدالة على الألبسة والأقمشة ذات الأصول العربية التي مازالت باقية في اللغة الإسبانية[3].

ونجد ألبارو يعبر على ذلك بقوله: "نحن نلبس مثلهم، وخاصة الحرير، ونتعطر ونظهر ثرائنا، من خلال مجوهراتنا وملابسنا..."[4] داخل الكنائس فقد حافظ رجال الدين النصارى على أزيائهم التي كانوا يرتدونها قبل الفتح، الدالة على درجاتهم، خصة أثناء الصلوات والاحتفالات الدينية، فمن خلال وصف لمراسيم دينية داخل الكنيسة يذكر أبو عامر بن شهيد أن القس قد برز في عبدة المسيح

---

[1]- أحمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص 223.

[2]-محي الدين صفي الدين، المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس (138-483هـ/ 755-1090م)، المرجع السابق، ص49.

[3]- المرجع نفسه، ص50.

[4]- المرجع نفسه، ص50.

متوشحا الزنابير أبدع توشيح[1]، إلا أن رجال الدين هؤلاء غيروا أزيائهم الدينية شيئا فشيئا من تلقاء أنفسهم[2].

تمتع النصارى في عهد ملوك الطوائف بالكثير من التسامح، فعملت السلطات الإسلامية في الأندلس على اختلاف فترات الحكم على عدم إلزام أهل الذمة ارتداء ملابس مميزة لهم، ولم تتخذ أي إجراء لذلك، وذلك اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي لم يثبت عنه إلزام أهل الذمة بارتداء الغيار، ويدعي بعض المؤرخين أن خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد فرض من خلال ما يسمى بالعهدة العمرية[3] على أهل الذمة ارتداء لباس مميز لهم، إلا أن نص هذه العهدة حسب ما يبدوا من وضع فقهاء العصور المتأخرة، ولا علاقة له بالخليفة. الذي لم يكن ليخالف سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي كان يعامل اليهود النصارى معاملة حسنة، ولم يلزمهم بلباس معين، ولم يفرض عليهم إلا ما هو في حدود الشريعة الإسلامية[4].

من جهة أخرى فقد استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران في مسجده بالمدينة المنورة، ولما حان وقت صلاتهم، سمح لهم بالصلاة داخل المسجد، ولم يلزمهم بأي شيء[5].

يورد المقري في معرض حديثه عن فراء القنلية حيث يقول: "والقنلية حيوان أدق من الأرنب، وأطيب في الطعم وأحسن وبرا، وكثيرا ما تلبس فرائها، ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى[1].

---

[1]– ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ط1، 1403هـ/ 1983م، بيروت، ص 194-195، محي الدين صفي الدين، المستعربون ودورهم في التاريخ الأندلسي، المرجع السابق، ص50.

[2]– محي الدين صفي الدين، المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص50

[3]– حي الدين صفي الدين، المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص50.

[4]– المرجع نفسه، ص51

[5]– ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة،تح: يوسف بن أحمد البكري و شاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر، الدمام، ط:1، 1418/ 1997، ج1، ص397، ومحي الدين صفي الدين، المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلسي، المرجع السابق، ص51

كما لم يتقبل بعض الفقهاء في الأندلس عدم التمييز في اللباس بين المسلمين وأهل الذمة، فقد تصدى ابن عبدون لذلك بقوله: "يجب أن لا يترك أحد من المتقبلين ولا من الشرط ولا من اليهود ولا من النصارى بزي كبار الناس ولا بزي فقيه ولا بزي رجل خير، بل يجب أن يمقتوا ويهجروا ولا يسلم عليهم لأنهم استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، يجب أن تكون لهم علاقة يعرفون بها على سبيل الخزي لهم[2].

وضع الفقهاء ضوابط لباس أهل الذمة وزيهم بأن " لا يترك أحد منهم يتشبه بالمسلمين في لباسه ولا في هيئته، ويؤخذوا بأن يجعلوا في أوساطهم الزنارات مثل الخيط الغليظ يعقد في وسطه كل واحد منهم، وبأن تكون قلانسهم مضربة، وأن يتخذوا على سروجهم في موضع القرابيس مثل الرمانة من خشب، وبأن يجعلوا شراط نعلهم مثنية ولا يحذوا على حذو المسلمين، وتمنع نساؤهم من ركوب الرحائل ... هكذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر عماله بأن يأخذوا أهل الذمة بهذا الزي، وقال حتى يعرف زيهم من زي المسلمين[3].

إلا أن ما أشار إليه كاجيكاس إلى أن الإجراءات التي تفرض على أهل الذمة التقيد بلباس معين لم تجد طريقها للتطبيق في الأندلس، وبأن أهل الذمة لا يميزون عن عامة المسلمين[4]، ويعترف سيمونت بأنه من الصعب التمييز في اللباس بي المسلمين والنصارى في قرطبة[5].

ومن خلال كلام عمر بن عثمان الجرسيفي، بأنه لم يكن بالأندلس تمييز في اللباس بين المسلمين وأهل الذمة، بدليل أنه دعا إلى منع أهل الذمة من اللبس كما يلبس المسلمون فيقول:

---

[1]– المقري، المصدر السابق، ج1،ص198، محمد الأمين ولد أنّ، المرجع السابق، ص108.

[2]– ابن عبدون وآخرون، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، نشرها ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955 ، ص51.

[3]– القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، المكتبة الأزهرية للتراث، تح: طه عبد الرءوف سعد، سعد حسن محمد، د ت، ص140.

[4]– محمد الأمين ولد أنّ، المرجع السابق، ص 109.

[5]– المرجع نفسه، ص 109.

"ويمنع أهل الذمة من الإشراف على المسلمين في منازلهم والتكشيف عليهم ومن إظهار الخمر والخنزير في أسواقهم، ومن ركوب الخيل بالسروج والزي بما هو زي المسلمين أو بما هو أبهة، وينصب عليهم علما يمتازون به من المسلمين كالشكلة في حق الرجال والجلجل في حق النساء[1].

ومن خلال المصادر، أن النصارى في الأندلس كانوا يمشون في الشوارع غير متعممين، حاسري الرؤوس، وهذه العادة أخذها عنهم الأندلسيون، وبخاصة القرطبيون[2].

إن عدم التمييز في اللباس بين المسلين والنصارى يفسر بالمستوى الرفيع الذي بلغته الحضارة الأندلسية، حيث اتسمت بالتعايش والتسامح بين مكونات المجتمع على الرغم من اختلافاهم الديني والثقافي[3].

لقد كانت الأطعمة والألبسة من أهم المظاهر الاجتماعية التي تشارك فيها المسلمون والنصارى في المجتمع الأندلسي وتأثروا ببعضهم البعض خاصة وأن الأندلس اشتهرت بتنوع الأطعمة والأطباق وكذا الألبسة في المواسم وغيرها.

---

[1]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص122، محمد الأمين ولد أنّ، المرجع السابق، ص 109.

[2]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص222- 223، محي الدين صفي الدين، المستعربون ودورهم في التاريخ الأندلسي، ص52.

[3]-محمد الأمين ولد أنّ، المرجع السابق، ص 109.

الفصل الرابع: ميادين التواصل بين المسلمين والنصارى وأثره على المجتمع الأندلسي

المبحث الأول: الميدان الاقتصادي والثقافي

المبحث الثاني: الميدان العسكري والسياسي

يعتبر التواصل بين المسلمين والنصارى في الأندلس في كثير من الميادين ومجالات الحياة الاقتصادية منها كالتجارة والزراعة والصناعة وغيرها من الوظائف والثقافية كمسائل الحوار الديني والتنصير واللغة المتداولة بين المسلمين والنصارى وغيرها من العلوم والفنون، والسياسية من خلال المهام الدبلوماسية كالسفارات واللجوء السياسي والرسائل السياسية بين المسلمين والنصارى في الأندلس وحتى العسكرية التي ساهمت في التواصل بين العنصرين من خلال الأسرى الناتج عن الحرب أو الجنود المرتزقة، ومن خلال تواصل بعضهما البعض سيظهر أثر هذا التواصل على المجتمع الأندلسي.

المبحث الأول: الميدان الاقتصادي والثقافي:

أولا: الميدان الاقتصادي:

1- التجارة:

التجارة هي إحدى المقومات الاقتصادية المهمة التي كانت تزخر بها بلاد الأندلس وتضاهي بها البلدان الأوروبية الأخرى والإفريقية وغيرها، ولا شك أن الأندلس كانت قبلة للتجار الأجانب والوافدين عليها من كل حدب وصوب، فأصبحت ميدانا للتلاقي وملتقى للتعارف بين الأجناس المختلطة، ومن أساسيات التجارة الطرق التجارية والفنادق والأسواق وغيرها التي هي بدورها سوف تجمع بين المسلمين والنصارى بالأندلس.

أ- الطرق التجارية:

تعتبر الطرق التجارية الوسيلة المهمة في عملية تنقل التجار وتجارتهم من مكان لآخر وبطبيعة الحال سيلتقي التجار ببعضهم البعض سواء أكانوا مسلمين أم نصارى ويقع الاحتكاك بينهم، ولقد تعدّدت في الأندلس الطرق والمسالك البرية التي كانت تربط بين المدن والقرى وذلك لتسهيل عملية التواصل التجاري بين مختلف مناطق الأندلس، كانت أغلب الطرق الرئيسية بالأندلس تتبع تقريبا التقسيم الروماني القديم وعن هذا يذكر صاحب نفح الطيب " ومنها الرصيف المشهور بالأندلس

فقال في بعض أخبار رومية أنه لما ولي يوليوس قيصر ابتدأ بتذريع الأرض وتكسيرها إلى أن أقبل على الأندلس وركز قصبته شرقي قرطبة ثم ابتدأها من باب قبلي قرطبة إلى شقندة إلى إستجة إلى قرمونة إلى البحر وأقام على كل ميل سارية نقش فيها اسمه"[1]

طريق المحجة العظمى الذي كان يربط بين بلنسية وقرطبة.

طريق يربط بين قرطاجنة وطليطلة.

طريق يربط بين قرطبة وتدمير.

طريق يربط بين مدينة لورقة وموربيطر.

طريق يربط بين مدينة لورقة وملينة.

طريق يربط بين ملينة وحصن شنت بيطر.

طريق يربط بين شنت بيطر وشنتجيالة.

طريق يربط بين لورقة وحصن قتورية.

طريق يربط بين لورقة وطليطلة.[2]

أما في نزهة المشتاق فيورد الإدريسي الطرق التي كانت تربط مدينة قرطبة ببعض المدن الأندلسية وهي كالتالي:

طريق يربط بين مدينة قرطبة وألمرية.

طريق يربط بين مدينة قرطبة وإشبيلية.

---

[1] –أحمدالمقري، المصدر السابق، ج1، ص203.

[2] – أحمد بن عمر بن أنس العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، د ط، د س ط، ص 3، 10.

طريق يربط بين مدينة قرطبة وحصن أبال.

طريق يربط بين مدينة قرطبة وغرناطة.

طريق يربط بين مدينة قرطبة وجيان.

طريق يربط بين قرطبة وطليطلة.

طريق يربط بين قرطبة وبطليوس.[1]

ب- الفنادق:

يعتبر الفندق المكان المهم في التقاء الناس واحتكاكهم ببعضهم البعض، فيشغل الفندق مكانة هامة في الأندلس بحيث كان مأوى النزلاء التجار فيأكلون فيه ويبيتون ويخزنون سلعهم فيه لتباع بالجملة وكانت هذه الفنادق لها أسماء تسمى بها بحسب نوع السلع التي بها كما كانت تسمى أحيانا بحسب النازلين فيها من التجار الجانب كفندق جنوة نسبة للتجار الجنويين النازلين به والظاهر أن هذا كان في زمن ملوك الطوائف، كما كانت فنادق أخرى كفندق المغاربة وفندق الشامية، [2]ويشير العذري إلى فنادق كان قد حبسها زهير العامري على جامع ألمرية من جهاته الثلاث، القبلة والشرق والجوف (الشمال)[3]، أما المقري فقد أورد بكتابه نفح الطيب أن ألمرية امتازت على غيرها من مدن الأندلس بعضمة متاجرها وأنه كان كان بها من الفنادق الكثير[4]، كما كانت قرطبة ومالقة وجزيرة طريف الكثير من الفنادق المتراصة، لذلك تمركزت أغلب الفنادق حوالي المسجد في وسط المدينة وكان الفندق يتألف من صحن مستطيل أو مربع يتوسطه حوض لسقيا الدواب، وتدور بالصحن ممرات تتوزع وراءها مخازن لحفظ السلع المراد بيعها بالجملة واصطبلات لإقامة الدواب ويشغل الطابق العلوي

---

[1]- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1409 هـ، ص580، 581.

[2]- رابح رمضان، النشاط التجاري بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر الميلاديين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الأثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008، ص 134.

[3]- أحمد بن عمر بن أنس العذري، المصدر السابق، ص 83.

[4]- أحمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص 163.

غرف مخصصة للمبيت[1].

ج- الأسواق:

الأسواق ملتقى الناس وملتقى البادي والصادي وبطبيعة الحال يتعارف فيها على الطبائع والعادات، ولقد كانت التجارة بالأندلس تتمركز في الأماكن التي يكثر فيها السكان سواء أكانوا تجارا أو أصحاب حرف أو مستهلكين ومنه فالأسواق قد تقع في الشوارع أو أكثر في رحبة عند ملتقى الطرق أو في الأرباض الخارجة عن محيط المدينة أو بجانب أبوابها، وقد اشتهرت الأندلس وأقاليمها بكثرة الأسواق وتنوعها، فكان يتردد على هذه الأسواق مختلف الطبقات من الصناع والعمال والأحرار والعبيد والحمالين وغيرهم من الفئات الاجتماعية.[2]

د- القيساريات:

تعتبر القيساريات هي الأخرى التي يجتمع فيها الناس بكامل طوائفهم وهي مراكز تجارية مهمة في المجتمع الأندلسي كمصدر مهم في الجانب الاقتصادي الأندلسي،[3] والقيسارية عبارة عن مجموعة أبنية عامة تتخذ شكل رواق دَير مُسقَّف ويتفرع منها أزقة على جوانبها حوانيت ومشاغل عمال ومخازن وحتى منازل،[4] ولقد كانت عدّة مدن تحتوي على قيساريات منها مدينة ألمرية التي بنيت قيساريتها على شاطئها قرب دار الصناعة وكان التجار يقصدونها ليؤمنوا فيها على أموالهم وفي هذا يورد العذري نصا حيث يقول: " والقسم الثاني فيه القيسارية قد رتب كل صناعة فيها حسب ما يشكل لها، قد أمن فيها التجار بأموالهم، وقصد إليها الناس من أقطارهم"[5].

---

[1] - رابح رمضان، المرجع السابق، ص 134.

[2] - المرجع نفسه، ص 55.

[3] - المرجع نفسه، ص 56.

[4] - مريم قاسم طويل، مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح 443-484هـ/ 1051-1091م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص 157.

[5] - أحمد بن عمر بن أنس العذري، المصدر السابق، ص 86 و مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص 156، 157.

" ويقول بن الخطيب عن مدينة مالقة بأن سككها غاصة وأسواقها بالدكاكين متراصة ويذكر العذري أن ببلنسية باب معروف يعرف بباب القيسارية ولا شك أن هذا الباب كان مدخلا إلى المدينة يصادف القيسارية مباشرة "[1]

هـ- بعض صور التواصل من خلال التجارة الداخلية:

يلزم علينا الإشارة إلى الدور التجاري للنصارى بالأندلس من خلال مشاركتهم في التجارة الداخلية بحيث كانوا يعرضون سلعهم المتنوعة في المحلات، ويقبلون عليهم الزبائن باختلاف دياناتهم، ونتيجة لإتقانهم اللغة العربية التي كانوا يتواصلون بها مع المسلمين ومن أجل جلب الزبائن لهم كانوا يقومون بالحلف باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم على أن منتجاتهم وسلعهم من النوعية الرفيعة[2]

وكان من أهم ما تاجر به النصارى من سلع والخشب والفراء والزيت والخل كما كانوا يعملون على جلب الأسماك من الساحل ثم يبيعونه في الأسواق الأندلسية[3].

وبطبيعة الحال فالسوق مكان عام يؤمه الناس صباحا ومساء، ويزدحم فيه الباعة والمشترون، ويتجاذبون أطراف الحديث، ويتعرف كل طرف على عادات الطرف الآخر، خاصة وأن في الأندلس كثرت الأجناس واختلطت، وعلى ما تنتجه الأندلس من بضائع قيمة تجعل المشترين يأتون إليها من كل مكان.[4]

---

[1]- لسان الدين بن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من الرسائل) ، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، 1983م، ص 62.

[2]- ولد أن محمد الأمين، المرجع السابق، ص 93.

[3]- محمد عطا الله الخليفات، **أسواق الأندلس في عصر الدولة الأموية**، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة البلقاء التطبيقية، مج1، عدد1، ربيع الأول 1435هـ، كانون الثاني 2014م، ص 155.

[4]- نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص 24.

و- بعض صور التواصل خلال التجارة الخارجية:

إن الصراع الطويل والمتواصل الذي كان بين المسلمين بالأندلس والنصارى الشمال لم يؤدّ إلى قطع العلاقات بينهما وخاصة الاقتصادية، إذ لم يتأخر مسيحيو الشمال عن الذهاب إلى الحواضر الكبرى الأندلسية في الجنوب بل كانوا يأتون إليها بسلعهم لبيعها إلى سماسرة لهم ويطلبون سلعا أخرى لا تتوفر في بلدهم بل أنهم توافدوا إلى مدن كثيرة كقرطبة وإشبيلية بعد سقوط طليطلة، وتشير المصادر إلى أن عدد هؤلاء كان بشكل كبير[1]

وقد يستشكل على أن البابا أصدر مرسوما يدعوا فيه إلى منع التجارة بين المسلمين والنصارى، خاصة تجارة الحبال والأخشاب والحديد وأكد على ضرورة دفع غرامة مالية على المخالفين من الإسبان، ولكن التساؤل هنا هل التزم الإسبان بهذا المرسوم؟ [2]، " فقد عمل النصارى في التجارة واضطلعوا بدور كبير في التجارة الخارجية كونهم قاموا بدور الوسيط بين إسبانيا النصرانية وبين الأندلس "[3] حيث كانت قوافل التجارة تمر عبر طريق شنت ياقب إبان عهد ملوك الطوائف.[4]

وتحدثنا المصادر التاريخية على أن النصارى كانوا يفضلون الملابس العربية التي كانوا يستوردونها من الأندلس وفي مقدمة هذه الملابس لباس الحرير الذي اشتهرت به الأندلس وقامت بتصديره إلى مختلف مناطق العالم، فتصديره كان له أهمية كبرى في تجارات الأندلس الخارجية وفي هذا يؤكد الأصطخري إلى وجود مادّة الحرير ضمن الصادرات الأندلسية إلى بلاد الفرنجة[5]

---

[1]- محمد حصباية، الممالك المسيحية شمال الأندلس وعلاقتها بملوك الطوائف خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010، ص 146.

[2]- المرجع نفسه، ص 25.

[3]- عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص113.

[4]- المرجع نفسه، ص 93.

[5]- رابح رمضان، المرجع السابق، ص 180.

كما مارست الممالك الإسبانية تجارة الرقيق خاصة الصقالبة والتي كانت قشتالة ومدنها تزخر بأسواق الرقيق والتي كانت لها سوق رائجة هي الأخرى خاصة مع الأندلس، إذ كانت مناطق نافار وبرشلونة تقوم بدور الوسيط التجاري بين غالة والأندلس وأصبحت هذه المناطق نقاط ارتكاز لها وكان الصقالبة يجلبون من مناطق أواسط أوروبا، خاصة مناطق البلقان ثم ينقلون إلى غالة حيث يتم حضورهم ثم نقلهم إلى الممالك المسيحية ثم إلى قرطبة[1]

ولقد ازدهرت هذه التجارة بشكل كبير في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي نتيجة سقوط كثير من المدن الإسلامية في هذه الفترة، وقدر عدد الأسرى بالآلاف، كما نقل الكثير منهم خارج الممالك المسيحية لكل غالة وإيطاليا وغيرها من المناطق[2]

وبما أن كانت مدن الأندلس تحتوي على خيرات كثيرة وسلع متنوعة جعل النصارى يقبلون على التعامل مع المسلمين والتبايع معهم مثل مدينة مالقة التي اشتهرت بوفرة التين حيث كان ينقله النصارى في المراكب عبر الطرق البحرية لغرض التجارة به، "وأما في ألمرية التي اشهرت بمينائها على البحر فقد كان النصارى يقومون بتصدير واستيراد المواد التجارية عبر ذلك الميناء"[3]

كما أن السفارات التي كانت تأتي إلى الأندلس قد قامت بدور مهم في الترويج للتجارة الخارجية حيث كانت تحمل معها عند مغادرتها بعض البضائع فيعجبون بها ويصممون على العودة للتزود من بضاعة الأندلس مرة أخرى كما كان الملوك يقدمون للوفود هدايا كبيرة تحتوي على الملابس والحلي والزخارف العربية البراقة مما تكون سببا ودافعا للتبادل التجاري بين البلدين.[4]

ولقد كان النصارى يشترون التين البري من مدن الأندلس ويصدرونه عبر الموانئ البحرية حيث يقول المقري:" والتين البري المنسوب إلى مالقة يسفر منه النصارى على المراكب البحرية بأكثر من أن

[1] - محمد حصباية، المرجع السابق، ص 68.

[2] - المرجع نفسه، ص 68.

[3] - ولد أن محمد الأمين، المرجع السابق، ص 94.

[4] - المرجع نفسه، ص 24، 25.

يعبر عنه بما يحصره "[1] كما أنها كانت تصدر اللوز إلى بلاد الروم، "وكان زيت الزيتون من أهم الصادرات الأندلسية نحو البلاد الأوروبية فقد وصل التجار الإيطاليون إلى الأسواق الأندلسية بحثا عن المنتوجات المحلية ومن بينها الزيت الإشبيلي حيث يورد الزهري أن بلاد الروم كانت من بين الأماكن التي تتلقى الزيت الإشبيلي" [2]، وإذا نظرنا إلى الورق فنرى أن الصادرات الأندلسية كانت تتجه إلى البلاد الأوروبية[3].

ي- أثر التجارة على العلاقة بين المسلمين والنصارى:

يعد أثر الاحتكاك بين المسلمين والنصارى أثرا بالغا في انتشار اللغة العربية بين التجار الغربيين، إذ أننا نجد عددا من الكلمات العربية في اللغات الأوربية ومن المصطلحات التجارية التي اقتبسها الأوربيون مثل Calibre من قالب، وTareمن طرح، وCheque من صك، و Tarifمن تعريفة وغيرها[4].

وكذلك أثرت تجارة العبيد (الرقيق) بشكل كبير في نشر ما يتعلمونه في المجتمعات التي يساقون إليها، فقد كان العرب في الأندلس يطلقون سراح العبيد في المناسبات فيعود الغلام بكل ما تعلمه وغالبا ما كان أسرى المسلمين يباعون في أسواق ناربونة ومرسيليا وآرل[5].

كما لعبت السفارات والبعثات الدبلوماسية دورا كبيرا في حدوث تأثير تجاري كبير، حيث كانت العطايا والهبات من الأندلس الفاخرة والأدوات والحلي والتحف الفنية التي كان يقدمها الخليفة لتلك السفارات تجذبهم إلى شراء ما يلزمهم قبل الرحيل إلى بلادهم، وكانت تجعل نساء القصور في

[1]- أحمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص219.
[2]- رابح رمضان، المرجع السابق، ص 179.
[3]- المرجع نفسه، ص 180.
[4]- لويس يونغ، العرب وأوربا، تر: ميشيل أزرق، دار الطليعة، بيروت، 1979، ص58.
[5]- جوزيف رينو، الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا، تع: إسماعيل العربي، دار الحداثة، بيروت، 1984م، ص223، 229.

ليون وقشتالة يحثون تجار اليهود على جلب المزيد منها من أسواق قرطبة وغيرها من المدن الأندلسية[1].

كانت مدينة غرناطة مركزا مهما لتزويد أوروبا بالأنسجة المعروفة بـ "غرنادين"، حيث أن الطلب على تلك المنسوجات كان كبيرا بسبب ما تحويه من ألوان زاهية ورسوم هندسية ونباتية مختلفة، حتى أنها دخلت في ألبسة رجال الدين وحفظ آثار القديسين، وكذلك في ملابس الطبقة الأرستقراطية حيث صنعوا من تلك الأقمشة جببا، حتى أن ازدياد الحاجة إلى تلك الأقمشة جعلت التجار ينشؤون الأنوال في مناطق متعددة، وكان بعض العاملين في تلك المراكز من المسلمين[2].

إن تلك الإشارات تعطينا فكرة عن التقدم الذي شهدته الأندلس في العصور الإسلامية، وإن تأثير حضارتها لم تنته بنهاية الحكم العربي الإسلامي، بل على العكس استمر ليعطي دلائل مهمة في الحوار الحضاري بين الشعوب، فقد استمر تأثير الحضارة العربية الإسلامية في المجتمع الإسباني بعد سقوط غرناطة حيث أن نبلاء قشتالة وأبنائهم استمروا في التزين بأزياء الأندلسيين[3].

2- الزراعة:

إن جوّ العمل المشترك بين المسلمين والنصارى في ظل جو من التسامح والروح الطيبة الحسنة في مجال الزراعة سيولد طبائع وعادات مشتركة يتشارك فيها الجنسان ويتأثران ببعضهما البعض في أشياء أخرى، وهو ما سيزيد من وفرة الإنتاج الزراعي وتنوعه.

إنّ النصارى والمولدين كانوا يشكلون غالبية الزراع في الأندلس،[4] فعملوا في زراعة الأرض التي آلت ملكياتها إلى المسلمين ولم يأبهوا كثيرا بتغيير المالك وكانوا في الكور المجندة يؤدون إلى العرب الشاميين نحو ثلث غلة الأرض بينما يختص أنفسهم بالباقي.[1]

---

[1]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص473.

[2]- وجدان فريق عناد، المرجع السابق، ص56.

[3]- خليل إبراهيم السمرائي، علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، وزارة الثقافة، بغداد، 1985م، ص408.

[4]- عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص 112.

كما اهتم النصارى في الأندلس بالزراعة وقد ساعدهم على ذلك استقرار جماعات النصارى في البوادي حيث كونوا بالأندلس نسبة من لا بأس بها من سكان القرى والأرياف[2]وهذا ما يقوله ابن حوقل: " وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن وهم على دين النصرانية روم"[3] ويفهم من خلال بعض الإشارات في النوازل الفقهية ممارستهم الزراعة وامتلاكهم لأصولها، فقد جاء في نوازل ابن رشد مسألة حول بيع أصول الكروم من النصارى رغم قيامهم بعصر الخمر من ثمارها[4] وأيضا أصبح العرب شركاء للإسبان بعد توزيع الأراضي بين عرب الشام والبلديين[5]

أثر الزراعة على العلاقة بين المسلمين والنصارى:

لما كانت الأندلس قبلة أوربا في طلب العلم والاطلاع على التطور الحضاري كان من البديهي أن يحدث محاكة وانتقال لكثير من الجوانب، فكانت الزراعة إحداها التي كانت أساس الاقتصاد الأندلسي.

كانت عناية العرب في الأندلس بالزراعة كبيرة قامت على أسس بنيت على تجارب غنية في مجالات مختلفة، فتطورت الزراعة وغدت من المعالم البارزة للحضارة الإسلامية هناك[6]، وفي هذا يقول سانشير: "إن وصول المسلمين إلى شبه الجزيرة الإيبرية بداية أعمق وأكبر تطور عرفته الزراعة في هذه البقعة".[7]

[1]- المرجع نفسه، ص 113.

[2]- ولد أن محمد الأمين، المرجع السابق، ص 96.

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص 111، و ولد أن محمد الأمين، المرجع نفسه، ص96.

[4]- أحمد بن رشد، مسائل أبي الوليد ابن رشد، تح: محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1993 م، ج2، ص 1143.

[5]- ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: 658هـ)، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1985م، ج1، ص 61-62.

[6]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص104.

[7]- سانشير، **الزراعة في إسبانيا المسلمة**، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، المرجع السابق، ج2، ص1367.

نلتمس التأثير الذي حصل في مجال الزراعة ظاهرا من خلال استخدام نصارى إسبانيا لقنوات الري المائية والنواعير التي تسمى بالشادوق، والتي هي مجاري مياه تحت الأرض تربط بين سلسلة من الآبار، كما تستخدم في استنباط المياه الجوفية ونقلها مسافات شاسعة، وقد اشتقت تسميتها الإسبانية "مجريط" من الإسم العربي "مجرى"[1]، كما يوجد ألفاظ مستخدمة في الإسبانية للتعبير عن هذه الآلة وهو Noria مأخوذ من اللفظ العربي "ناعورة"، و Acequia من اللفظ الساقية العربي، و Accadus من القادوس الذي يستخدم لنقل الماء من جوف الأرض وصبه على سطحها[2].

كما نجد من أسماء الفواكه ما استعارته من اللغة العربية فنجد Albaricoque البرقوق، والليمون Limon وغيرها[3] وعلى ذلك فقد دخلت أصناف كثيرة من المزروعات إلى أوربا وأصبحت وأصبحت جزء من المائدة الأوربية[4].

كما كان من نتاج السياسة الرشيدة التي انتهجها المسلمون في الأندلس نحو السكان الأصليين للبلاد والتي قامت على التسامح والمساواة والمعاملة الطيبة، أثر كبير في تشجيع الذميين على العمل بملكياتهم الزراعية وأراضيهم الخاصة بهم، مقابل دفع ما يترتب عنه من ضريبة الخراج، كما سمح للعديد من أهل الذمة بالتملك للأراضي الجديدة حيث يذكر ابن حوقل: "إن التملك فاش في الخاصة والعامة في الأندلس"[5].

ساعدت الطبيعة الأندلسية في الإنتاج والإبداع الزراعي فقد تميزت تلك الطبيعة بوفرة المياه والتربة الخصبة، فسعى المسلمون إلى إدخال أفضل أنواع الطرق والأساليب الزراعية، فاهتموا بدراسة

---

[1]- محمد حصباية، المرجع السابق، ص148.

[2]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص467.

[3]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص354.

[4]- وجدان فريق عناد، **مكانة الأندلس في التواصل الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العراق، العدد: 10، ص44.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص111.

أنواع التربة والسماد المناسب وطرق الغراسة واختيار البذور وأساليب السقي وأنظمة الري التي لا يزال قسما منها باقيا في المدن الإسبانية مثل بساتين البرتقال في مدينة بلنسية التي تسقى من الأقنية التي أنشأها العرب منذ أكثر من ألف سنة[1].

نقل المسلمون العديد من أنواع المزروعات معهم، فمثلا القمح الذي تذكره المصادر التاريخية أنه من أجود أنواع القمح المزروعة في الأندلس، فانتقل إلى جنوب فرنسا ثم إلى أوربا كلها[2]، كما نقلوا الرز الذي أصبح ضمن المأكولات الإسبانية يطبخ مع اللبن الحامض وتسمى الطبخة ب "الرز باللبن"، ونقلوا الكروم (العنب) والموز الذي انتشرت زراعته في كامل أرجاء أوربا، والرمان والمشمش والليمون وقصب السكر، كما أدخل العرب الزعفران الذي كان يطلق عليه "الجادي والكركم"، كما اهتموا بزراعة الزيتون الذي اشتهر العرب فيه باستخدام الأساليب الجيدة لزراعته[3].

3- الصناعة:

لم تقتصر الحرف والصناعات على فئة اجتماعية معينة دون الأخرى بل كانت تمارس من قبل جميع الفئات من العرب والموالي والصقالبة واليهود فضلا عن أهل البلاد الأصليين[4]، إلا أن فضل تطور المجالات الاقتصادية يعود بالدرجة الأولى إلى العرب المسلمين والتأثر الذي حدث بسبب الاحتكاك بهم، وقد أشار أحدهم إلى هؤلاء الصناع العرب بقوله: "أنهم فقراء إلى ما لدينا من إيمان، ونحن فقراء إلى ما لديهم من صناعة"[5].

---

[1]- المصدر نفسه، ص104.

[2]- عادل محمد علي الشيخ، **النبات في إسبانيا العربية**، الندوة العلمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، الكويت، 1988، ص328.

[3]- وجدان فريق عناد، المرجع السابق، ص46-47.

[4]- علي عطية الكعبي، المرجع سابق، ص168.

[5]- مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق، ص369.

وعمل الإسبان في المصانع الأندلسية فقد كانت الصناعة تسير نحو التطور فأقاموا مصانع الخشب وأخرى للزجاج والسفن والمعادن وبات الطرفان يعملان في مكان واحد[1]

وكانت البضائع يزج بها إلى الأسواق، فيتهافت عليها المشترون من كل حدب وصوب ومن كل الأجناس حيث يصور صاحب (صورة الأرض) التطور الصناعي فيقول: " بالأندلس الزئبق والحديد والرصاص ومن الصوف قطع كأحسن مما يكون من الأرمين المحفور الرفيع الثمن على أحسن ما يعمل بها من الأنماط، ولهم من الصوف والأصباغ فيه، ويجلب منها الديباج لم يساوهم في أعمال لبودهم أهل بلد على وجه أثر هذا التطور على الإسبان حيث مالوا إلى تقليد العرب في صناعتهم" [2]

كما أن الصناعة التي ازدهرت وقامت بالأندلس قد شارك فيها النصارى بنصيب وافر وملحوظ، وكانت صناعة النسيج في الحضرة تشغل حيا مزدحما بهم وبإخوانهم من المولدين وهو حي الطرازين Vicus tiraccorum الذي يرد في تقويم قرطبة [3] كما امتهنت عدة حرف منها حرفة الخياطة والتطريز حتى أنه ازدحم بهم حي الطرازين بقرطبة كما أتقن العديد منهم صناعة الخمور إذ لقيت هذه الصناعة رواجا كبيرا في الأندلس بالإضافة إلى أنهم امتهنوا صناعة الأجبان التي ذاع صيتها في كلا من إشبييلية وشريش،[4] كما حافظ المعاهدة من النصارى على الفنون القوطية في صناعة الحلي واشتغلوا بها حتى اشتهرت بقرطبة، وكان لهم حي خاص بهم سمي بالصاغة. [5]

---

[1]- نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص 23، 24.

[2]- ابن حوقل ، المصدر السابق، ج1، ص114، و نوال الدسوقي، المرجع نفسه، ص24.

[3]- عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص 113.

[4]- المرجع نفسه، ص 99.

[5]- عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1997، ج2، ص 144. .144

وهكذا احتضن المسلمون حضارة الإسبان وشملوا أهل الصناعة والحرف المختلفة برعايتهم وعنايتهم وحرص الصناع وأرباب الحرف المختلفة في السير في نفس الطريق الذي كانوا يسيرون فيه من قبل إلا بعض التغييرات وفقا لما يتطلبه الوضع الجديد.[1]

أثر الصناعة على العلاقة بين المسلمين والنصارى:

اشتهرت الأندلس بكثرة صناعاتها كالصناعة الحريرية التي كانت من الصناعات المهمة بالأندلس، وقد تأثرت هذه الصناعة في إسبانيا النصرانية بمثيلتها في الأندلس الإسلامية، وما دل على ذلك تلك البطانة الموجودة في صندوق العاج الذي أهداه فرديناندو الأول لكنيسة سان إيسيدور لحفظ مخلفات سان خوان باتستا وسان بلامون 451هـ/ 1059م، حيث أن النسيج قطعة به صور طيور وحيوانات ذات أصل عربي وعليه كتابة عربية[2].

وما يدل على التأثير الحاصل من خلال الصناعة الأندلسية صناعة النسيج في الأندلس العدد الكبير من الأثواب التي تشير إليها المصادر أو التي لازالت محفوظة حتى اليوم كالتي يضمها متحف لاس ويلغاس، فضلا على أن اللغة الإسبانية لا زالت تحتفظ بعدد كبير من الكلمات في مجال النسيج ذات الأصل العربي مثل: Alvexi- Algoden- Gasa- Damasiquo- Ceneta- Cendal.[3]

إنتقلت الملابس الحريرية المطروزة والقلانس إلى أزياء النبلاء والحكام، فضلا عن تقليد الملوك الإسبان للحكام المسلمين في طريقة ارتداء الملابس والفرش المستعملة[4].

---

[1]- حسن يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، مصر، ط1، 1994م، ص 348.

[2]- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، تعريب: لطفي عبد البديع، طبع القاهرة، ص 417-418.

[3]- وجدان فريق عناد، مكانة الأندلس في التواصل الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العراق، العدد 10، ص54.

[4]- المرجع نفسه، ص55.

4- الوظائف الإدارية للنصارى:

عمل المسلمون على منح الحرية للنصارى في اختيار قومسهم وهو الذي يترأسهم ويدير شؤونهم الإدارية والقضائية والمالية وتمثيلهم في القضايا السياسية عند الحاكم المسلم أو القاضي، وهذه الحرية الدينية هي التي منحت الثقة للنصارى في الحكام المسلمين على غيرهم من الحكام السابقين - القوط- إذ كانوا يعينون أقاربهم وأصحابهم لخدمة مصالحهم[1]

أ- القومس:

وهو زعيم النصارى في الأندلس ومتولي شؤونهم ولقد أطلق عليه في الأندلس باسم قومس الأندلس وزعيم عجم الذمة[2] وإن كان في قرطبة فقط فلاعتبارها العاصمة فقد كان يكتفي الحاكم بتعيين قومس واحد باعتباره قومس أعلى للأندلس[3]

وللقومس عدّة مهام أهمها:

- إدارة الشؤون الخاصة بالنصارى وتمثيلهم أمام السلطة السياسية والقضائية في الأندلس.
- جمع القيام بجمع الجزية أو الضرائب من المسلمين أحيانا.
- القيام بمهمة الفصل بين القضايا والمنازعات التي تكون بين النصارى تبعا لأحكام القوط القديمة.
- الحضور الفعلي في الأنشطة السياسية من خلال استقبال ملوك الدول المجاورة وسفرائهم وكذا القيام بالترجمة.[4]

---

[1]- محمد الأمين ولد أن، المرجع السابق، ص 31.

[2]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص20. ولد أنّ محمد الأمين، المرجع السابق، ص 31.

[3]- عبد المطلب مصطفى رجب مظهر، أهل الذمة في الأندلس خلال الحكم الأموي، عصري الإمارة والخلافة (138-421هـ/756-1030م)، رسالة ماجستير، ص 38.

[4]- المرجع نفسه، ص39.

ب- قاضي العجم: وهو يلي القومس في إدارة أمور النصارى وكان اسمه قديما زمن القوط يودكس (JUDEX) ثم جاء اسم القاضي بعده، ومنه اسم (ALKADE) في اللغة القشتالية وهي مستمرة إلى يومنا هذا، ولقب أيضا بوزير القاضي،[1] ولا يعتبر هذا لقب منصب، بل هو صفة تدل على الاحترام فمن فقهاء المسلمين من لقب بوزير الفقيه دون أن تضاف إليه مهام وزارية، وتتجلى مهمته في الفصل بين النصارى في الخصومات والمنازعات طبقا لقوانين الخاصة بالنصارى.[2]

وفيه أنه كان يوجد نوعين من القوامسة، فكان الأول باسم القومس الأعلى أو قومس الأندلس والثاني أقل درجة منه سمي بقومس المدينة ولا يختلف الاثنان عن كونهما مسيرين لإدارة شؤون النصارى وحلّ نزاعاتهم، إلاّ أنّ الأول عيّنه الحاكم المسلم والثاني اختاره النصارى وصادق عليه الحاكم المسلم[3].

ج- **المشرف: almosrif**

وهو منصب يتولى صاحبه القيام بجمع الأموال في الناحية وانتقل لفظها إلى عجمية أهل الأندلس –اللطينية– في صور مختلفة almosrif و almossorif و almoxerife وأخيرا almoxrife والتي استقرت القشتالية على اللفظ الأخير.[4]

د- مستخرج الخراج: exepror:

وهو المسؤول عن جمع الضرائب والجزية والخراج لصالح المسلمين.[5]

إن الموظف النصراني الذي استعمله الحاكم المسلم اعتبر حلقة وصل بين المسلمين والنصارى إذ كان القومس يترأس جهازا إداريا كبيرا ويساعده القمامسة الآخرون في المدن والقرى منيبين عنه.[6]

1- عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص89.
2- عبد المطلب مصطفى رجب مظهر، المرجع السابق، ص40.
3- محمد الأمين ولد أنّ، المرجع السابق، ص 32، 33.
4- عبد المطلب مصطفى رجب مظهر، المرجع السابق، ص41.
5- المرجع نفسه، ص41.
6- محمد الأمين ولد أنّ، المرجع السابق، ص 32.

ثانيا: الميدان الثقافي:

يعتبر الميدان الثقافي من أهم الميادين التي ساهمت في الجمع بين المسلمين والنصارى في الأندلس عهد ملوك الطوائف من خلال دور العبادة الكنائس أو المسائل التي كانت تخوض فيها وجهات نظر العلماء أو القسيسين النصارى كما تعتبر مختلف العلوم في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي نتيجة لرقي الحضارة الإسلامية والتواصل بين بين المسلمين والنصارى.

1- دور العبادة: (الكنائس) :

كما سبق الإشارة إلى المعاملة الحسنة التي عامل بها المسلمون النصارى ، وقد وسعت هذه المعاملة العديد من جوانب الحياة حتى أنها شملت أهم جانب من حياة النصارى والمتمثل في حياتهم الدينية، حيث ضمنوا لهم تنظيماتهم الدينية المتعارف عليها، فكان لهم رئيس يمثلهم في كل مدينة يقطنونها عرف باسم "القومس"[1]، حيث شكل هذا الأخير حلقة اتصال بين قومه النصارى وبين السلطة الإسلامية.

وعملا بمبدأ حرية التعبد الذي كان محفوظا في الأندلس، فقد ترك المسلمون للنصارى كنائسهم ولم تشرد السلطة الإسلامية أي قس، فلم يضق على أحد القيام بشعائره الدينية، كما سمح لهم بقرع النواقيس للصلاة، رغم ما تسببه من أذى لأسماع المسلمين.[2]

توزعت الكنائس في أرض الأندلس، حيث ضلت حتى نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي مقسمة إلى نفس المناطق الكنسية التي كانت قائمة أيام القوط وهي طليطلة، إشبيلية وماردة، كما يضيف كاجيكاس أنه يمكن إحصاء أكثر من عشر كنائس في قرطبة وحدها وتسع

---

[1]- عبد المطلب مصطفى رجب مظهر، المرجع السابق، ص27.

[2]- عصام كاطع داود، موقف المسلمين من أهل البلاد الأصليين في الأندلس، دراسات تاريخية، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، العدد 16، 2014، ص120.

بطليطلة وأربع في ماردة، وأخرى في غرناطة وإشبيلية، وكدليل على الوضعية الحسنة لهذه الكنائس نجد أن مداخيلها لم تكن قليلة ومتزايدة خلال هذه الفترة[1].

2- إنتشار الكنائس في الأندلس:

ظلت طليطلة محتفظة بمكانتها كحاضرة دينية، كونها تعتبر عاصمة القوط القديمة ، وكانت المقر لمطران مسيحيي الأندلس حتى القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي[2]،وقد احتوت هذه المدينة عددا من الكنائس أهمها كنيسة جميع القديسين وهي أعظم كنائس طليطلة، كنيسة القديسة مريم " Santa Maria "، كنيسة القديسة ماريا دي الفثين "Santa Maria de Alficen"[3].

قرطبة: توزعت العديد من الكنائس في أرجاء قرطبة نذكر منها، كنيسة الأسرى وهي كنيسة القديس أجلح غربي قرطبة[4]، الواقعة في ربض الرقاقتين بالقرب من قصبة المدينة[5]، وعلى بعد ثلاثين ميلا من قرطبة يوجد دير أرملاط CoenobiumArmilatense نسبة إلى نهر Armilata المجاور لها[6]، وكنيسة القديسين (خوستو جانفي ومارسيل)[7]، وكنيسة القديسة Eulalie أولائي، كما وجدت كنيسة حملت اسم مرتين[8] San martin.

دروقة: تشير المصادر التاريخية إلى وجود عدد من الكنائس بها : كنيسة أبرونية، كنيسة الغراب وهي كنيسة شنت بجنت Sanctus Vicenti وكنيسة إستجة التي جاورت جامعها[9].

---

[1]- محمد الأمين ولد أن، المرجع السابق، ص39.

[2]- مؤنس حسين، فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1405هـ/1995م، ص81.

[3]- محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص42.

[4]- عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص5.

[5]- محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص39.

[6]- عبادة كحيلة، المرجع السابق، 96.

[7]- محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص39.

[8]- المرجع نفسه، ص40.

[9]- عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص94.

إشبيلية: ضمت إشبيليا عددا هاما من الكنائس، مثل كنيسة ربينةRefina. [1] وكنيسة الماء التي تبعد عن إشبيلية بفرسخين[2].

ومن الكنائس الأخرى نذكر: كنيسة القديسين الثلاثة BasilicasanctorunTrium والتي كانت بربض البرج، وكنيسة جفريان الحكيم أسقف قرطاجنة، وكنيسة القديس قرشتويل SanetusChristophorus المتواجدة على الشاطئ المواجه للوادي الكبير في منية عجب.[3] كما وجدت دور Cauliana بمدينة ماردة[4]، ودير سان خوان ديلابينا San juan delpena الذي أنشاه الأخوان فوتو Votoوفيلكس Felixعلى جبل أوريل[5].

3- الإسلام والتنصير بين المسلمين والنصارى في الأندلس:

دخل المسلمون الأندلس وأخذوا يدعون الإسبان للدخول في الدين الإسلامي فدخل من دخل منهم وبقيت جماعات كبيرة لم تدخل الإسلام ولم يجبروا على دخوله وعوملوا بسماحة كبيرة، وفي ذلك يقول العلامة الإسباني "التاميرا" Altamira حول الجانب الديني للنصارى في ظل الدولة الإسلامية في الأندلس: "إحتفظ غالبية الشعب الإسباني ممن بقوا على عقيدتهم في ظل الدولة الإسلامية في الأندلس برؤسائهم من رجال الدين من الأقماط أو الكونتات وذلك في القضاء وأسقفية الكنائس ولم يفرض ولاة الأندلس عليهم سوى الضرائب الشرعية"[6].

[1] - عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص94.

[2] - محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص43.

[3] - عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص95.

[4] - المرجع نفسه، ص95.

[5] - عبد المطلب مصطفى رجب، المرجع السابق، ص28.

[6] Altamaria y crevea , Histoire de Espana, y de civilization espanola, barcelona, 1900, tan 01, p217.

مارس النصارى عباداتهم بحرية واسعة حيث انتشرت على صفحات المصادر التاريخية الأخبار التي تصف احتفالاتهم العلنية بأعيادهم في قلب المدن الأندلسية وعلى مرأى من جميع الناس[1].

ظهر تأثير الديانة في الوسط الأندلسي في محاولة تغليب المسيحية على الدين الإسلامي وقد بدأت أولى خطوات ذلك مع الأمهات المسيحيات حيث كانت أمهات العديد من المسلمين إسبانيات ولم يغيرن دينهن بعد زواجهن كما أن حالة موت الزوجة تعوضها أمها والتي لها الأحقية في الحضانة وعمل الجدة يشابه عمل الأم النصرانية فظهرت نتيجة هذا العامل في صفوف المجتمع المسلم فغدت بوقا ينادي بالتنصير ويسعى إلى الطعن في الإسلام ومبادئه[2].

ويذكر صاحب أخبار مجموعة أن هناك الكثير من القوط الذين دخلوا في الإسلام بغية منافع شخصية ثم ما لبثوا أن ارتدوا عنه بعد أن غزتهم الممالك المسيحية من الشمال وعادوا إلى ما كانوا عليه، وهو ما يوضح أن عملية التنصير لمن دخلوا في الإسلام طواعية بدأت منذ وقت مبكر من دخول المسلمين إلى شبه الجزيرة الإيبيرية ونجاحه في الشمال في الأماكن الوعرة والأكثر قربا للمالك المسيحية الناشئة[3].

---

[1]- نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص37.

[2]- المرجع نفسه، ص 38.

[3]- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تح: إبراهيم الإبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1410/1989، ص62.

أكد جونثالت أن رجالا من النصارى كانوا يدرسون كتب العرب لتشويه الإسلام والدفاع عن النصرانية وطائفة أخرى عملت على ترجمت الأناجيل إلى اللغة العربية ونشرها بين المسلمين وهذا ما يفسر لنا كثرة الاستشهاد بنصوص من الأناجيل في المصادر العربية[1].

كما نلمس الروح التبشيرية في رسالة لهذه الفترة المدروسة والتي بعث بها الراهب النصراني إلى المقتدر بالله –أمير سرقسطة– داعيا إياه إلى النصرانية موضحا تعاليمها وعقائدها بشكل تفصيلي، ويسير ضمن منهج تشويه الإسلام والتشكيك فيه وقد جاء فيها:

" ولن يسعنا أن نتراخى عن الاجتهاد في تتميم هذه المصلحة بجميل معونته لتشترك معنا في ملكوته إن اثرت ذلك أشخصنا إليك من إخواننا من يورد عليك كلاما إلاهيا على ما يفهم الله إليه ويشرحون لديك حقيقة دين النصارى ويقرر عندك معرفة المسيح"[2].

ولم تتوقف الدعوة الدينية بل استمرت إلى عصر الموحدين فالدعوة إلى تنصير المدن التي سقطت بأيدي النصارى كانت على قدم وساق[3].

إن المنعطف الديني الذي وصلت إليه الأندلس من تعصب وغلاة اتجاه الإسلام كان نتيجة تعصب ثلة من النصارى المتطرفين والذين لم يحقدوا فقط على الإسلام بل على بني جلدتهم الذين اطمأنوا للحياة تحت ظل الدولة الإسلامية، وقد بقي هذا التعصب قائما إلى عصرنا الحالي وبخاصة من بعض المستشرقين حيث نلتمس ذلك في الاعتراف الذي أبدى به المستشرق الإسباني سيمونت في كتابه "تاريخ النصارى المستعربين" حيث يقول: "احتفظ الإسلام بقدر كبير من التسامح نحو المستعربين لمدة قرن كامل وقت كان في حاجة إلى خدماتهم ومعاونتهم، ثم تبدل الوضع إلى الاضطهاد مع تنامي الروح النصرانية تحت الحكم الإسلامي[4].

[1]– نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص39.

[2]– مجهول، رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة، القاهرة، 1986، ص50.

[3]– هشام أبو أرميلة، علاقة الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1984، ص359.

[4]Simonet Francisco javier, Histoire de les mozarabes de espane, madrid, 1999, vol1, p258.

4- الحوار الديني بين المسلمين والنصارى في الأندلس:

إن موضوع الحوار الديني في الأندلس من الصور الهادفة التي يثبت فيها الإسلام مساهمته في تكوين الحضارة الإنسانية، حيث يسمح هذا الحوار بالوقوف على المعوقات التي تعيق تعرف الإسلام على الدين الآخر والتواصل معه والاتفاق على القواسم المشتركة لتكوين عيش وحضارة واحدة متعددة الروافد، وتسودها لغة التسامح والسلام، إذ يعطي لغير المسلمين عامة وللنصارى خاصة حق الدفاع عن عقائدهم والمجادلة عنها للكشف عن المساحة المشتركة بين الحضارتين.

أ- تعريف الحوار الديني:

هو ذلك التفاعل الطبيعي بين البشر يكون الغرض منه معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال[1]، والمناظرة في اللغة هي المجادلة، والجدل في اللغة هو مقابلة الحجة بالحجة، ويعرفه إمام الحرمين الجويني بأنه: "إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع، والتنافي بالعبارة، أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة[2].

خلال الوجود الإسلامي بالأندلس اعتبرت المناظرات من مشاهد التواصل الحضاري بين علماء الدين من المسلمين ومن أهل الذمة، حيث أن تلاقي هؤلاء في قضايا المناظرات والتي غالبا ما تكون قضايا عقدية كانت لها انعكاسات ملحوظة على حياة الأندلس العلمية والثقافية[3]، وفي ذلك يقول الدكتور صلاح جرار "وإنني أرى كثرة هذه المناظرات دليلا على الرغبة في التقارب العقائدي والفكري والثقافي بين الطرفين"[4]، وسنتطرق فيما يلي إلى نماذج من هذا النقد:

---

[1]- علي حسان سلمان، **الأندلس أرض التسامح والتعايش الديني**، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد 20، العدد الثاني والثمانون، ص399.

[2]- خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس " إبن حزم- الخزرجي "، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص120.

[3]- علي حسان سلمان، المرجع السابق، ص399.

[4]- صلاح جرار، المرجع السابق، ص62.

ب- نقد لعقيدة التثليث والتجسد النصرانية:

يقول الله تعالى: "ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد"[1]. حيث أن العقيدة النصرانية عقيدة تقوم على التثليث، فقد ذكر محمد طاهر التنير في كتابه العقائد الوثنية أن أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي (الآب، الإبن وروح القدس)[2].

ب 1: ابن حزم:

كان ابن حزم يعتمد في ردّه على المنقول والمعقول، فكان يدعم حجته بالآيات القرآنية من جهة وبنصوص من الإنجيل من جهة أخرى، ثم يبرهن لهم بالأمور العقلية صحة ما توصل إليه من أحكام[3].

وعلى ذلك فقد وجه ابن حزم انتقادات على هذه العقيدة الراسخة عند النصارى، و أثبت فسادها، وأنها تنتقض مع التوحيد الصحيح بأدلة كثيرة كمحاولته معرفة علاقة الأقانيم ببعضها، فسألهم عن علاقة الكلمة بالأب والابن والروح القدس؟ فإن أجاب النصارى بأنها أحد هذه الثلاثة سألهم عن الدليل، فإن قالوا هي شيء رابع خرجوا عن التثليث إلى التربيع[4].

كما تصدى ابن حزم لافتراءات النصارى هذه بأن عرض عليهم أدلة مما ترويه التوراة فذكر لهم أن بالتوراة رواية تقول بظهور ثلاث كائنات لإبراهيم عليه السلام وأن كتب النصارى تحتج بهذه الكائنات الثلاثة بأنها دليل على التثليث، وهنا نجده يكتفي بأن يعلق بأن هذه في غاية الفضيحة[5].

---

[1]- سورة النساء، الآية 171.

[2]- محمد طاهر التنير البيروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة، ط1، 1989/1410م، ص55.

[3]- نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص122.

[4]- خالد عبد الحليم عبد الرحيم، المرجع السابق، ص158.

[5]- المرجع نفسه، ص159.

ب –2: القاضي أبو الوليد الباجي:

رد الباجي على زعيم النصارى بألوهية عيسى عليه السلام وتجسدها فيه بأن ولادة عيسى عليه السلام من غير أب هذا لا يعني أنه إله، فقد خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم من تراب، وقد حملت بعيسى أم ولم تحمل بآدم أنثى، فإن لم يكن آدم إلها وهو الأب الأول فعيسى أولى أن لا يكون إلها، وهو من ذرية آدم عليه السلام وولده وهو عبد[1].

وذكرهم بأنهم يقولون أن عيسى ابن الله –تعالى الله عن ذلك– وأنه من ولد داود عليه السلام وهذا ثابت في إنجيلهم، كما يزعمون أن جبريل إذ بشر مريم به قال لها: إنه يكون عند الله عظيما، ويكون الله لاسمه ناشرا ويدعى بابن الله، ويرثه ملك أبيه داود، كل هذا ولا يحملون ذلك على أن داود أبوه من قبل مريم، لأنها لم تكن من ذرية داود، وإنما يحملون على أنه أبوه من قبل يوسف النجار الذي يزعمون أنه كان زوجا لمريم ! فإذا كان عيسى من ولد داود وداود عبد مخلوق، وجد بعد أن لم يكنن ومات بعد أن حيي، فكيف يكون عيسى الابن، خالق داود – أبيه– وإلهه؟ وكيف يكون ابنا لداود المخلوق، وابنا لله الخالق؟[2].

ج– نقد الإنجيل:

يعرف ابن عاشور لفظ "إنجيل" على أنه اسم معرب قيل من الرومية وأصله " إثانجيليوم " أي "الخبر الطيب" ومدلوله مدلول اسم الجنس، لذلك أدخلوا عليه حرف التعريف في اللغة الرومية، وهو في اليونانية " أووَانيليُون " أي اللفظ الفصيح[3].

---

[1]– أحمد معاذ علوان حقي، أجواء الحوار في الأندلس – رسالة الباجي أنموذجا – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ص23.

[2]– للإطلاع على كل شبه تفنيد الواهية المسيح للباجي، أنظر: أحمد معاذ علوان حقي، المرجع السابق، ص ص 22-24.

[3]– ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج، 3، ص149.

وفي اليونانية تدل كلمة "إنجيل" على "الخبر السار" وبخاصة بشرى انتصار، وقد اقتبس قدماء المسيحية من العهد القديم معنى "بشرى الخلاص" من الأحداث البارزة في حياة الإمبراطور التي تعتبر إنجيلا اي بشارة سارة[1].

أما اصطلاحا: الإنجيل هو الوحي الذي أوحي به إلى عيسى عليه السلام فجمعه أصحابه[2]، مصداقا لقوله تعالى: "وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يده من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين"[3].

من المشاكل التي تثار عند ذكر الإنجيل في الفكر الإسلامي هو تعدد صوره، فالحديث عن الإنجيل لا يكون إلا بصيغة الإفراد، وهنا نجد نقد علماء المسلمين لنصارى الأندلس حيث أن هذا الكتاب الذي بيد النصارى اليوم الذي يسمونه الإنجيل ليس هو الإنجيل الذي قال الله تعالى فيه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم: "وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس"[4].

ج-1: ابن حزم:

الإنجيل في المسيحية أناجيل، فقد اجتمع المسيحيون حول اختيار أربعة أناجيل هي: متى، مرقس، لوقا ويوحنا[5]، فقال عنها ابن حزم: "إنما هي كتب أربعة مختلفة من تأليف أربعة رجال فأمكن في كل ذلك التبديل"[6]، كما أشار ابن حزم إلى التحريف الذي مس الإنجيل في كثير من موضع، حيث يشير إلى التناقض بين نصوص إصحاحاته، ويشير أنه إذا كانت إصحاحات الإنجيل الواحد تتناق، فإن

---

[1]- نجم الدين النفاتي، صور الإنجيل في التفاسير القرآنية، التحرير والتنوير لابن عاشور أنموذجا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، الرباط، ص03.

[2]- ابن عاشور محمد الطاهر، المرجع السابق، ص149.

[3]- سورة المائدة، الآية 48.

[4]- أبو العباس القرطبي، حوار الأديان في الأندلس، تقديم وتعليق وتحقيق: أحمد حجازي السقا، مدبولي الصغير للنشر، ص105.

[5]- قاموس الكتاب المقدس، تحرير: بطرس عبد الملك، جون ألكسندر طمسن، إبراهيم مطر، مادة "إنجيل".

[6]- محمد الأمين ولد أن، المرجع السابق، ص188.

إصحاحات الأناجيل المختلفة تكون أكثر اختلافا من باب أولى، وقد ذكر ابن حزم أمثلة كثيرة لهذه الاختلافات كاختلاف نسب المسيح بين متى ولوقا[1]، ويضيف قائلا: "وفي هذا الباب الثالث من إنجيل يوحنا أن يحي عليه السلام قال عن المسيح: قد رضي الأب عن الوالد وبرئ إليه بجميع الأشياء، وفي الباب الخامس من إنجيل يوحنا أيضا: ولهذا كانت اليهود تريد قتله لأنه كان ليس يفسح عليهم سُنة السبت فقط، لكنه كان يدعي الله أبا ويسوي نفسه به، وبعد بيسير أن المسيح قال: كما يحيي الأب الموتى ويقيمهم كذلك يحيي الابن من وافقه، وما يحكم الأب على أحد لأنه برئ بالحكم إلى سليله "[2].

ج-2: القاضي أبو الوليد الباجي:

فيما يخص التناقض الموجود في الإنجيل فقد استدل أبو الوليد الباجي على ذلك بالتناقض في نسب سيدنا عيسى عليه السلام بين رواية متى ورواية لوقا، حيث تقول رواية متى أن بين إبراهيم ويوسف الذي يزعمون أنه زوج مريم إثنان وأربعون ولادة، وفي رواية لوقا بين إبراهيم والمسيح خمسة وخمسون رجلا، ليس فيهم من أسماء الذين في رواية متى إلا عدد يسير[3].

وقد وصلت إلينا عدة رسائل ونصوص في موضوع الحوارات الدينية مثل رسالة الراهب الفرنسي إلى المقتدر بالله صاحب سرقسطة وكذا جواب أبي الوليد الباجي عليها[4]، حيث تمثل هذه الرسالة جانب مهم من العلاقات الثقافية والحوار الحضاري بين المسلمين في الأندلس والنصارى في أروبا في القرن الخامس هجري.

---

[1]- خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، المرجع السابق، ص194.

[2]- محمد الأمين ولد أن، المرجع السابق، ص188- 189.

[3]- أحمد معاذ علوان حقي، المرجع السابق، ص24.

[4]- صلاح جرار، المرجع السابق، ص64.

5 ـ اللغة المتداولة بين المسلمين والنصارى في الأندلس: اقتضت الأنشطة المختلفة التي كان يشترك فيها العرب المسلمون مع غيرهم أن تعلم كلا الطرفين لغة الآخر، فعرفت ازدواجية اللغة داخل المجتمع الأندلسي بسبب التعايش والامتزاج الثقافي بين مختلف عناصر المجتمع، فعرف المسلمون لغة الإسبان وعرف الإسبان لغة المسلمين[1].

تعتبر اللغة عاملا وأداة مهمة في التواصل بين أفراد المجتمعات فاعتبرها أحد الباحثين الآداة التي تميز المجتمع الإنساني عن سائر المجتمعات الحيوانية، واعتبرها آخر بأنها أداة الاتصال الرئيسية في المجتمع الإنساني لأنها هي الوسيلة الأكثر فعالية في تمكين الفرد من الدخول في علاقات وتفاعلات اجتماعية مختلفة مثلما هي الأداة الرئيسية في عملية التكامل مع الثقافة التي ولد فيها[2]، ويؤكد الغزالي هذه الأهمية حيث يرى أن الإنسان من دون خطاب لا يكون إلا حبيسا لذاته[3].

كان الإسبان يتحدثون بلغة خاصة، وصفها منندث بدال بقوله: "إن اللغة التي كان يتكلمها أهل إيبيريا قبل القرن الحادي عشر ميلادي كانت تضم ألفاظا قليلة من لغة القوط، أما بقيتها فكانت لهجات مختلفة من اللاتينية العامة، أما عن العرب الفاتحون فقد كانوا يتحدثون لغة القرآن[4].

كان التأثير اللغوي واضح في اللغة التي كان يستعملها الأندلسيون للتخاطب والتعامل بينهم عبارة عن مزيج وخليط بين العربية واللاتينية أطلق عليها مؤرخو الأندلس بالأعجمية أو الليطينية، وكان انتشار هذه اللغة بين العامة بصورة كبيرة[5].

1- صلاح جرار، المرجع السابق، ص59.

2- خديجة قروعي، المرجع السابق، ص217.

3- المرجع نفسه، ص 216.

4- نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص48.

5- عبد المطلب مصطفي رجب مظهر، المرجع السابق، ص123.

ونتيجة للأبحاث التي قام بها الأستاذ خليان ربيرا وضحت أن أهل الأندلس الإسلامي كانوا يستعملون العربية الفصيحة كلغة رسمية يتعلمها الناس في المدارس ويكتبون بها الوثائق وما إليها، أما في شؤونهم اليومية وأحاديثهم فيما بينهم فكانوا يستعملون لهجة من اللاتينية الدارجة أو العجمية[1].

تمكن المسلمون من استخدام اللغة اللاتينية مع العربية لأن البعض منهم كان متعلما للغات أوروبية كاللاتينية واليونانية والألمانية وفي المقابل تعلم بعض القشتاليين الأوربيون اللغة العربية[2].

كما يرى ربيرا أن انتشار اللغة اللاتينية عائد إلى النساء الإسبانيات اللاتي وجدن بكثرة في قصور ومنازل المسلمين سواء كانوا أحرارا أو جواري فقد عملن على خلق جو أسري يكاد يكون إسبانيا في مجمله فيه كان يترعرع أطفال الأسرات المسلمة منذ السنوات الأولى بعد ولادتهم، وكانوا يتعلمون اللاتينية بل واستطاعوا التحدث بها بسهولة وبطلاقة، أما تلقينهم للغة العربية فكان يتم في سن متأخرة[3].

كان الصقالبة في الأندلس يعرفون العربية بل ويكتبون ويؤلفون بها، فقد ألف حبيب الصقلي كتابا سماه "الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة"[4]، كما احتاج القضاة إلى تعلم اللغة العجمية إحتياطا منهم أن يواجههم شاهد لا يتحدث إلا بها فسعوا إلى تعلمها[5].

ظهرت غلبة في التأثير العربي في المجتمع الأندلسي حيث أن اللغة اللاتينية الفصيحة أصبحت تستعمل في نطاق محدود من قبل رجال الدين الإسبان بسبب حاجتهم لقراءة تراتيل الإنجيل والعهد الأخير...إلخ[6]، أما عن باقي أتباع الإسبان فقد انتشرت بينهم العربية مما جعل الرهبان الإسبان

[1]- محمد سعيد الدغلي، المرجع السابق، ص35.
[2]- صلاح جرار، المرجع السابق، ص60.
[3]- خديجة قروعي، المرجع السابق، ص220.
[4]- صلاح جرار، المرجع السابق، ص 59.
[5]- نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص49.
[6]- عبد المطلب مصطفى رجب مظهر، المرجع السابق، 123.

يتوجهون نحو توعية الشباب الإسباني إلى ضرورة تركيز اهتمامهم على اللغة اللاتينية والتي تعتبر لغة الكتاب المقدس عندهم، فقد جاء على لسان أحد القرطبيين في إحدى رسائله: "إن إخواني من المسيحيين يستمتعون بقصائد العرب وحكاياتهم، فهم يدرسون مؤلفات علماء الكلام والفلاسفة المسلمين لا لينقضوها وإنما ليحرزو أسلوبا عربيا صحيحا ناصعا، أين نجد اليوم بين الناس من يقرأ التعليقات والشروح اللاتينية على الكتاب المقدس؟[1].

وكما اشتكى اليهود والنصارى من أهل ملتهم أنهم تركوا لغتهم وانكبوا على العربية كذلك كانت شكوا بعض كتاب المسلمين منهم ابن الشهيد (ت426) حيث رفع عقيرته لائما المسلمين عيهم في الكلام بالعربية وأن لغتهم "ليس لسبويه فيها عمل ولا للفراهيدي إليها طريق ولا لسيان عليها سمة، إنما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والقبط وأنهم تحولوا إلى العامية الصريحة وغلبت عليهم العجمة"[2].

كان من أمر هذا الاختلاط بين اللغات المستعملة في الأندلس إذ دخلت العديد من الكتابات الأعجمية والليطينية للغة العربية، ولم يكن التأثر بهذه اللغة محصورا على مجموعة من المفردات بل تعداه إلى الأسماء إذ سمى الأندلسيون أبنائهم بأسماء إسبانية مثل: بشكوال Pascual، البرجو Ocrmego، قزمان Guzman ، لب Lope، شنجول Sanchuole، باجة Avempace وغيرها، ووصل هذا الأثر إلى الألقاب أيضا مثل: البنيش، بطرشك[3].

كما تركت هذه اللغة أثرها على بعض صيغ الألقاب الأندلسية فأصبح يضاف مقطع (ون) إلى بعض الأسماء فيقال: زيدون، خلدون[4].

---

[1]- نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص49.

[2]- رجب محمد حليم، المرجع السابق، ص455.

[3]- أحمد مختار العبادي، الإسلام في أرض الأندلس، أثر البيئة الأوربية، عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، 1984، ص65.

[4]- المرجع نفسه، ص66-67.

6-التعلم والتعليم بين المسلمين والنصارى:

أتاحت الدولة العربية الفرصة لعموم المبدعين للمساهمة في بناء الأندلس، فكانت هناك أنشطة تعليمية مشتركة ومتبادلة وقد تمثلت هذه الأنشطة في طلب الأندلسيين العلم والمعرفة فأخذ النصارى عن المسلمين وأخذ المسلمين عن النصارى، وقد خلد التاريخ شواهد كثيرة حول هذه الأنشطة.

شارك المسلمون بفضل هذا الاحتكاك العلمي في اكتشافات الطب وعلم النبات والرياضيات وغيرها من العلوم الأخرى[1]، كما أسهم المستعربون إسهاما لا بأس به في الحياة العلمية فقد لعب المتخصصون منهم دورا هاما في الحياة الفكرية بحكم معرفتهم للغتين العربية واللاتينية، وكانوا حلقة وصل بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية[2].

أما توجه الأوربيون لطلب العلم في الأندلس وعلى أيدي العلماء المسلمين فعليه شواهد كثيرة، ففي ترجمة لأبي محمد عبد الله بن سهل الغرناطي (ت بعد 553هـ) يقول لسان الدين بن الخطيب: ثم شهر بعد ذلك يعلم المنطق والعلوم الرياضية وسائر العلوم القديمة، وعظم بسببها وامتد صيته من أجلها، وأجمع له المسلمون واليهود والنصارى أن ليس له مثيل في زمانه، ولا في كثير ممن تقدمه، فكانت النصارى تقصده من طليطلة تتعلم منه، وكان له مع قسيسهم مجالس في التناظر حاز فيها قصب السبق"[3].

وكان ألفونسو السادس قد اتخذ طليطلة عاصمة لمملكة ليون وقشتالة بعد أن سقطت في يده عام 478هـ/ 1085م وكانت تلك المدينة الهامة وعاصمة القوط القدامى قد أصبحت شيئا فشيئا مركزا للثقافة الإسلامية في القرن 5هـ/ 11م، فأصبح بلاد ألفونسو السادس مصطبغا بالثقافة

---

[1]-عاشور سعيد عبد الفتاح، أوربا بالعصور الوسطى، التاريخ السياسي، مطبعة البيان العربي، القاهرة، ج1، ط3، 1964، ص555.

[2]- علي عطية الكعبي، المرجع السابق، ص182.

[3]-صلاح جرار، المرجع السابق، ص53.

الإسلامية، بل إن ألفونسو هذا أعلن نفسه "إمبراطور الملتين" أو العقيدتين، وأصبحت طليطلة محجة يفد إليها طلاب العلم من شمال إسبانيا ومن كل أنحاء العالم[1].

7-العلوم والفنون:

أ. الترجمة:

تعد حركة الترجمة من أهم مظاهر الحياة الفكرية والثقافية في الأندلس، ذلك أنه كان نتيجة طبيعية للتبادل الثقافي بين الأندلس والحضارات الأخرى كما وأن انتقال العديد من الكتب والمخطوطات القيمة من وإلى الأندلس استلزم ضرورة ترجمتها وتعريبها وبيان رموزها حتى يسهل قراءتها والانتفاع بها.

وقد بدأت حركة الترجمة في وقت مبكر على أيدي المستعربين ومن خلال السفارات التي تقوم بين الأندلس ودول أوربا، وكان حكام الأندلس يستعينون برجال الدين المسيحي للترجمة بينهم وبين الوفود الأوربية ومرافقة تلك الوفود، فعندما وصل أردون بن أنفوشن سنة 351هـ إلى قرطبة وافدا على الخليفة الحكم المستنصر حفته جماعة من نصارى وجوه أهل الذمة يؤنسونه[2].

وكان مسلمو الأندلس قد نشطوا قبل ذلك في ترجمة الكتب الإغريقية واللاتينية إلى العربية ومن أمثلة ذلك كتاب: "ديو ستوريدس" في الطب الذي أرسله الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع إلى الخليفة عبد الرحمان الناصر، وقام نفر من عجم الأندلس بنقله إلى العربية كما قاموا أيضا بنقل كتاب "هورشيوس" Horasius الروماني في التاريخ إلى العربية في عهد الحكم المستنصر بن الناصر على يد أحد فقهاء قرطبة وأحد قساوستها المستعربين وبنى عليه أحمد بن محمد الرازي ما كتبه في الجغرافية التاريخية فيما بعد[3].

---

[1] – رجب سعيد عبد الحليم، المرجع السابق، ص451.

[2] – أحمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص 390، صالح الجرار، المرجع السابق، ص47.

[3] – رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص453.

كان لمدينة طليطلة الدور الأساسي في حركة الترجمة، حيث بقيت في أيدي العرب من 720م حتى 1085م، وخلال هذه الفترة غلبت عروبة المدينة على نصارى طليطلة فاتخذوا من العربية ثقافة فكانوا يقيمون صلواتهم وطقوسهم باللغتين العربية والقوطية، وكانوا يطلقون على الإسبان المستعربين Les mozarabes أي نصف عرب، وكانت هذه الطريقة الشاسعة والمعتمدة في الترجمة أن تعمل نسخة من الكتاب العربي المراد ترجمته إلى طليطلة وكان أحد المتخصصين يتولى قراءته باللغة الإسبانية العامية ثم يتولى غيره ترجمته إلى اللاتينية وكتابتها[1].

ومن الأطباء المسلمين الذين أثروا على أوربا من خلال ترجمة ونقل مؤلفاتهم عبر الأندلس علي بن العباس المعروف عند اللاتين باسم "هالي عباس" صاحب كتاب "كامل الصناعة الطبية" الذي كان أول كتاب طبي عربي ترجم إلى اللاتينية باسم "الكتاب الملكي" وترجمه قسطنطين الإفريقي الذي كان من اكبر العاملين على نقل العلوم العربية إلى أوربا[2].

حظيت كتب الطب والفلسفة الأندلسية وغيرها باهتمام خاص في الترجمة إلى اللغات الأوربية إبان الوجود العربي في الأندلس، وكان كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" لأبي القاسم الزهراوي المعروف عند اللاتينيين باسم "أبو الكاسيس" وهو كتاب في الجراحة موضع اهتمام مبكر من الأوربيين حيث تم ترجمته إلى اللاتينية[3].

وصل أثر الترجمة إلى نحو اللغة العربية، فقد جاء في أمثالهم الشعبية: "غبار الغنم كحول هو لعين السبع" وهذا المثل ترجمة عن الإسبانية El polvo de la ovega alcohol es para el lobo .

---

[1]- سعيد عبد الفتاح عاشور، حضارة الإسلام، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، القاهرة، ط2، ص80.

[2]- فرح محمد الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، دار الجماهيري للنشر والتوزيع والإعلام، ليبيا، 1980، ص145-146.

[3]- صلاح جرار، المرجع السابق، ص47.

حيث أن الأصل يقال: "غبار الغنم كحل عين الذئب" دون الحاجة إلى الضمير "هو" فالإسبان يكثر من تقديم المتعلق (الجار والمجرور)[1].

ب ـ الطب:

لما كان الطب إحدى ضروريات الإنسان إعتنى به المسلمون في القرى والمدن والأمصار الإسلامية لما عرفوا فائدته، ولقد ساهم علماء النصارى بإسهاب في التقدم الطبي جنب إلى جنب مع العلماء المسلمين فظهر عدد من الأطباء من أهل الذمة[2].

ومن الأندلس انتقلت دراسة علم الأمراض واستئصال أي عضو من الأعضاء ووصف خفقان القلب والأورام وغيرها، وفي حالة الحمى شخصت أكثر من مائة حالة بعض هذه التصنيفات كانت بحسب مدتها وأخرى تشخص الحمى بحسب المكان من الجسم الذي تصيبه، كذلك التشخيص بسبب المزاج الناتج عنها، وكذلك تعلموا دراسة العقاقير والتي تعد عملا روتينيا بالنسبة للكثير من الأطباء[3].

وعليه أصبحت المؤسسات العلمية والثقافية في الأندلس ذات شهرة واسعة كجامعة قرطبة، غرناطة، إشبيلية وطليطلة وغيرها، وقد وفد إلى هذه الجامعات الآلاف ن طلبة أوربا وغيرها[4].

كما تشهد شهادة "أنجل جنثالت بالنسيا" مؤلف تاريخ الفكر الأندلسي والذي نقله عن الإسبانية الدكتور "حسين مؤنس" يقول: "إن الفضل في قيام الدراسات الطبية في أوربا يرجع إلى ما كتبه المسلمون الذين كانوا يبعثون بالسفراء لاستجلاب الكتب القيمة ما بين إغريقية ولاتينية

---

[1]- الزجالي، أمثال العوام، ج1، ص299.

[2]- نباز إسماعيل عدو، أهل الذمة في بلاد الكرد في العصر العباسي، مؤسسة موكرياني للبحوث، ط1، 2011، ص179.

[3]-وجدان فريق عناد، المرجع السابق، ص15.

[4]- الحجي عبد الرحمان علي، الحضارة العربية في الأندلس – أسسها، مبادئها تأثيرها على الحضارة الأوربية – دار الرشاد، بيروت، ط1، 1969، ص48-49.

ويقيمون المراصد لدراسة الفلك ويقومون بالرحلات ليستزودوا من العلم بالتاريخ الطبيعي وينشؤون المدارس لتدرس فيها العلوم بشتى صنوفها"[1].

ج ـ الرياضيات:

كانت الأندلس دور فعال في نقل العلوم الرياضية إلى الحضارة الغربية، فقد وصلت إلى الأندلس ترجمات مهمة لمؤلفات علماء قدامى مثل: إقليدس، أبو لونيو، منيلا ، أرخميدس وبطليموس ووصلت أيضا مؤلفات للرياضيين المسلمين مثل: ثابت بن قرة، ابن سنان وأبو كامل، وعن طريق الرياضيات الأندلسية أدخل الترقيم العشري إلى أوربا[2].

يعتبر الخوارزمي أشهر عالم رياضي أثر على أوربا بأفكاره ومؤلفاته التي ترجمت إلى اللاتينية، ومن كتابه الحساب عرف الأوربيين نظام الأعداد الهندية التي انتشرت في أغلب البلاد العربية الإسلامية، وعرفت الثانية بالأرقام الغبارية وانتشرت في بلاد المغرب العربي والأندلس ومنها انتقلت إلى أوربا[3].

لم يقتصر فضل العرب على أوربا في ميدان الرياضيات على علم الحساب فقط وإنما امتدت لبقية العلوم الرياضية وعلى رأسها علم الجبر الذي يعتبر أحد فروع التحليل الرياضي الذي يناقش الكميات باستخدام حروف ورموز عامة[4].

---

[1] – علي محمد راضي، الأندلس والناصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ص115، 116.

[2] – وجدان فريق عناد، تأثير الحضارة الأندلسية على أوربا –العلوم العقلية أنموذجا– مجلة كلية التربية الإساسية، جامعة بابل، العدد2، آذار 2010، ص95-96.

[3] – وجدان فريق عناد، **مكانة الأندلس في التواصل الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية**، المرجع السابق، ص20.

[4] – حربي عباس وحلاق حسين، العلوم عند العرب – أصولها وملامحها الحضارية– دار النهضة العربية، ص327.

د ـ العلوم الفيزيائية والكيميائية:

تناول العلماء المسلمون مواضع فيزيائية مختلفة ومتنوعة مثل سكون الجماد والسوائل والحركة والبصريات كما تطرقوا كذلك للميكانيك، فقد أخذ المسلمون عن الإغريق بمكانة علمية وأضافوا إلى أعمال سابقيهم شروحا وتعليقات وطوروها من خلال طروحات رياضية وتجريبية جديدة[1].

ويعد ابن الهيثم أحد أبرز العلماء المسلمين الذين نالوا شهرة وكان لهم أثر في النهضة الأوربية، حيث أنه برع في مجال البصريات إذ استخدم منهجا علميا مبنيا على الاستقراء والاستنباط، فقدم نظريات جديدة في مجال البصريات وخصائص الضوء والألوان مزج فيها بين الفيزياء والرياضيات والفيسيولوجيا وعلم النفس وذلك في كتابه "المناظر" الذي ترجم إلى اللاتينية، وكان ابن الهيثم مرجعا لروجير بيكون وعلماء مفكرين أوربيين آخرين وكان معروفا لهم باسم **"الحزن"** أو "الحسن"، كما تمت ترجمة رسالته "المرايا المحرقة بالدوائر" إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر[2].

أما عن الكيمياء ومواردها فيعتبر جابر بن حيان المؤسس الحقيقي لعلم الكيمياء حيث سمي "علم جابر" ينسبون إليه تأليف 2500 كتاب و1500رسالة أنزله ذلك من الكيمياء منزلة أرسطو من علم المنطلق فأصبحت هذه المؤلفات تشكل مدرسة جابر في الكيمياء وهي المدرسة التي سادت من بعده في الكيمياء الإسلامية لتصير بعد القرن الرابع عشر بعد ترجمتها إلى اللاتينية أشهر كتب الكيمياء، وقد سار الأوربيون على المنهج التجريبي العربي متبعين خطة جابر التي تنادي بعدم التسليم بما لا يثبت بغير تجربة[3].

---

[1] – وجدان فريق عناد، المرجع نفسه، ص 23.

[2] – وجدان فريق عناد، **مكانة الأندلس في التواصل الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية**، المرجع السابق، ص24 .

[3] – علي عطية الكعبي، المرجع السابق، ص182.

هـ -: الشعر والموشحات والأزجال:

أدى الاحتكاك والتمازج بين عناصر المجتمع الأندلسي إلى ولادة ظواهر أدبية شعبية فريدة في الأندلس، فكان الشعر والموشحات والأزجال إحدى هذه المظاهر.

الشعر: لقد احتل الشعر في الأندلس مكانة عظيمة وصار يمثل تقريبا السمة الأدبية العامة في الأندلس، ثم إن الطبيعة الأندلسية أعطت دفعا كبيرا في تألق الحركة الشعرية وذلك بسبب الطبيعة الساحرة التي اتصفت بها من جبال خضراء ومياه جارية ونبات تزهو بخضرة برونق أزهارها[1].

تبوأ الشعر في عصر الطوائف مكانة مرموقة فقرطبة التي كانت تمثل مرجعية الشعر في عهد الخلافة الأموية أصبحت شبه معزولة أمام منافسة مدن أخرى كأشبيلية وسرقسطة وألمرية وبطليوس، وتجمع مصادر على أن إشبيلية قد سرقت الأضواء في ظل بني عباد وصارت المرجعية الأولى للشعر والفن، فكان التنافس بين الملوك وتشجيعهم للشعر ماديا ومعنويا دافعا كبيرا لنمو الحركية الشعرية[2].

أحدث الشعر العربي تأثير كبير في الفن الإسباني فقد حاك شعراء التروبادور العرب في ذلك حتى وصل بهم الأمر إلى تنظيم الشعر باللغة الدارجة خاصة في الشعر العاطفي الذي يعبر عن الواقع الجديد، والواقع أن الشعر العربي لم يؤثر في التروبادور فحسب بل امتد تأثيره إلى أوربا كلها فقد تردد صدى منظومات التروبادور في شعر ذلك العصر أغاني المنشدين الجوالين في الشمال يقول "برد يكس": "قام عرب الأندلس خلال القرن العاشر ميلادي بنشر حضارة جديدة أصيلة وابتدعوا شعرا عاطفيا نقله شعراء الترابادور إلى الشمال، وتدل المراجع على أن الإسبان بعد أن غزو الأندلس

---

[1]- أنخل جنثالت بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، القاهرة، د.ت، ص46.

[2]- يوسف بن طويل، مدخل إلى الأدب الأندلسي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1991، ص13.

الإسبانية وجدوا قصورهم ملأ بالشعراء العرب الذين وقعوا في الأسر وظلوا يعيشون في كنف الأمراء الجدد"[1].

الموشحات والأزجال:

ظهرت هذه الفنون الأدبية نتيجة للإزدواج اللغوي الحاصل في الأندلس حيث أن هذا اللون الأدبي يميزه وجود مجموعة من الخرجات باللغة الأعجمية مما جعل الباحثين يختلفون حول أصله[2].

"كما يعرف ابن خلدون الموشحات في قوله: "وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنسيق فيه الغاية استحدث المتأخرون مهم فنا سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتاليا فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب[3]، ويقول السيد عبد العزيز أن الموشح فن شعري مستحدث يستند إلى أصل شعبي هو الأغنية" [4].

تضاربت الآراء حول نشأة هذا الفن فهناك من رأى أن الموشح إسباني النشأة وأنه نتيجة لتقليد الإسبان لضرب من الشعر الغنائي الإسباني، كان القائلون بهذا الرأي أكثرهم مستشرقين على رأسهم خوليان ربيرا وطائفة من الباحثين العرب كعبد العزيز الأهواني في كتابه "الزجل في الأندلس"[5].

كما استدلوا على رأيهم بأن العرب في الأندلس كانوا يتحدثون العربية في المجالس العلمية والرسمية ويستعملون اللاتينية الدارجة أو العامية في شؤونهم اليومية مما أتاح لهم فرصة الاتصال بالثقافة

---

[1]- بورورو مباركة، المرجع السابق، ص71. القاسمي جاسم ابن محمد، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002، ص218.

[2]- خديجة قروعي، المرجع السابق، ص239.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 817، خديجة قروعي، المرجع السابق، ص 241.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص300.

[5]- عبد العزيز الأهواني، الزجل في الأندلس، معهد الدراسات العربية، العالمية، 1985، ص42.

اللاتينية –ثقافة الإسبان– ومن خلال ذلك تمكنوا من معرفة الموشحات[1]، كما قام الباحث مصطفى العنيدي بإحصاء 46 موشحة ذات خرجات عجمية أي أن نسبة 7,37 % من الموشحات كانت خرجتها مطعمة بألفاظ وعبارات أعجمية[2].

ويرجع مونتغمري واط ظهور الموشح بالأندلس وتطوره في عصر الطوائف إلى انفتاح المجتمع الأندلسي على حياة الترف واللهو والغناء، كما جذبتهم الطبيعة الأندلسية مضافا إلى ذلك تشجيع الملوك على هذا اللون من الفنون[3].

الموشحات في واقع الأمر فن أندلسي خالص بمعنى أنهلم يعرف في صورته الناضجة المتكملة إلا على أرض الأندلس[4].

ولما انتشرت في الأندلس الموشحات بين أهلها أخذت العامة في النسج على منوالها فاخترعوا فن الزجل، وعلى هذا جاء في المقدمة لابن خلدون "ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنسيق كلامه وترصيع أجزائه نسجت العامة من أهل الأمصار منواله ونظموا على طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعرابا، واستحدثوا فنا سموه بالزجل والتزموا النظر فيه على مناحيهم إلى هذا العهد، فجاءوا فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة[5].

---

[1]– نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص142.

[2]– مصطفى الغديري، **الموشحات الأندلسية بين الإبداع والإتباع**، مجلة دراسات أندلسية، العدد 13، يناير1995، ص ص 41 – 42، ينظر: خديجة قروعي، المرجع السابق، ص242.

[3]– مونتغمري واط، في تاريخ إسبانيا الإسلامية مع فصل في الأدب، بقلم: بيير كاكيا، تر: محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط2، بيروت، 1998، ص132.

[4]– محمد زكريا عناني، الموشحات الأندلسية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1980، ص27.

[5]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 825.

عرفه محمد زكريا عناني على أنه شعر شعبي عامي يختلف عن الموشح في أنه يكتب باللغة العربية العامية، وقد ظهر هذا الفن متأخرا عن الموشحات وشهد تطورا كبيرا في عصر ملوك الطوائف واستمر حتى سقوط غرناطة 1492م[1].

لم يخل الزجل شأنه شأن الموشحات من المصطلحات العجمية[2]، وعليه يجدر الإشارة إلى أن إسبانيا لم تعرف سوى الترانيم الكنسية وإنها عرفت الموسيقى وألحانها من الغناء الأندلسي، فهو الذي أعد إليها لتنفذ إلى موسيقاها الحديثة[3]. ويرى بعض المستشرقين أن الأغاني المعروفة باسم بيانتيكو التي كان ينشدها الإسبان في أعياد الميلاد هي زجل أندلسي[4]، كما كانت أغاني ألفونسو في معظمها تلتزم ببناء الزجل العربي ونظامه[5].

ظل تأثير الموسيقى والشعر والإيقاعات والألحان مستمرا بالأندلس حيث أن المغنيين الرقيين دخلوا إليها في حقبة مبكرة وظلوا يتوافدون خلال الحقبة الإسلامية كلها[6].

وـ : العمارة والزخرفة:

يعتبر الفن المعماري إحدى أنواع الفنون في بلاد الأندلس وتحديدا في عصر الإمارة (138-316هـ/ 755-929م) وعصر الخلافة (316-422هـ/929-1031م) وازدهر هذا الفن بتشجيع من السلطات الحاكمة فأنجز الكثير من الطراز الفني الإسلامي كمسجد قرطبة المتناغم النسق

[1] - محمد زكريا عناني، في الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، د.ط، الإسكندرية، ص33.

[2] - عبد الرحمان بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، 1979م، ص11.

[3] - ريبرا جوليان، تاريخ الموسيقى في الجزيرة العربية والأندلس، تر: الحسين الحين، أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية، 2008، ص115.

[4] - أحمد مختار العبادي، الإسلام في أرض الأندلس، أثر البيئة الأوربية، عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، 1984، ص106.

[5] - عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص15.

[6] - شوقي ضيف، الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية، مجلة العهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ص15.

والذي يكشف عن السمو في الألوان والتشكيل[1]، حيث كان لهذا المسجد مكانة خاصة عند القرطبيين بنحو خاص والأندلسيون بنحو عام، فعندما كان شخصا ما يريد الرحيل من قرطبة كان لابد أن يزور المسجد ويتبرك به، فهذا القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية حينما أراد الرحيل عن قرطبة قصد المسجد تبركا به، وقد اكتسبت هذه المدينة أهمية كبيرة بسبب وجود الجامع فيها، وبقيت محل زيارة للكثير من العلماء العرب من مختلف البلدان، وهكذا بقي المسجدة معلما حضاريا شاهقا يبرهن على ما أبدعه العرب المسلمون من فنون العمارة والبناء[2].

ومن الطبيعي أن العمران في الأندلس قد تكون مما حمله العرب معهم من مزاج الفن البيزنطي والفارسي ولكن الأثر القوطي أصبح واضح الظهور فيه فاعتنى الأندلسيون بصنع التماثيل والصور التي تحكي عن الأشخاص والحيوانات[3].

كما يظهر التأثير الإسلامي على الفن المعماري في الأندلس جليا في الطراز القوطي الذي كان قد تطعم فأقيمت المدن والقصور على الطرز الإسلامية أطلق عليه فن المدجنين والمستعربين الذي كان في كنائس المستعربين في كل من قشتالة وليون وأشتورياس والذي اقتبس أشكاله من الفن الإسلامي[4].

كانت الكتابة العربية دعامة من دعائم الزخرفة والتزيين لخطها الكوفي الجميل حتى لكان المقلدون من الإسبان والإفرنج يحسبونه رسما، ولهذا وجدوا نقش "بسم الله الرحمان الرحيم" على أحد الصلبان[5].

---

[1]- علي عطية الكعبي، المرجع السابق، ص151 – 152.

[2]- رغد جمال مناف الغزاوي، العمارة الأندلسية من القرن الثاني الهجري إلى القرن الخامس هجري، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة بغداد، 1435هـ/2013م، ص69.

[3]- محمد سعيد الدغلي، المرجع السابق، ص56.

[4]- حمد حصباية، المرجع السابق، ص147.

[5]- أحمد سعيد الدغلي، المرجع السابق، ص56.

ولم يقتصر التأثير الأندلسي في مجال العمارة على المساجد والكنائس فقط، بل أن أثره كان واضحا في المباني الأخرى كالجسور والقناطر والحمامات التي انتشرت في مدن إسبانيا النصرانية، ويذكر بروفنسال في هذا المجال: "أن مهندسي البناء والمزخرفين المسيحيين في إسبانيا وفرنسا على امتداد عصر الفن الروماني اقتبسوا على التأكيد عددا وخيرا من خيرة أشكال الفن الإسلامي والإسباني[1].

وألمح مسيو شارل بلان إلى ما اقتبسه الأوربيون من العرب في فن العمارة بقوله: "أرى من غير مبالغة فيما لأمة من التأثير في أمة وذلك خلافا لما يسار عليه اليوم أن الصليبيين الذين شاهدوا ما اشتمل عليه الفن العربي من المشربيات وشرفة المآذن والأخاريز وأدخلوا إلى فرنسا المراقب والجواسق والأبراج والأطناف والسياجات التي استخدمت كثيرا في العمارات المدنية والحربية في القرون الوسطى[2].

المبحث الثاني: الميدان العسكري والسياسي:

أولا: الميدان العسكري:

1- الاشتباكات العسكرية بين المسلمين والنصارى في الأندلس:

---

[1]- علي عطية الكعبي، المرجع السابق، ص153.

[2]- محمد حصباية، المرجع السابق، ص147.

ولقد كانت الحرب بين الطرفين سواء استمرت لمدة زمنية طويلة أم كانت لفترات منقطعة فهي تعتبر سبيلا من سبل التأثير الحضاري بين الطرفين –المسلمين والنصارى– خاصة إذا علمنا أن الحرب ينتج عنها أسرى من كلا الطرفين وسبي للنساء والأطفال الأمر الذي يجعل هاته الفئات الاجتماعية نمطا من نمط التواصل الحضاري والاجتماعي إذ أنهم يمارسون حياتهم وأساليبهم في الحياة كما أنهم كانوا يتعلمون لغة البلد الذي أرغموا على العيش فيه والتكيف معه ولربما من اعتنق ديانته ولبرما تحرروا وعادوا إلى بلادهم إذ نعلم أن بالأندلس كانت عدّة أوقاف خصصت لتحرير الأسرى كما أن كان بالنصارى جمعيات مهمتها العمل والسعي على تحرير أسراهم.[1]

ويشير الدكتور عبد العزيز غوردو أن الحرب هي من أهم قنوات التواصل الحضاري فهي تشكل في النهاية نتاج حضاري وأنها ترتكز على القلاع والحصون والمنشآت العسكرية التي تجبر على التقاطع مع المدن الأخرى بما تحمله هذه من من محتويات حضارية ثم إنها تولد لنا قنوات أخرى للتواصل الحضاري تابعة لها:

فالحرب تؤدي إلى التحالف مابين الدول المتعادية.

الحرب تدعوا للارتزاق فهي تضم المرتزقة كما أنها تجر للاسترقاق

الحرب تتحكم في قناة التجارة التي تزدهر في أيام السلم وتتدهور في أيام الحرب.

الحرب تتحكم في قناة السفارات بين البلدان لافتداء الأسرى ولضمان حقوق المعاهدين.

الحرب مدعاة للتجسس على بعضهم البعض مما يستدعي كل طرف.

2- الأسرى المسلمين والنصارى في الأندلس:

[1]– رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 425.

لقد كانت الحروب والغزوات تخلف وراءها الأسرى من كلا الطرفين، فكان أسرى الإسبان يعملون عبيدا عند المسلمين في مختلف الأعمال والنشاطات، إذ كانوا يعرضون في الأسواق وهو المكان الذي يسمى بالمعرض.[1] ولقد كان هؤلاء العبيد يؤخذون إلى خدمة البيوت والعمل في مجال البناء كما دعا الإسلام إلى تحرير العبيد وجعل هذا الأمر من مصارف الزكاة كما اتجه أيضا الخلفاء والأمراء إلى السعي في تحرير العبيد فإذا أعتق العبد أصبح مولى لسيده، أما عبيد بني أمية فقد أصبحوا موالي للخلفاء فهم يقومون بخدمتهم وقضاء حاجياتهم اليومية.[2]

ولقد كان الأسرى يختلطون بالمجتمع الأندلسي ويقومون بنشر عاداتهم فيه ويتأقلمون معه على أنهم فيما بعد يصبحون فئة مكونة من مكونات المجتمع الأندلسي، أما على الجانب الآخر فهم المسلمين الذين أسروا عند النصارى وعاشوا أياما عصيبة وعانوا من الويلات خاصة بين جدران السجون[3]

أما السبايا من نساء المسلمين فقد كانت قصور النصارى تعجّ بهن وكما يقول صاحب الذخيرة " أنه صار للأكبر رؤسائهم قائد خيل رومة في قصره نحو ألف وخمسمائة جارية أبكار كلهن"[4] وهذا الوقع الذي وقع في مأساة بربشتر الشهيرة.

ولقد كان الأسرى في بعض الحيان يرجعون إلى أوطانهم وقد تعلموا اللغة العربية وعاشوا حياتهم كحياة المسلمين لأكثر منهم حضارة ومدنية وقد نشروا المعارف التي تعلموها وأساليب الحياة والمعيشة الإسلامية التي اكتنفوها وربما زيد على ذلك المبادئ الإسلامية التي اعتنقوها، وزيد على ذلك أن الأسرى المسلمين الذين كانوا يقعون في أيدي النصارى في أواخر عصر الإمارة وفي أواخر عصر

[1]- نوال دسوقي، المرجع السابق، ص 7.

[2]- المرجع نفسه، ص 8.

[3]- نوال دسوقي، المرجع السابق، ص 8.

[4]- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، ج5، ص 182. نوال الدسوقي، المرجع السابق، ص 9.

دول الطوائف إذ كان هؤلاء لا محالة يزيدون من عملية النقل الحضاري والتواصل الاجتماعي وكذا الثقافي إذ يعتبرون كفئة ناقلة بين المدن الإسلامية والنصرانية، [1]

على أن بلاد الأندلس كان بها الكثير من النصارى الإسبان وإذا تحولوا إلى عبيد وموالي إن لم يجدوا من يحررهم فكان مصيرهم العمل والخدمة في القصور التابعة للخلفاء و الأمراء فكان منهم الحرس الخاص للخلفاء والملوك الذين كانوا يُعَوِّلُونَ عليهم في الحروب، أما النساء فكن يشتغلن في صور الأمراء وكذا الأغنياء خاصة المالكين للضياع الكبيرة، فكن يتثقفن ويتعلمن الغناء ومن نبغ منهن كانت تباع في بثمن مرتفع أو تهدى إلى أمير أو تزوج فتصير قرطبة وبقية حواضر الأندلس ملآى بأمهات الأولاد[2]

أما الأسرى من المسلمين الذين كانوا يقعون في يد النصارى فالمعاملة كانت تختلف على الجانب الآخر فهم لم يتمتعوا بحسن المعاملة بل كانت تساء معاملتهم ولا يمشون إلا في الأصفاد خوفا من هروبهم كما أنهم لا يتحررون من العبودية إلا إذا تنصروا كما أنهم كانوا يكلفون بأعمال الزراعة والحراثة، وحتى ولو تنصروا وتحرروا فإنهم يبقون في درجة اجتماعية متدنية ولم يكن لهم الحق في التزوج من النساء النصرانيات حتى وإن كن من الخادمات ولم يكن للعبد أن يتزوج الأمة بل يسكنون في بيت واحد على أن يكون الأولاد لسيدهما.[3]

وبعد وصول الحملة الصليبية في سنة 465هـ/1064م إلى مدينة بربشتر حيث حاصرت المدينة أربعين يوما بعد أن استسلمت ودخلها النصارى فخربوا ودمّروا وقتلوا وسفكوا الدماء حتى ورد في المصادر التاريخية أن عدد القتلى والأسرى كان مابين الخمسين والمائة ألف ولم يقف العدوان

[1]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 425، 426.

[2]- المرجع السابق، ص 426.

[3]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 426، 427.

الصليبي في هذا الحد فقد تخيروا من خمسمائة آلاف من أجمل الفتيات بربشتر وتم إرسالهن هدية إلى صاحب القسطنطينية وإلى بابا روما[1]

وأيضا مما جرى من تلقاء الحرب التي جرت بين المنذر وحليفه ملك أرغونة ضدّ القمبيطور حيث التقى الطرفان عند موريلا على مقربة من طرطوشة فانتصر القمبيطور عليهما واستولى على كثير من الأسرى المسلمين والنصارى وتمّ حملهم إلى مدينة سرقسطة النصرانية[2]

كما حصل أيضا في هجوم فرديناند على أراضي سرقسطة وعمل لهم كمينا في مدينة بلنسية حيث تظاهر بالارتداد نحو الشمال فخرج الناس بأفخم الثياب وأحسنها وكأنهم في يوم عيد حتى إذا انقض عليهم العدو فأخذهم قتلا وأسرا[3]

فالثغور الإسلامية الثلاثة بمدنها وأحوازها كانت في مهمة خطيرة في قضية العلاقات بين الأندلس الإسلامية وباقي الممالك النصرانية وكذا في نشأة وتطور هذه الممالك كانت الثغور لها دور سياسي معها خاصة إذا علمنا أن الحروب والمواجهات العسكرية بين المسلمين والنصارى على مستوى الثغور كانت تخلف عدة أسرى إذ أن الأسير في الأندلس كان يتكيف بسرعة كبيرة مع الوسط الإسلامي[4]

كما أن المسلمين بالأندلس كانوا أكثر حرصا على افتكاك الأسرى من النصارى فقد كانت تقام أحباس خصصت لافتكاك الأسرى من دار الحرب وحماية المسلمين.[5]

3- المرتزقة النصارى في جيوش المسلمين:

[1]- المرجع نفسه، ص 341.

[2]- المرجع نفسه، ص 344.

[3]- المرجع نفسه، ص 348.

[4]- عمر بن ميرة، جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية، مجلة دراسات أندلسية، كلية الأداب، الرباط، المغرب، عدد 14،ص55.

[5]- المرجع نفسه، ص55.

أما الجنود المرتزقة من نصارى الشمال الإسباني وإن كان قد استخدم هذا العنصر في بداية الدولة الأموية مع عبد الرحمان الداخل إلا أن الفترات الزمنية والعهود اللاحقة له قد استعملوا المرتزقة في جيوشهم خاصة في عصر دول الطوائف القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي.[1]

لقد كان هؤلاء المرتزقة يعيشون بين المسلمين سواء في الحياة العسكرية مع الجنود المسلمين في أوقات السلم والحرب أو مع الحياة المدنية إذ كانوا يتجولون في المدن والأسواق وغيرها.[2]

ولا شك " أنهم يقتبسون من أساليبهم في الحياة ويعودون إلى بلادهم وينشرون ما يتعلموه أو عرفوه " ومن أمثلة الجنود المرتزقة هو السيد القمبيطور وجنوده المرتزقة الذين كانوا في موالاة المسلمين ضدّ النصارى مقابل امتيازات يحصلون عليها أهمها المال والهدايا.[3]

كما كانت أيضا جنود الممالك المسلمة تحالف ضد النصارى في حروبهم كنبرة وقشتالة وخاصة وأن هذه الممالك كانت فيم بينها متصارعة أو تحالف أحدهم في الهجوم على دولة إسلامية أخرى.[4]

ولقد شكل المستعربون النصارى قوة عسكرية انخرطت في صفوف المسلمين ويرجع هذا لسببين رئيسين: الرواتب المرتفعة التي كانوا يتقاضونها مقابل خدمتهم وأيضا المكانة المرموقة والمرتفعة في أواسط المجتمع الأندلسي لا سيما أنهم كانوا يتطلعون للوصول إلى مراتب عليا ومهام كبرى كما كان شأن بعضهم.[5]

---

[1]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، 430.

[2]- المرجع نفسه، ص430.

[3]- المرجع نفسه، ص 430.

[4]- رجب عبد الحليم، المرجع السابق، ص 430.

[5]- محي الدين صفي الدين، المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس (138-483هـ/ 755-1090م)، المرجع السابق، ص 94.

ولقد تزايد هذا النشاط من تجنيد المستعربين النصارى، ففي زمن المنذر بن يحيى التجيبي حيث كان قائد جيشه اسمه "خيار" وكان يشرف على فرقة من الجيش أفرادها من النصارى المستعربين.[1]

يستنتج الباحث صفي الدين محي الدين: " إذ أن النصارى المستعربين كانوا مواطنين يستخدمون في الجندية بنفس درجة المسلمين وإذ كان لبعضهم امتيازات حسدهم المسلمون عليها "[2]

كما أنه يوجد بعض المستعربين كانوا في خدمة الجيش البحري الأندلسي حيث " كانوا يشاركون في حراسة سواحل الأندلس والدفاع عنها"[3]

ولقد شهدت فترة ملوك الطوائف عدّة أمثلة على ذلك كعبد العزيز بن عبد الرحمن بن شنجول الذي استولى على مملكة بلنسية ومرسية وأريولة، فواجهه مجاهد العامري فخرج على رأس قواته في سنة 443هـ/ 1041م لكنه انهزم أمام قوات عبد العزيز التي كانت جيوشه متكونة من الفرق المرتزقة النصارى خاصة إذا علمنا أن عبد العزيز كانت جدته نصرانية تدعى جود[4]

وفي سنة 457هـ/1065م استولى المأمون على مملكة بلنسية من يد صهره عبد الملك بن عبد العزيز بن عامر نتيجة سوء المعاملة لابنته ورفض مساعدته في الحروب ضد أعداء المأمون، وعند استولائه لبلنسية فقد جهز جيشا مستعينا بقوة قشتالية من الجنود المرتزقة النصارى.[5]

كما استولى المأمون أيضا على قرطبة في سنة 457هـ/ 1075م بمساعدة الجنود المرتزقة النصارى الذين أمدّه بهم ألفونسو السادس مما أدّى إلى قتل ابن المعتمد بن عباد حاكم قرطبة.[1]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 94.

[2]- المرجع نفسه، ص 94.

[3]- المرجع نفسه، ص 102.

[4]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 347، 348، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، العصر الثاني، ص 197، 222، 223.

[5]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 375، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 386.

ولقد هاجم ملك غرناطة عبد الله بن بلقين في سنة 472هـ/ 1079م أراضي مملكة إشبيلية مع فرقة من الفرسان المرتزقة النصارى يرأسها الكونت غرسيه أردينيز، بموجب معاهدة الصداقة المبرمة في سنة 466هـ/ 1074م بين ألفونسو السادس وعبد الله بن بلقين ملك غرناطة.[2]

زيادة على هذا فقد استعان القادر بالله حاكم طليطلة في سنة 478هـ/ 1086م باحتلال بلنسية مستعينا بقوة قشتالية يرأسها القائد البارفانيس المسمى في الروايات الإسلامية بالبرهانس.[3]

كما أن المنذر بن هود صاحب طرطوشة ودانية والجزء الشرقي من مملكة سرقسطة أراد أن يستولي على بلنسية أيضا لاضطراب أحوالها فطمع أن تكون من جملة مملكته لمجاورته إياها فسار إليها بجيشه ومعه سرية من المرتزقة القطلان فحاصرها في سنة 481هـ/ 1088م، إلا أن القادر استغاث بألفونسو واستغاث أيضا بالمستعين بن هود صاحب سرقسطة فأتى هذا الأخير بقوة عسكرية متكونة من أربعة آلاف فارس ومعه ثلاثة آلاف فارس من المرتزقة النصارى يرأسهم السيد القمبيطور.[4]

وإذا رأينا في احتلال جزيرة سردينيا وكيف أن مجاهد العامري أراد أن يفتحها فنجد أن أسطوله البحري كان مكونا من المرتزقة النصارى الذين عثوا فسادا وتمردا في أسطوله.[5]

ثانيا: الميدان السياسي:

---

[1]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 376، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، العصر الثاني، ص 394، دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، تر: كامل كيلاني، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، مصر، ط1، 1933، ص ص 225-230.

[2]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 387، 388.

[3]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 350، والقلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج5، ص 245، وابن عذاري، المصدر السابق، ص 305.

[4]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 351، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 229، 230، والضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1967، ص472.

[5]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 355، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 1988، ج4، ص211.

1- اللجوء السياسي بين المسلمين والنصارى في الأندلس:

يعتبر اللجوء السياسي مظهرا من المظاهر السياسية التي تظهر على الساحة السياسية الآن، إلاّ أنّ هذا الأمر كان موجودا في السابق إلاّ أنه ليس بهذا الاسم السياسي الحديث، فقد كان في السابق يعتبر فرارا أو هروبا أو طلبا للحماية والعون والمدد، ولا يخفى لنا هذا اللجوء كما يترتب علية ترتيبات سياسية فقد يترتب عليه ممارسات وتأثيرات اجتماعية وحضارية، فاللاجئ الذي يقطن في بلد غيره فبالتأكيد أنه سوف يتأثر بالمجتمع الجديد من عادات وتقاليد ولغة وديانة وغيرها من التأثيرات ولربما يصل الحد إلى التزاوج منهم والموت هناك.

وبما أن فترة ملوك الطوائف كانت فترة مد وجزر في المجال السياسي سواء تعلق الأمر في العلاقات الإسلامية النصرانية أو في علاقات ملوك المسلمين مع بعضهم البعض، فقد لجأ أفراد من مملكة بني ذي النون أصحاب طليطلة فقد لجأ بن ذي النون إلى النصارى وقصد بلنسية واستقر أياما بمحلة ملك قشتالة واضعا نفسه تحت حماية النصارى،[1] وكذا من أسرة بني هود أصحاب سرقسطة وكذلك بعض الوزراء الذين يهربون من ملوكهم خوفا من ظلمهم أو بطشهم كالوزير ابن عمار وغيره الذين لجئوا إلى ملوك إسبانيا النصرانية، وكان هؤلاء اللاجئون يمكثون مع أنصارهم وذويهم سنين طويلة وآماد بعيدة في ممالك الشمال النصرانية.[2]

كما كان هناك أيضا لاجئون من النصارى يلجئون إلى المسلمين ومنهم ألفونسو السادس الذي لجأ إلى المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة حيث أكرم هذا الأخير ألفونسو السادس ورعاه حتى عاد إلى مسقط رأسه بليون بعد مقتل أخيه سانشو الثاني وبعدها استولى على الحكم وملك

[1]– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص115، رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص429.

[2]–رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص429.

ليون وقشتالة وردّ الجميل للمسلمين فاستحوذ على مدينة طليطلة ذاتها التي أوته من قبل وقضى على ملك بني ذي النون.[1]

كما لجأ أيضا أخوه إلى بلاط بني عباد في إشبيلية ومما يلاحظ أن نقول الروايات التاريخية أوردت لنا من أن ألفونسو السادس عندما كان لاجئا في طليطلة سمع أمرائها يتجاذبون الكلام في كيفية الدفاع عن المدينة وعن كيفية استسلامها، فادخر ألفونسو هذا الحديث في نفسه وعمل به هذا استيلائه على المدينة ومما يجدر بالملاحظة أيضا أن ألفونسو لابد له من أنه كان يعرف اللغة العربية حتى يفهم كلامهم خاصة وأن الرواية تقول أن كان متظاهرا بالنوم وأنه استرق السمع ولم يكن هناك مترجم ولم يكن هناك من يشرح أو يفسر له معنى الكلام أو ما يحتمل أنهم كانوا يتكلمون باللغة اللطينية أي اللغة المحكية في الأندلس فاستطاع أن يفهمهم.[2]

2- سفارات المسلمين والنصارى في الأندلس:

كان لنشاط السفارات بين الأندلس ودول أوروبا دورا كبيرا في التبادل الثقافي واحتكاك اجتماعي وتواصل بين الطرفين، أولا بما كان السفراء ينقلونه من معلومات ورسائل وما يعبرون عنه من آراء ومواقف ومعتقدات عن الطرف الآخر الذي يمثلونه وثانيا بما كانو يحملونه إلى الطرف الآخر من هدايا وتحف تصوّر ثقافة الجهة يمثلونها.[3]

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص102، رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص429.

[2]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص430.

[3]- صلاح الجرار، المرجع السابق، ص 23.

ولقد نشطت حركة السفراء بين الأندلس ودول أوروبا طوال مدّة الوجود الإسلامي في الأندلس فكان الأندلسيون يتبادلون السفراء مع البلدان الأوروبية الأخرى كالقسطنطينية وروما وفرنسا وإنجلترا وألمانيا والنرويج والدانمارك والسويد وقشتالة وغليسية وأراغون والبرتغال وغيرها، ولقد حرص كلا الطرفين على اجتباء السفراء الذين يتمتعون بقدرات خاصة ولسان فصيح، بالإضافة إلى الثقافة العالية والحنكة والذكاء والفطنة التي تعتبر عاملا مهما من العوامل التي تساعد على إنجاز المساعي التي يقومون بها إلى جانب تحقيق التقارب الثقافي بين الطرفين من خلال إعجاب الملوك بثقافة من يفد إليهم من هؤلاء السفراء، وبخاصة أن بعض هؤلاء السفراء كان يقيم عدّة شهور أو أكثر في بلاط الملك الذي ينتدب إليه.[1]

وفي عهد ملوك الطوائف كانت عدّة سفارات ربطت أواصر العلاقات بين المسلمين والنصارى وزادت من التواصل الثقافي والاجتماعي بينهم، فقد أرسل المقتدر بن هود حاكم سرقسطة (438-475هـ/ 1046- 1082م)، أسقف طرطوشة إلى شنت ياقب سنة 458هـ/ 1058م، برسالة إلى ملك قشتالة فرناندو الأول (427- 459هـ/ 1035- 1065م).[2]

وفي الجنوب كان أبو الربيع النصراني كاتبا لباديس بن حبوس ملك غرناطة 430-466هـ/ 1038-1073م) وكان له دور واضح في الخلاف الذي نشب بينه وبين ولده ساكسن.[3]

وبمملكة إشبيلية برز دور الوزير ابن عمار في مهمة الدبلوماسي السفير والصانع للعلاقات الإسلامية النصرانية، فكان يتوسط له مع النصارى من أجل الإغارة على أراضي غرناطة على أن يدفع له خمسين ألف مثقالا من الذهب وأن تكون الأسلاب والغنائم للملك النصراني.[4]

[1]- المرجع نفسه، ص23، 24.

[2]-محي الدين صفي الدين، المستعربون ودورهم في التاريخ الأندلسي، المرجع السابق، ص 97.

[3]- محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص 97.

[4]- فضيل بوالصوف، المرجع السابق، ص76.

وكذلك ذهب ابن عمار سفيرا إلى مملكة برشلونة عند صاحبها الكونت ريدموند برنجير الثاني (427-469هـ/ 1035-1075م) وفي الطريق مرّ بمرسية حتى يطلع على أوضاع المدينة ويبحث في أفضل السبل لاقتحامها وعرض على الكونت برشلونة عشرة آلاف دينار إذا قبل معاونته على غزو مرسية.[1]

وذهب أيضا ابن عمار، سفيرا من أجل استمرار العلاقات الإسلامية النصرانية فذهب إلى ليون وفاوض ملكها في إمداده بالجيش وحصوله على مدينة طليطلة ويلتزم المسلمون بدفع الجزية ومنح الأراضي الواقعة شمال جبال الشارات (سيرامورينا sierramorena) لألفونسو.[2]

وأما المعتضد بالله الحاجب فقد كان يكلف شيشند بالاتصال بفرناندو الأول (427هـ/ 1065م) ملك قشتالة وليون للقيام بمهام خاصة ودبلوماسية، ولقد هرب بعد ذلك من إشبيلية لأسباب غير معروفة ولجأ إلى ملكها فرناندو بقشتالة وجعله أحد مستشاريه وأولاه رعايته خاصة وأنه كان متعلما للغة العربية وأحوال الدين الإسلامي والمسلمين وعاداتهم وتقاليدهم فكان له دور كبير في تكييف سياسة قشتالة صوب ملوك الطوائف.[3]

كما كان أسقف طرطوشة بسرقسطة يتولى المهام الدبلوماسية ويقوم بدور السفير بين البلدان لصالح المقتدر بن هود عندما أرسله إلى شنت ياقب santiago حيث مقر فرناندو الأول ملك قشتالة.[4]

يعتبر عصر ملوك الطوائف عصر التسامح الديني وعصر المقاربات السياسية لما شهدته من مد وجزر بين دول ملوك الطوائف مع بعضها البعض ومع نصارى الشمال أيضا، وبما أن دين الإسلام لا

---

[1] – المرجع نفسه، ص 78.

[2] – المرجع نفسه، ص 80.

[3] – ولد أن محمد الأمين، المرجع السابق، ص 58.

[4] – المرجع نفسه، ص 59.

ينفي التعامل مع النصارى ولا ينفر من القرب منهم أو الاستفادة من خبراتهم أو وظائفهم فاستعان ملوك المسلمين بالأندلس – ملوك الطوائف- بالنصارى وزاد اعتمادهم عليهم في كثير من الأعمال.

ففي عهد بني جهور الذين حكموا قرطبة استخدم محمد بن جهور فرنان غومس القشتالي el conde fernane gomez ، وأيضا الأسقف الإشبيلي ابن المرعزي النصراني الذي كان له مكانة هامة عند المعتمد بن عباد (461-488هـ/ 1068-1095م) فقربه أيضا وأوكل إليه المناصب السامية في دولته.[1]

وبسرقسطة بدولة بني هود في عهد المقتدر (438-475هـ/ 1046-1082م) تولى خدمة القصر الشاعر النصراني غندي شالب le fils de conzalve حتى بلغ منصب الوزارة.[2]

وبغرناطة اعتمد ملكها باديس بن حبوس على النصارى في خدمته حتى بلغوا مقاليد الأمور في عهده ومنهم أبو الربيع النصراني الذي تقلد مسؤوليات هامة حيث أشار إليه عبد الله بن بلقين في مذكراته: "... وأرسل في أبي الربيع النصراني، وكان فيما مضى كاتب حشم..."[3]

3- الرسائل السياسية بين المسلمين والنصارى في الأندلس:

تعتبر الرسائل من أهم الوسائل التي تربط بين الحضارتين الإسلامية والنصرانية ومن خلالها تتعزز العلاقات الثقافية ويتأثر المرسل بالمرسل الآخر، ومما لا شك فيه أن من بين الرسائل التي وصلت إلينا التي كانت بين المسلمين والنصارى قد ساهمت في التواصل الحضاري وإن كان فحواها يتمثل في التهديد أو الوعيد فهو يحمل في طياته نوعا من التواصل الحضاري والاجتماعي بين الجنسين.

مثل رسالة الأمير حريز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ألفونسو الذي نزل بساحة مدينته وخربها فأرسل إليه حريز يقول فيها: " ليس من أخلاق

---

[1]- المرجع نفسه، ص 57.

[2]- المرجع نفسه، ص57- 58.

[3]- ولد أن محمد الأمين، المرجع السابق، ص 58.

القدير الفساد والتدمير، فإن قدرت على البلاد أفسدت ملكك ولو كان الملك في عشرة أمثال عددي لم ينزل إلي بساحة ولا تمكن لي منها براحة ..." فكف الملك عن التدمير.[1] (ينظر الملحق رقم: 6)

كذلك ما كان في رسالة الملك ألفونسو السادس إلى المعتمد بن عباد رسالة ملؤها التهديد والوعيد وهذا مطلعها: " من الأنبيطور ذي الملتين الملك المفضل أذفنش بن شانجة إلى المعتمد بالله سدد الله آراءه وبصره بمقاصد الرشاد سلام عليك من مشيد ملك شرفته القنى ..." فيما كان جواب المعتمد بن عباد إلى ألفونسو السادس على رسالة بهذا النص : " ... من الملك المنصور بفضل الله ... إلى الطاغية الباغية أذفنش بن شانجة ..." .[2] (ينظر الملحق رقم: 7)

إن تواصل المسلمين والنصارى في الأندلس عبر مختلف المجالات وظهور أثره على المجتمع الأندلسي، أظهر لنا ما مدى قوة التسامح الديني الحاصل في الأندلس وتقبل فكرة التعايش مع الغير دون النظر للفارق الديني أو الإثني أو غيره من الفوارق الأخرى.

---

[1]- أحمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص 558، و محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية (64- 897هـ/ 683- 1492م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1986م، ص248.

[2]- محمد طاهر حمادة، المرجع السابق، ص248 -249.

الخاتمة

شكلت العناصر البشرية باختلاف طبقاتها وثقافتها النواة التي أعطت للأندلس طابعها الفريد والمتميز في سلوكاته الاجتماعية، فبالرغم من اختلاف الحاصل بين هاته الطبقات إلاّ أنها استطاعت أن تتجاوز ذلك من خلال التفاعل والانصهار فيما بينها والذي بدوره تجلى في عدّة مظاهر اجتماعية جسّدتها الحياة اليومية كالزواج والاحتفالات والأعياد وغيرها من العادات والتقاليد.

لقد كان الزواج من الظواهر الاجتماعية المهمة في المجتمع الأندلسي بما يحمل من مراسيم وما يصاحبه من زينة وبهاء، ومع وجود فئة النصارى فقد شهد المجتمع الأندلسي في فترة ملوك الطوائف الزواج المختلط بين المسلمين والنصارى.

إن هذا التصاهر والزواج مابين المسلمين والنصارى أدّى إلى التلاحم والتماسك فيما بينهم على مستوى الحياة السياسية فقد كانوا يقاربون أعدائهم سواء أكانوا من النصارى أم من المسلمين.

لعب حسن الجوار دورا كبيرا في دفع النصارى إلى مشاركة جيرانهم المسلمين في العديد من العادات الإسلامية، ورغم أن المسلمين دخلوا الأندلس بأزيائهم التقليدية المعروفة، لكن ما لبثوا أن تشبهوا بالنصارى في أزيائهم، كما تأثر النصارى بالمسلمين فقلدوهم في لباسهم واقتبسوا منهم طريقتهم في اللباس والنظافة وطريقة خياطة الملابس وألوانها، حتى بات من الصعب التمييز بين النصارى والمسلمين في الأندلس.

إن عدم التمييز في اللباس بين المسلين والنصارى يفسر بالمستوى الرفيع الذي بلغته الحضارة الأندلسية، حيث اتسمت بالتعايش والتسامح بين مكونات المجتمع على الرغم من اختلافاهم الديني والثقافي.

إنّ الحرية التي تمتّع بها نصارى الأندلس والتسامح الذي ساد أركان البلاد في شتى المجالات، جعل من أهالي البلاد الأصليين يمارسون نشاطاتهم بكل حرية، فلم تتدخل السلطة الإسلامية في

شيء من أمورهم الخصوصية، بل سمحت لهم بممارسة طقوسهم الدينية في مناسباتهم وأعيادهم، الأمر الذي جعل المسلمين يحتكون بهم ويشاركوهم في أعيادهم النصرانية.

يعتبر التواصل الاجتماعي بين المسلمين والنصارى في الأندلس في كثير من الميادين والمجالات التي يلتقي فيها المسلم مع النصراني كالتجارة والزراعة أو في الإدارة وأماكن العمل كالأسواق والقيساريات وغيرها التي كان يختلط فيها المسلمون مع النصارى وبالتالي يتأثر الطرفان ببعضهما البعض على عدّة مستويات، كما لم تهمل السلطات الإسلامية أيضا مشاركة النصارى في الجانب السياسي أو العسكري فقد كان ملوك المسلمين يستعملون النصارى في أعمال سياسية وأخرى عسكرية مستفيدين من خبراتهم

وفي الأخير يعتبر عامل الاختلاط والتمازج والمجاورة والتسامح والحوار الديني وكذا حب الأندلسيين للترف واللهو من العوامل التي ساهمت في تعايش المسلمين مع النصارى في مجتمع واحد دون أي فوارق دينية أو إثنية.

كما أوصي الباحثين أن يتموا ما نقص فيه من معلومات تاريخية من حيث وسائل التواصل الاجتماعي بين المسلمين والنصارى في الأندلس أو المظاهر الاجتماعية التي لم يتطرق لها البحث سواء في الفترة المدروسة أو في غيرها من فترات تاريخ الأندلس.

الملاحق

الملحق رقم01:

جدول تاريخي مفصل لدول الطوائف[1].

دولة بني جهور في قرطبة.

أبو الحزم جهور حمد بن جهور: 422-435هـ 10317- 1044م.

أبو الوليد حماد جهور: 435-457هـ 1044 -1064م .

عبد الملك بن محمد بن جهور:457-463هـ/ 1064- 1070م .

المعتمد بن عباد يستولي على قرطبة سنة 463م/1071م

دولة بني عباد في اشبيلية .

القاضي محمد بن اسماعيل بن عياد: 414-433هـ 10237- 1042م.

عباد بن محمد المعتضد: 433-461هـ 10421 - 1069م.

محمد بن عباد المعتمد: 461-484هـ 10697-1091م

اشبيلية تسقط في أيدي المرابطين

دولة بني الأفطس في بطليوس.

عبد الله بن محمد بن مسلمة المنصور: 413-437هـ 10227-1045م.

محمد بن عبد الله المظفر: 437- 461هـ / 1045- 1068م.

يحي بن محمد المنصور: 461-464 / 1068- 1072م.

عمر بن محمد المتوكل: 464- 488هـ 10727-1094م.

بطليوس تسقط في أيدي المرابطين

[1] - فضيل أبو الصوف، العلاقات السياسية بين الأندلس وإسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف ق5هـ/ 11م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1431- 1432هـ/ 2010- 2011م، ص177- 181.

دولة بني يحي في لبلة

أبو العباس أحمد بن نحي: 414-434هـ/ 1023-1042م

محمد بن يحي عز الدولة: 434-443هـ 10421-1051م.

فتح بن خلف ناصر الدولة: 443- 445هـ 1051- 1053م.

لبلة تسقط في يد المعتضد بن عباد

دولة بني مرين في باجة وشلب

الحاجب عيسى محمد : ...-432م ....1041م .

محمد بن عيسى عميد الدولة: 432-440هـ 10417- 1048م.

عيسى بن مرين المظفر: 440-445هـ | 1048 - 1053م.

محمد بن عيسى الناصر: 445-450هـ/ 1053-1058م.

عيسى بن محمد المظفر: 450-455هـ 10587-1063م.

شلب تسقط في يد المعتضاد بن عباد

دولة بني البكري في ولبة وجزيرة شاطيش

عبد العريز البكري عر الدولة: 403-443هـ 10127-1051م.

ولية وشلتليش تسقطان في يد المعتمد

دولة بني هارون في شنتنمرية الغرب

سعيد بن هارون: 417-433هـ/ 1026- 1041م.

محمد بن سعيد المعتصم: 433-443هـ 10417-1051م.

شنتمرية الغرب تسقط في يد المعتضد

دولة بني ذي النون في طليطلة

اسماعيل بن ذي النون الظافر: 427-435هـ 10367-1043م.

يجي بن اسماعيل المأمول: 435-467هـ/1043-1075م.

يحي بن اسماعيل بن يحي القادر: 467-478هـ 10757- 1085م.

طليطلة تسقط في يد ألفونس السادس

دولة بني مناد في غرناطة

زاوي بن زيري: 403-410م/ 1013- 1019م.

حبوس بن ماكسن: 411-428م/ 1020-1037م.

باديس بن حبوس المظفر: 428-465هـ/ 1037-1073م.

عبد الله بن بلكين : 465-483هـ / 1073-1090م.

المرابطون يستولون على غرناطة

دولة بني برزال في قرمونة

محمد بن عبد الله بن برزال: 404-434هـ/ 1013-1042م.

عزير بن حماد المستظهر : 434-459هـ/ 1042 - 1067م.

قرمونة تسقط في يد ابن عياد

دولة بني دمر في مورور

نوح بن أبي تزيري الدمري: 403-433هـ / 1013 - 1041م.

محمد بن نوح عز الدولة : 433-445هـ/ 1041-1053م.

مناد بن محمد عماد الدولة : 445- 458هـ / 1053 - 1066م.

مورورو تسقط في يد ابن عباد

دولة بني خزرون في أركش

محمد بن خزرون عماد الدولة: 402-420هـ/ 1011-1029م.

عبدون بن محمد بن خزرون: 420- 445هـ / 1029-1053م.

محمد بن محمد بن خزرون القائم: 445-461م | 1053-1068م.

أركش تسقط في يد ابن عباد

دولة بني يفرن في رندة

هلال بن أبي قرة اليفري: 406-445هـ/ 10157-1053م.

باديس بن هلال: 445-449هـ / 1053-1057م.

أبو نصر فتوح بن هلال: 449-457 /1057-1065م.

رندة تسقط في يد ابن عباد

مملكة ألمرية

1- خيران العامري: 405-419هـ/ 1014-1028م.

زهير العامري: 419-429هـ / 1028-1038م.

عبد العزيز المنصور: 429-433هـ/ 1038-1041م.

2- معن بن صمادح: 433-443هـ/ 1041-1051م.

محمد بن معن المعتصم: 443-484هـ/ 1051-1091م.

أحمد بن محمد معز الدولة: 484هـ/ 1091م.

المرابطون يستولون على ألمرية

مملكة مرسية

1- خيران العامري: 403-419هـ / 1012-1028م.

زهير العامري : 419-429هـ/ 1028-1038م.

أبو بكر بن طاهر: 429-455هـ / 1038-1063م.

أبو عبد الرحمان بن طاهر: 455-471هـ/ 1063-1078م.

(حكم بنو طاهر باسم عبد العزيز المنصور صاحب بلنسية وولده عبد الملك)

المعتمد بن عباد يستولي على مرسية

2- ابن عمار : 471-473هـ/ 1078 -1081م.

ابن رشيق:473- 483هـ/ 1081- 1091م.

المرابطون يستولون على مرسية

مملكة دانية والجزائر

1- جاهد العامري الموفق: 400-436هـ/ 1009-1044م.

علي بن مجاهد إقبال الدولة: 436-468 / 1044-1076م.

2- المقتدر بن هود صاحب سرقسطة: 468-474هـ/ 1076- 1081م.

المنذر بن هود: 474-483هـ/1081-1091م

المرابطون يستولون على دانية

مملكة بلنسية

الفتيان مظفر ومبارك: 400-408هـ/ 1009-1017م.

لبيب العامري: 408- 411هـ/ 1017-1021م.

عبد العزيز المنصور: 411-452هـ/ 1021-1061م.

عبد الملك بن عبد العزيز: 452-457هـ / 1061-1068م.

المأمون بن ذي النون يستولي على بلنسية

نائبه أبو بكر بن عبد العزيز: 457-478هـ/ 1065-1085م.

عثمان بن أبي بكر: 478-... هـ/ 1085 -....م.

القادر بن ذي النون: 478-485هـ / 1085-1092م

القاضي ابن جحّاف: 485-487هـ/ 1092- 1094م.

السيد الكمبيادور والقشتاليون: 487-495هـ / 1093-1102م

المرابطون يستولون على بلنسية

إمارة شنتمرية الشرق

هذيل بن عبد الملك بن رزين: 403-436هـ/ 1012-1045م.

عبد الملك بن هذيل: 436-496هـ/ 1046-1103م.

يحي حسام الدولة: 496-497هـ/1103-1104م.

المرابطون يستولون على شنتمرية الشرق

إمارة ألبونت

عبد الله بن قاسم: 400-431هـ/ 1009-1039م.

محمد بن عبد الله يمن الدولة: 431-434هـ / 1039-1042م.

أحمد بن محمد عز الدولة: 434-440هـ/ 1042-1048م.

عبد الله بن محمد جناح الدولة: 440-495هـ/ 1048-1102م.

المرابطون يستولون عمي ألبونت

مملكة سرقسطة

1- المنذر بن مجي التجيبي : 408-414هـ/1017-1023م.

يحي بن المنذر المظفر: 414-420هـ/ 1023-1029م.

المنذر بن يحي معز الدولة: 420-430هـ/ 1029-1039م .

2- سليمان بن هود المستعين: 431-438هـ/ 1039-1046م.

أحمد بن سليمان المقتدر: 438-474هـ/ 1046- 1081م.

يوسف بن أحمد المؤتمن: 474- 478هـ/ 1081-1085م.

أحمد بن يوسف المستعين: 478-503هـ/ 1085-1110م.

عبد الملك بن أحمد عماد الدولة: 503-..... هـ/ 1110- ....مالمرابطون يستولون على سرقسطة

الملحق رقم: 02.

خريطة تشير لانفراد الوحدة السياسية للأندلس بقيام ملوك الطوائف وتوزع الحكم فيما بينهم وظهور الصراعات بين أمرائها[1].



---

[1] - محمد حصباية، الممالك الإسبانية في الأندلس وعلاقتنا مع ملوك الطوائف، ص179.

الملحق رقم03:

خريطة تشير لسقوط الثغر الأوسط (طليطلة)، وارتداد الحدود الأندلسية إلى ما وراء الواد الكبير[1].



---

[1] – محمد حصباية، المرجع السابق، ص180.

الملحق رقم04:

مراكز استيطان المسيحيين في المغرب والأندلس في عصر المرابطين[1].



[1] -.إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص254.

الملحق رقم 05: رسائل توضح علاقة المسلمين بالنصارى [1].

1- رسالة جوابية من فرذلند إلى أهل طليطلة .

هاجم فرذلند أراضي طليطلة وعاث فيها وهزم أهلها سنة 459 هـ فأرسلوا إليه يطلبون منه الصلح على مال يؤدونه إليه فأجابهم بما يلي :

ما أجيبكم إلى سلم ولا أعفيكم من حرب حتى تفعلوا كذا وكذا.

واشترط عليهم شروطاً لا يقدرون عليها.

2- جواب أهل طليطلة لفرذلند على رسالته السابقة لهم:

لو كنا نقدر على هذه الأشياء وهذه الأموال لأنفقناها على البرابرة واستدعيناه لكشف هذه المعضلة .

3- جواب فرذلند لأهل طليطلة على الرسالة السابقة:

أما قولكم لا تقدرون على هذه الأموال، فذلك محال، فلو كسف سقوف بيوتكم لبرق ذهبا لكثرته، وأما استدعاؤكم البرابرة فأمر تكثرون به علينا وتهددونا به، ولا تقدرون عليه مع عداوتهم لكم، ونحن قد صمدنا إليكم، ما نبالي من أتانا منكم، فإنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديما في أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضي لكم، وقد نصرنا الآن عليكم برداءتكم فارحلوا إلى عدوتكم واتركوا لنا بلادنا، فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم، أو يحكم الله بيننا وبينكم.

---

[1] - محمد حامر حمادة، المرجع السابق، ص246.

الملحق رقم: 6 رسالة الأمير حريز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن –صاحب رسول الله – إلى الفونسو الذي نزل بساحة مدينته، فهدم ضياعها وقطع أشجارها، فأرسل إليه حرز يقول:

ليس من أخلاق القدير الفساد والتدمير، فإن قدرت على البلاد أفسدت ملكك، ولو كان الملك في عشرة أمثال عددي لم ينزل لي بساحة ولا تمكن منها براحة.

فكف الملك عن التدمير. [1]

[1]- محمد حامر حمادة، المرجع السابق، ص 248.

الملحق رقم: 7 رسالة الملك الفونسو المراد إلى المعتمد بن عباد.

أرسل الملك الفونسو السادس بعد استيلائه على طليطلة، إلى المعتمد ابن عباد رسالة ملؤها التهديد والوعيد هذا نصها:

من الأنبيطور ذي الملتين، الملك المفضل أدفنش بن شانجه، إلى المعتمد بالله، سدد الله آراءه، وبصره مقاصد الرشاد، سلام عليك من مشيد ملك شرفته القنى، ونبتت في ربعه المنى، باغترار الرمح بعامله، والسيف بساعد حامله، وقد أبصرتم بطليطلة، زال أقطارها، وما حاق بأهلها حين حصارها، فأسلمتم إخوانكم، وعطلتم بالدعة زمانكم، والحذر من أيقظ باله قبل الوقوع في الحبالة، ولولا عهد سلف بيننا، نحفظ ذمامه، و نسمي بنور الوفاء أمامه، لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده، ووصل رسول الغزو ووارده، ولكن الأقدار تقطع بالأعذار، ولا يعجل إلا من خاف الفوت فيما يرومه، وخشي الغلبة على ما يسومه، وقد حملنا الرسالة إليك القرمط البرهانس، وعنده من التسديد الذي تلقى بأمثالك، والعقل الذي تدبر بلادك به، ورجالك مما أوجب استتابته في يدق ويحل، وفيما يصلح لا في يخل، وأنت عندما تأتيه من آرائك، والنظر بعد هذا من ورائك، والسلام عليك يسعى بيمينك و بين يديك.

جواب المعتمد بن عباد إلى الفونسو السادس على رسالته السابقة

من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو بن عباد، إلى الطاغية الباغية أذفش بن شانجة، الذي لقب نفسه ملك الملوك وسماها بذي الملتين قطع الله بدعواه، سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإن أول ما بدأ من دعواه أنه ذو اللمتين، والمسلمون أحق بهذا الاسم، لأن الذي تملكوه من أمصار البلاد وعظيم الاستعداد ومجبي المملكة ولا تبلغه قدرتكم ولا تعرفه ملتكم، وإنما كانت سنة سعد، أيقظ منها مناديك، وأغفل عن النظر السديد جميل مباديك، فركبنا مركب عجز نسخه الكيس، وأعطيناك كؤوس دعة فقلت في أثنائها ليس، ولم تستح أن تأمر بتسليم البلاد لرجالك، وإنا لنعجب من استعجالك برأي لم تحكم أنحاؤه، ولا حسن انتحاؤه، وإعجابك بصنع وافقتك فيه الأقدار، واغتررت بنفسك أسوأ الاغترار، وتعلم أنها في العدد والعديد، والنظر السديد، ولدينا من كماة الفرسان، وجعل الإنسان، وحماة الشجعان، يوم تلتقي الجمعان، رجال تدرعوا الصبر، وكرهوا القبر، تسيل نفوسهم على حد الشفار، ونيعاهم المنام في القفار، يديرون

رحى المنون حركات العزائم، ويشفون من خبط الجنون بخوائم العزائم، قد أعدوا لك ولقومك جلادا رتبه الاتفاق وشفارا حدادا شحذها الأصفات، وقد يأتي المحبوب من المكروه، والندم من عجلة الثروة، نبهت من غفلة طال زمانها، وأيقظت من نومة تجدد إيمانها، ومتى كان لأسلافك الأقدمين مع أسلافنا الأكرمين يد صاعدة، أو وقفة مساعدة إلا ذل تعلم مقداره وتتحقق مناره، والذي جرأك على طلب ما لا تدركه قوم كالحمر، لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر، ظنوا المعاقل تعقل،والدول لا تنتقل، وكان بيننا وبينك من المسالمة، ما أوجب القعود عن نصرتهم وتدبير أمرهم، ونسأل المغفرة فيا أتيناه في أنفسنا وفيهم من ترك الحزم، وإسلامهم لأعاديهم، والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك، وتقريعك، بما الموت دونه، وبالله نستعين عليك، ولا نستبطئ في مسيرنا إليك، والله ينصر دينه، والسلام على من علم الحق فاتبعه، واجتنب الباطل وخدعه. [1]

[1]- محمد حامر حمادة، المرجع السابق، ص 249 – 251.

الملحق رقم 8: رسالة الفونسو السادس إلى المعتمد بن عباد لما وصل إلى بلدته إشبيلية .

هاجم الفونسو السادس بلاد المعتمد بن عباد إثر قسم أقسمه، لأن ابن عباد صلب رسول الفونسو اليهودي الذي أرسله الفونسو إلى المعتمد لاستلام الجزية السنوية، ويبدوا أن اليهودي أغلظ الكلام للمعتمد فصلبه المعتمد فأقسم الفونسو أن يغزو أراضي المعتمد، وقد فعل حتى وصل بجيشه إلى قبالة إشبيلية، ومن هناك أرسل إلى ابن عباد يقول :

كثر بطول مقامي في مجلسي الذباب، واشتد علي الحر، فالقني من قصرك مروحة أروح بها على نفسي، وأطرد بها الذباب عني.

توقيع ابن عباد الفونسو على نقص ورقة رسالته .

قرأت كتابك وفهمت خيلاءك وإعجابك، وسأنظر لك في مراوح من الجنود اللمطية في أيدي الجيوش المرابطية تروح منك لا تروح عليك إن شاء الله. [1]

[1] – محمد حامر حمادة، المرجع السابق، ص252.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش

أ- **المصادر:**

1- **ابن الآبار القضاعي محمد بن عبد الله بن أبي بكر** ، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط.

2- **ابن الأبار القضاعي**، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1985م.

3- **الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله**، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1409 هـ.

4- **ابن باق علي بن محمد**، زهرة الروض في تلخيص تقدير الفرض، تحقيق: رشيد الحور، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 2003.

5- **التنوخي سحنون بن صعيد**، المدونة الكبرى ويليها مقدمات ابن رشد لبيان ما اقتضته المدونة من الأحكام، تحقيق: زكرياء عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

6- **جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي**، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

7- **ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد**، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق:إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

8- **ابن حزم الأندلسي**، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ/1983م.

9- **الحلبي، أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد**، إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، المعروف ب " السيرة الحلبية"، دار الكتب العملية، بيروت، ط2، 1427هـ/ 2006م.

10- **الحُميدي أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله**، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي تونس، ط1، 2008م.

11- **الحميري محمد بن عبد المنعم،** الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م

12- **الحميري محمد عبد المنعم،** صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988.

13- **ابن حوقل محمد أبو القاسم،** صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت، 1992.

14- **ابن حيان القرطبي أبو مروان بن خلف بن حسين،** المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرح، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2006.

15- **ابن خاقان أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله ابن عبد الله،** مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، دار عمار، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.

16- **الخشني محمد بن الحارث،** أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: ماريا لويسا أبيلا ولويس لينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد 1991.

17- **ابن خفاجة إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله،** ديوان ابن خفاجة، تحقيق: عبد الله سندة، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1427هـ/2007م.

18- **ابن خلدون عبد الرحمن،** ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ / 1988م.

19- **ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر،** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: يوسف علي طويل، مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، 2012م.

20- **ابن خلصون أبو عبد الله محمد بن يوسف،** كتاب الأغذية، تحقيق: سوزان جيغاندي، دمشق، 1996.

21- **الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف** (ت387هـ/997م)، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1409هـ/1989م.

22- **ابن دحية أبو الخطاب عمر**، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1374 هـ / 1955م.

23- **الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا** ، أخلاق الطبيب، تحقيق: عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة دار التراث، ط1، القاهرة، 1977.

24- **الرجراجي أبو الحسن علي بن سعيد**، مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحلّ مشكلاتها، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار ابن حزم، ط1، 2007.

25- **ابن رزين التجيبي**، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق: محمد بن شقرون، إشراف: إحسان عباس، 1984، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

26- **ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد**، فتاوى ابن رشد، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1987.

27- **ابن رشد**، مسائل أبي الوليد ابن رشد، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1993 م.

28- **الرمزي**، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، دار الكتب العلمية، بيروت.

29- **الزجالي أبو يحيى عبيد الله بن أحمد**، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، د.ط، المغرب، د.ت.

30- **الزمخشري أبو القاسم محمود**، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمد البجاوي وآخرون، دار المعرفة، لبنان، ط2، د.ت.

31- **ابن زيدون أحمد بن عبد الله**، ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق: علي عبد العظيم، مكتبة النهضة، مصر، د.ط، 1957.

32- **ابن سعيد المغربي أبو الحسن على بن موسى**، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1955.

33- **السقطي ابن عبد الله محمد المالقي**، آداب الحسبة، المطبعة الدولية وعهد العلوم المغربية، د.ط، باريس، 1931.

34- **ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل**، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1417هـ/ 1996م.

35- **الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام**، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979، م2.

36- **الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله**، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/ 2000م.

37- **الضبي أحمد بن يحي**، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان.

38- **الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف**، الحوادث والبدع، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، ط: 3، 1419 هـ/ 1998م.

39- **أبو العباس القرطبي**، حوار الأديان في الأندلس، تقديم وتعليق وتحقيق: أحمد حجازي السقا، مدبولي الصغير للنشر.

40- **ابن عاشور محمد الطاهر**، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

41- **ابن عبد ربه أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم**، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د س ط.

42- **ابن عبدون محمد أحمد التجيبي**، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.

43- **ابن عذاري المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد**، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2013.

44- **العذري أحمد بن عمر بن أنس**، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، د ط، د س ط.

45- **العزفي أبو العباس أحمد بن القاضي**، الدر المنظم في مولد النبي المعظم، تحقيق: "فرناندو دي لانجرانخا"، مجلة الأندلس، 1969.

46- **عماد الدين الأصبهاني محمد بن محمد صفي الدين،** خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق: آذرتاش آذرنوش و آخرون،الدار التونسية للنشر، 1971م.

47- **العمري أبن فضل الله أحمد بن يحيى بن فضل الله،** مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1423هـ/ 2002م.

48- **عيسى بن سهل عيسى بن سهل بن عبد الله،** ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق: يحيي مراد، دار الحديث، القاهرة ، مصر، 2007.

49- **القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم،** كتاب الخراج، المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، سعد حسن محمد، د ت.

50- **القاضي عياض بن موسى السبتي،** ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/ 1998م، ج1.

51- **ابن القوطية أبو بكر محمد بن عبد العزيز،** تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية ودار الكتاب اللبنانية، ط2، 1989م.

52- **ابن القيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر،** أحكام أهل الذمة، تحقيق: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1994.

53- **القرافي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن،** الذخيرة، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994.

54- **القزويني أبو الحسين أحمد،** معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.

55- **القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري،** صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

56- **الكتاني أبو عبد الله محمد بن الحسن الطبيب** (المتوفى: نحو 420هـ)، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: عباس، دار الشروق، بيروت، لبنان،1981.

57- **لسان الدين ابن الخطيب،** أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية للنشر والجماعة، بيروت.

58- **لسان الدين ابن الخطيب،** الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973م.

59- **لسان الدين ابن الخطيب** ، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من الرسائل) ، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، 1983م.

60- **محمد بن الحارث،** أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: ماريا لويسا أبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العلم العربي، مدريد 1991.

61- **المراكشي عبد الواحد بن علي محيي الدين،** المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 1462ه /2006م.

62- **المراكشي عبد الواحد،** وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، المكتبة الثقافية الدينية للنشر، ط1.

63- **ابن مرزوق التلمساني،** المناقب المرزوقية، تحقيق: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 1429ه/ 2008م

64- **ابن منظور محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين،** لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، 1414ه.

65- **المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين،** مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: مصطفى السيد بن أبي ليلى، المكتبة التوفيقية، مصر.

66- **المقري أحمد بن محمد أبو العباس،** نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: حسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.

67- **مؤلف مجهول،** أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق: إبراهيم الإبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1989/1410.

68- **مؤلف مجهول،** الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت.

69- **مؤلف مجهول،** ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة: لويس مورين، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميقيل أسين، مدريد، 1983.

70- **مؤلف مجهول**، رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة، القاهرة، 1986.

71- **مؤلف مجهول**، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس عصر الموحدين، نشر: أمبروزي وأويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، إسبانيا، 1961، 1962.

72- **النباهي أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي المالقي**، تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا)،دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1983م.

73- **ابن هشام اللخمي**، (ت577هـ/1181م)، المدخل إلى تقويم اللسان، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.

74- **ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب أبو محمد جمال الدين**، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر. ط2، 1375هـ/1955م.

75- **أبو هلال الحسن العسكري**، (ت395هـ/1005م)، التلخيص ومعرفة أسماء الأشياء، تحقيق: عزة حسن، دار طلاس، دمشق، ط1، 1996.

76- **الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد**، المغازي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

ب- المراجع:

77- **الأهواني عبد العزيز**، الزجل في الأندلس، معهد الدراسات العربية، العالمية، 1985.

78- **أمريكو كاسترو**، حضارة الإسلام في إسبانيا، ترجمة: سليمان العطار، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، حلب، 1983.

79- **أمريكو كاسترو**، إسبانيا في تاريخها المسيحيون المسلمون اليهود، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، برشلونة، ط1، 2003م

80- **أنخل جنثالت بالثيا**، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، القاهرة، د.ت.

81- **أوليفيا ريمي كونستيل**، التجارة والتجار في الأندلس، تر: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 2002.

82- **الأهواني عبد العزيز**، ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، 1376هـ . 1957م.

83- **بوتشيش إبراهيم القادري**، أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250هـ- 316هـ)، منشورات عكاظ، الرباط.

84- **بوتشيش القادري إبراهيم**، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت.

85- **جاسم ياسين الدرويش**، أعلام نساء الأندلس، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، 2017م.

86- **الجبالي خالد حمد حسن**، الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م.

87- **جهاد غالب مصطفى الزغلول**، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1994.

88- **جوزيف رينو**، الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا، تع: إسماعيل العربي، دار الحداثة، بيروت، 1984م.

89- **الحجي عبد الرحمان علي**، الحضارة العربية في الأندلس – أسسها، مبادئها تأثيرها على الحضارة الأوربية – دار الرشاد، بيروت، ط1، 1969.

90- **حسن إبراهيم حسن**، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت، المكتبة الثقافية المصرية، القاهرة 1991، ط13، ج4.

91- **حسن أحمد النوش**، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الأندلس، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 1999.

92- **حسين يوسف دويدار**، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/755-1030م)، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ط1، 1414هـ/1994م.

93- **حمدان حجاجي**، حياة وآثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1974.

94- **حمدي عبد المنعم محمد حسين**، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الاموية، مؤسسة شباب الجامعة، جمهورية مصر، 1993م.

95- **خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي**، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس " إبن حزم- الخزرجي "، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.

96- **دايفد وينز**، فنون الطبخ في الأندلس، من كتاب: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة الغربية، ط1، بيروت، 1998.

97- **الدغلي محمد سعيد**، الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، دار أسامة، ط1، 1984م.

98- **دوزي رينهارت**، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، تر: كامل تيجاني، هنداوي، جمهورية مصر، ط1، 2012م

99- **دوزي رينهارت**، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، تر: كامل كيلاني، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، مصر، ط1، 1933.

100- **رشا علي الدين**، القانون الواجب التطبيق على عقد الزواج، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2010.

101- **رياض قزيحة**، الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1998.

102- **ريبرا جوليان**، تاريخ الموسيقى في الجزيرة العربية والأندلس، تر: الحسين الحين، أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية، 2008.

103- **السمرائي خليل إبراهيم** ، علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، وزارة الثقافة، بغداد، 1985م.

104- **سحر السيد عبد العزيز سالم**، ملابس الرجال في الأندلس غفي العصر الإسلامي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1995.

105- **سحر السيد عبد العزيز سالم**، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1997م.

106- **سحر السيد عبد العزيز سالم**، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، مصر، 1985.

107- **سحر السيد عبد العزيز سالم**، قرطبة حاضر الخلافة الإسلامية في الأندلس، دراسة تاريخية عمرانية أثرية، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت.

108- **سعيد سيد أحمد أبو زيد**، الحياة الاجتماعية في الأندلس في عصر دولتي المرابطين والموحدين، 484 . 620هـ/1091 . 1223م، كلية الآداب، جامعة المنوفية، ط1، 1996.

109- **سعيد عبد الفتاح عاشور**، حضارة الإسلام، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، القاهرة، ط2.

110- **شاخت وبوزورث**، تراث الإسلام، ترجمة: محمد زهير السمهوري، تحقيق: شاكر مصطفى، الكويت1978.

111- **شكيب أرسلان**، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج2، مطبعة الرحمانية، مصر، ط1، 1455هـ/1936م.

112- **شوقي ضيف**، الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية، مجلة العهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد.

113- **الصعيدي عبد المتعال**، القضايا الكبرى في الإسلام، دار شريفة، الجزائر.

114- **صلاح الجرار**، زمان الوصل، دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

115- **صلاح خالص**، إشبيلية في القرن الخامس هجري، دراسة أدبية تاريخية، دار الثقافة، د،ط، بيروت، لبنان، 1965.

116- **الطاهر أحمد مكي**، دراسات عن ابن حزم، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1993.

117- **عادل محمد علي الشيخ**، النبات في إسبانيا العربية، الندوة العلمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، الكويت، 1988.

118- **عاشور سعيد عبد الفتاح**، أوربا بالعصور الوسطى، التاريخ السياسي، مطبعة البيان العربي، القاهرة، ط3، 1964.

119- **عبادة كحيلة**، تاريخ النصارى في الأندلس، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة مصر، ط1، 1414هـ/ 1993م.

120- **العبادي أحمد مختار** ، صور من حياة الحرب والجهاد، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، د س ط.

121- **عبد الحليم عويس**، التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1994م.

122- **عبد الرحمان بدوي**، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، وكالة المطبوعات، الكويت، دارالقلم، بيروت، 1979م.

123- **عبد المنعم ماجد**، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1996.

124- **عصمت عبد اللطيف دندش**، الأندلس في نهاية المراطين ومستهل الموجدين (عصر الطوائف الثاني)، 510هـ .546هـ/ 1116م .1151م، دار الغرب الإسلامية، بيروت، لبنان.

125- **علوان حقي أحمد معاذ** ، أجواء الحوار في الأندلس – رسالة الباجي أنموذجا – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.

126- **علي محمد راضي**، الأندلس والناصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د ط.

127- **فرح محمد الهوني**، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، دار الجماهيري للنشر والتوزيع والإعلام، ليبيا، 1980.

128- **القاسمي جاسم ابن محمد**، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002.

129- **كمال أبو مصطفى**، مالقة الإسلامية في عهد دويلات الطوائف" القرن الخامس هجري . الحادي عشر ميلادي"، الأسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1993.

130- **لوبون غوستاف**، حضارة العرب، تعريب محمد عادل زعتر، القاهرة، 1945.

131- **لويس يونغ**، العرب وأوربا، ترجمة: ميشيل أزرق، دار الطليعة، بيروت، 1979.

132- **ليفي بروفنسال**، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقون، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د س ط.

133- **مانويل جوميث مورينو**، الفن الإسلامي في إسبانيا، تعريب: لطفي عبد البديع، القاهرة.

134- **محمد ابن إبراهيم بن صالح الحسين**، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين (483هـ/1090م- 630هـ/1242م، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1419هـ/1998م.

135- **محمد أحمد أبو الفضل**، شرق الأندلس في العصر الإسلامي دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.

136- **محمد بشير حسن العامري**، تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت.

137- **محمد بن حسن بن عقيل موسى**، إستجابات إسلامية لصرخات أندلسية، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1415هـ/1994م.

138- **محمد زكريا عناني**، الموشحات الأندلسية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1980.

139- **محمد زكريا عناني**، في الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، د.ط، الإسكندرية.

140- **محمد طاهر التنير البيروتي**، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة، ط1، 1989/1410م.

141- **محمد عبد الله عنان**، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1970

142- **محمد ماهر حمادة**، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية (64-897هـ/ 683- 1492م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1986م.

143- **محمود مقيدش**، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988.

144- **مريم قاسم طويل**، مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح 443-484هـ/ 1051-1091م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.

145- موريس لومبارد، الإسلام في مجده الأول من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري (8_11هـ) ، تر: إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990.

146- مونتغمري واط، في تاريخ إسبانيا الإسلامية مع فصل في الأدب، بقلم: بيير كاكيا، ترجمة: محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط2، بيروت، 1998.

147- مؤنس حسين، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1997.

148- مؤنس حسين، فجر الأندلس، الدار السعودية الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1405هـ/1995م.

149- نباز إسماعيل عدو، أهل الذمة في بلاد الكرد في العصر العباسي، مؤسسة موكرياني للبحوث، ط1، 2011.

150- نجم الدين النفاتي، صور الإنجيل في التفاسير القرآنية، التحرير والتنوير لابن عاشور أنموذجا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، الرباط.

151- هشام أبو أرميلة، علاقة الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1984.

152- يحي الجبوري، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي ، د.ط، بيروت، 1989.

153- يوسف بن طويل، مدخل إلى الأدب الأندلسي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1991.

154- يوسف حسين دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، 422.138هـ/ 1030.755م، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، القاهرة، 1994.

ج- الرسائل الجامعية:

155- بولعراس خميسي، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400-479هـ/ 100—1086م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2006، 2007م.

156- حصباية محمد، الممالك المسيحية شمال الأندلس وعلاقتها بملوك الطوائف خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، مذكرة ماجستير في تاريخ العصور الوسطى، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009- 2010م

157- خالد بوعروس، الزواج المختلط . الإشكالات القانونية والانعكاسات الاجتماعية، رسالة دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة عبد المالك السعدي، طنجة . المغرب . 2007/2006.

158- خالدي عبد الحميد، العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح الى نهاية الموحدين، (50ه6ه /670م .1266م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007 .2008.

159- الدسوقي نوال، التأثير الإسباني في المجتمع الأندلسي وصورته في الأدب، ماجستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، 1996

160- رابح رمضان، النشاط التجاري بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر الميلاديين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الأثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008.

161- رغد جمال مناف الغزاوي، العمارة الأندلسية من القرن الثاني الهجري إلى القرن الخامس هجري، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة بغداد، 1435ه/2013م.

162- شبورو نورية، الزواج المختلط وتأثيره على حالة الزوجين، دراسة مقارنة، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون الخاص، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2017/2016.

163- شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524هـ_667هـ)/ (1126م_1268م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007_2008.

164- فضيل أبو الصوف، العلاقات السياسية بين الأندلس وإسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف ق5ه/ 11م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1431- 1432ه/ 2010- 2011م.

165- **لاتي محمد،** المنازعات المالية بين الزوجين في الشريعة الإسلامية وقانون الأسرة الجزائري، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2002/2001.

166- **محي الدين صفي الدين،** الحياة الاجتماعية في الأندلس عهد الدولة الأموية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2016/2015.

167- **محي الدين صفي الدين،** المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر 2008/2007.

168- **مريامة لعناني،** الأسرة الأندلسية في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.

169- **المزايدة عمر زعل محمد،** الحياة الاقتصادية في الأندلس في عهد الخليفة الناصر، دكتوراه في التاريخ، جامعة مؤتة، 2009م.

170- **مظهر عبد المطلب مصطفى رجب،** أهل الذمة في الأندلس خلال الحكم الأموي، ماجستير تخصص تاريخ إسلامي وحضارة إسلامية، جامعة اليرموك، 1999م

171- **نادر فرج زيارة،** الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية غزة، 2010م.

172- **نجاة هاشمي،** عادات وتقاليد المجتمع الأندلسي خلال عهد الدولة الأموية، ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2015- 2016م.

173- **هناء سوقة،** الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس من خلال كتاب الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي (413هـ-483هـ)، رسالة ماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المملكة المغربية.

174- **ولد أنّ محمد الأمين،** النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية حتى نهاية المرابطين، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2012- 2013م.

د- الدوريات:

175- **أحمد مختار العبادى، الإسلام في أرض الأندلس أثر البيئة الأوربية،** مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثاني، الكويت،1984.

176- **عباس الجراري، أهمية الموسيقى في حضارة الأندلس،** التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، مطبوعات المملكة المغربية، سلسلة الدورات، 17-19 شوال 1412هـ/ 21-23 أفريل 1992م.

177- **عصام كاطع داود، موقف المسلمين من أهل البلاد الأصليين في الأندلس،** دراسات تاريخية، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، العدد 16، 2014.

178- **علي حسان سلمان، الأندلس أرض التسامح والتعايش الديني،** مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد 20، العدد الثاني والثمانون.

179- **محمد عباسة، العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر،** مجلة حوليات التراث، كلية الآداب، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، عدد: 03، 2005.

180- **محمد عطا الله الخليفات، أسواق الأندلس في عصر الدولة الأموية،** مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة البلقاء التطبيقية، مج1، عدد1، ربيع الأول 1435هـ، كانون الثاني 2014م.

181- **مصطفى الغديري، الموشحات الأندلسية بين الإبداع والإتباع،** مجلة دراسات أندلسية، العدد 13، يناير1995.

182- **عمر بن ميرة، جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية،** مجلة دراسات أندلسية، كلية الأداب، الرباط، المغرب، عدد 14.

183- **وجدان فريق عناد، تأثير الحضارة الأندلسية على أوربا –العلوم العقلية أنموذجا-** مجلة كلية التربية الإساسية، جامعة بابل، العدد2، آذار 2010.

184- **وجدان فريق عناد، مكانة الأندلس في التواصل الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية،**مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العراق، العدد: 10.

185- راوية عبد الحميد شافع، المسلمون والنصارى نموذجا للتعايش السلمي في الأندلس، مجلة العمارة والفنون، جامعة حلوان.

هـ- المعاجم:

186- أبو الحسن علي بن الحسن ، المنجد في اللغة، تحقيق أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988.

187- أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ، 2008م، ج1.

188- دوزي رينهارت، ألفاظ المأكل و المشرب في العربية الأندلسية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2001.

189- دوزي رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، مجلة اللسان العربي، مج9، ج2.

190- دوزي رينهارت، تكملة المعاجم العربية، عربه، محمَّد سَليم النعَيمي وآخرون، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط1، 1979 ج9

191- رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2002.

192- قاموس الكتاب المقدس، تحرير: بطرس عبد الملك، جون ألكسندر طمسن، إبراهيم مطر، مادة "إنجيل".

193- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ/2004م، 862.

و- المراجع باللغة الأجنبية:

194- Arie Rachel, Remarques sur L'alimentation des musulmans dEspagne au cours du bas moyen âge, Cuadernos de Estudios MEDIEVALES y Ciencias

yTecnicasHistoriograficas, Universidad de Grenada 2_3, (1974_75.

195- Altamaria y crevea , Histoire de Espana, y de civilization espanola, barcelona, 1900, tan 01

196- DOZY , Dictionnaire Detaille Des noms des vetementsches les Arabes , Amestardam, Jean Muller , 1845

197- Rachil Arie : L'Espagne Musulmane au Temps deNasrides,(1232 . 1492), Paris,1973, vol 1, Levis Provencal, histoire de l'Espagne musulmane, tom3, paris, 1953, .

198- Rachel Arié « Apercus sur la femme dans l'Espagne musulmane » dans Aspects de l'Espagne musulman. Histoire et culture ed. De brocard. Paris. 1997

199- Simonet Francisco javier, Histoire de les mozarabes de espane, madrid, 1999, vol1

الفهرس

الفهرس

ملخص

يعتبر التواصل الاجتماعي بين المسلمين والنصارى في الأندلس على عهد ملوك الطوائف في كثير من مجالات الحياة، فالزواج واللباس والطعام والأعياد والاحتفالات ومختلف العادات والتقاليد التي تخص المجتمع الأندلسي هي من الوسائل التي ساهمت في الجمع بين المسلم والنصراني، وفي إطار هذا الالتقاء يحصل التأثر والتأثير بين العنصرين في جو من التعايش والتسامح الديني، كذلك شمل التواصل بينهما في ميادين أخرى كالتجارة والزراعة والصناعة والوظائف الإدارية وقضايا الحوار الديني وحتى السياسية والعسكرية فقد ساهمت كلها في التواصل بين المسلمين والنصارى في الأندلس.

الكلمات المفتاحية:

الأندلس؛ عهد ملوك الطوائف؛ المسلمون؛ النصارى؛ الحياة الاجتماعية؛ الزواج المختلط؛ الألبسة؛ الأطعمة؛ العادات؛ التقاليد.

نوقشت يوم21 أكتوبر 2020